

بها نفسانية

مجلة المستجبات في علوم وطب النفس

ونحن نرحبكم جميعاً في هذه
الصفحة التي تبصرون



البروفيسور مصطفى مشهور 2022

العملية النفسية

الأعمال العلمية 1

تطور الطردية البشرية
من منظور نفسي من مقارن
سورة يوسف في ضوء نفسية
الخطبة الثالثة في صياغة
مشكلات اليقظة وخصائمه
ناتج ضوء وطول
في مذكرة الخطبة الثالثة



وَفِيهَا
أَفَلَا تَبْصُرُونَ
وَمَا أَوْتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا

مجلة بصائر نفسانية

مجلة مستجدات في علوم و طب النفس

مجلة فطية في علوم و طب النفس

الرئيس

مهال التركي [الطب النفساني / تونس]

الرئيس الشرفي

يعلى الرفاهي [الطب النفساني / مصر]

الرئيس الفخري

أحمد عكاشة [الطب النفساني / مصر]

مستشار الرئيس

محمد أبو صالح [الطب النفساني / إنكلترا]

المستشار الشرفي

مالك بدري [التعليل النفساني / لبنان]

المستشار الفخري

عبد الستار إبراهيم [علم النفس / مصر]

الهيئة الإستشارية (ترتيب أبجدي)

صادق السامرائي [الطب النفساني / العراق]

عبد الرزاق العمدة [الطب النفساني / السعودية]

مصطفى العشوي [علم النفس / الجزائر - الكويت]

نزار عيون السود [علم النفس / سوريا]

وليد سرفان [الطب النفساني / الأردن]

أديب العسالي [الطب النفساني / سوريا]

بشير معمريّة [علم النفس / الجزائر]

شارل بدورة [الطب النفساني / لبنان]

الفالي أمرشاهو [علم النفس / المغرب]

قاسم مسين صالح [علم النفس / العراق]

الهيئة العلمية المحكمة (ترتيب أبجدي)

عبد الفتاح دويدار [علم النفس / مصر]

عبد الناصر السباعي [علم النفس / المغرب]

عبد الهادي الضيق [التعليل النفساني / المغرب]

علي إسماعيل عبد الرحمن [الطب النفساني / مصر]

قتيبة الجابري [الطب النفساني / العراق - أمريكا]

كامل مسن كتلو [علم النفس / فلسطين]

هاجد الياسري [الطب النفساني / العراق - إنكلترا]

محمد الهير [علم النفس / المغرب]

محمد سعيد أبو فلاقة [علم النفس / مصر]

مرعي سلامة يونس [علم النفس / مصر - فرنسا]

مهن عبد الباري قاسم صالح [علم النفس / اليمن - السعودية]

وليد خالد عبد الحميد [الطب النفساني / العراق - بريطانيا]

إبراهيم الفخير [الطب النفساني / السعودية]

أحمد العيش [الطب النفساني / تونس - فرنسا]

إفلاص مسن عشريّة [علم النفس / السودان]

فالد الضفراني [علم النفس / مصر]

فالد عبد السلام [علم النفس / الجزائر]

فولة أبو بكر [علم النفس / عكا]

رمضان زعطوط [علم النفس / الجزائر]

زيبر بن مبارك [الطب النفساني / الجزائر]

سامر جميل رضوان [علم النفس / سوريا - عمان]

سداد جواد التميمي [الطب النفساني / العراق - بريطانيا]

شعبان محمد فضل بشر [علم النفس / ليبيا]

صالح بن إبراهيم الصنيع [علم النفس / السعودية]

عبد الفاضل الفارسي [علم النفس / اليمن]

السكرتيرية: إيمنان الفقي و سلوى الورتاني

إصدار مؤسسة العلوم النفسية العربية - تونس

مؤسسة العلوم النفسية العربية

"شبكة العلوم النفسية العربية"
تختار العام 2022

البروفيسور مصطفى عشوي
(علم النفس - الجزائر)

"شخصية العام العربية في علوم وطب النفس 2022"

وتكريمه بلقب

"الكادحون في علوم و طب النفس " للعام 2022

بمناسبة هذا التكريم تحتفي "شبكة العلوم النفسية العربية" بالبروفيسور مصطفى عشوي

من خلال التعريف بمجموعة من أعماله العلمية على مدار هذا العام

رابط لوحة التكريم

<http://www.arabpsynet.com/Prizes/Prize-KadihounYW2022.pdf>

دليل التكريم بلقب الكادحون على الموقع العلمي للشبكة

<http://arabpsynet.com/Prizes/IndexKhadihoun.htm>

دليل التكريم بلقب الكادحون على المتجر الإلكتروني للمؤسسة

<http://www.arabpsyfound.com/arabpsynet.php?p=6>

دليل التكريم بلقب الكادحون على الفايس بوك

https://www.facebook.com/APN-Kadehun-Awards-101042428113563/?modal=admin_todo_tour

بصائر نفسانية العدد 36: شتاء 2022 ملحق شهر مارس

مؤسسة للعلوم النفسية العربية تحتفي العام 2022 بالبروفيسور مصطفى مشوي
بمناسبة اختياره من طرف المجلس العلمي للمؤسسة :
" الشخصية العربية للعام 2022 في علوم وطب النفس "

الاعمال العلمية 1

- 7 تصور الطبيعة البشرية من منظور نفسي مقارن
- 33 سيرة يوسف: قصة ريادة نفسية
- 58 الأخطاء الشائعة في صياغة مشكلات البحث وفرضياته
- 74 تأثير ضغوط الحرب في مذاخرة الطالبة الجامعية

روابط ذات صلة

مجلة "بصائر نفسانية"

العدد 36 (شتاء 2021)

الملف: : مالك بدري... رائد التأصيل والانعتاق من جبر الضيق

المشرف: : الأستاذ الدكتور صالح إبراهيم الصنيع (علم النفس - السعودية)



رابط المجلة

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=502&controller=product&id_lang=3

الفهرس & الإفتتاحية

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=501&controller=product&id_lang=3

دليل المجلة

<http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-eJbs.htm>

ملخصات كامل العدد 36

<http://www.arabpsynet.com/apn.journal/eJbs36/eJbs36.HTM>

مجلة "بصائر نفسانية" ملحق العدد 36 - شهر مارس 2022

الأعمال العلمية 1

تصور الطبيعة البشرية من منظور نفسي مقارن
سورة يوسف: قصة ريادة نفسية
الأخطاء الشائعة في صياغة مشكلات البحث وفرضياته
تأثير ضغوط الربح في مذاكرة الطلاب الجامعيين

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2022 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الحادي عشر)

الشبكة تدخل عامها 22 من التأسيس و 19 على الويب

22 عاما من الكد... 19 عاما من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

الكتاب الذهبي لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2022 (الفصل السابع: من الكتاب السنوي للشبكة)

التحميل من الموقع العلمي

<http://arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetGoldBook.pdf>

اشتراكات العضوية بموسسة العلوم النفسية العربية للعام 2022

اشتراكات العضوية

عضوية "الشريك الفخري المميز" / "الشريك الفخري الماسي" / عضوية "الشريك الشرفي الذهبي"

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

تصور الطبيعة البشرية من منظور نفسي مقارن¹



أ.د. مصطفى عشوي - أستاذ علم النفس والإدارة - الجامعة العربية المفتوحة - الكويت

mustafait@hotmail.com

مقدمة:

موضوع "الشخصية" من مواضيع علم النفس الحديث، وقد درس هذا الموضوع من طرف عدد كبير من المنظرين السيكولوجيين كما سنرى أدناه. ووضعت تصورات نظرية مختلفة عن خصائص وأبعاد الطبيعة البشرية، وقد انبنت على ذلك تصورات حول سيكولوجية "الشخصية".

ونظرا للعلاقة الموجودة بين هذه التصورات حول الطبيعة البشرية وأي تصور للشخصية الإنسانية ارتأيت دراسة هذا الموضوع كمقدمة لفهم سيكولوجية الشخصية من منظور مقارن: إسلامي وغربي.

ويعكس تعدد التصورات والافتراضات في هذا الموضوع حقيقة تعقد موضوع الشخصية من جهة، وصعوبة إخضاعها لتصور نظري موحد، كما يعكس ذلك صعوبة دراسة موضوع الطبيعة البشرية وخصائصها. ولهذا، فإننا نجد في علم النفس الحديث تعريف عديدة لمفهوم الشخصية، كما نجد عدة نظريات للشخصية، وعدة تصورات للطبيعة البشرية وخصائصها. وسنورد فيما بعد أهم التصورات عن خصائص الطبيعة البشرية من أجل معرفتها، والمقارنة فيما بينها، وإدراك علاقتها بنظريات الشخصية من منظور سيكولوجي معاصر دون الاهتمام بماهية الطبيعة البشرية من الناحية الفلسفية.

وفي الواقع، فإن الاختلاف في تحديد هذا المفهوم، وفي تحديد أبعاد الشخصية يرجع أيضا إلى اختلاف تصورات الباحثين والدارسين حول "الطبيعة البشرية" وخصائصها؛ فمنهم من يعتبر هذه الطبيعة شيئا لا يختلف عن طبيعة الحيوان بل هي امتداد وتطور لهذه الطبيعة ولا شيء أكثر؛ وذلك وفق قوانين النشوء والارتقاء، ومنهم من يرى أن هذه الطبيعة قد كرمها الله سبحانه وتعالى بخصائص ووظائف تختلف اختلافا جذريا عن خصائص الحيوان ووظائفه مثل العقل والتدبر والروح والتعلم والعلم.

سنرى عند استعراض "التصور الإسلامي لهذه الطبيعة مدى اختلاف هذا التصور عن التصورات التي وضعها مختلف علماء السيكولوجيا في الغرب، كما سنلاحظ مدى اختلاف هذه التصورات وتباينها عن بعضها حتى في إطار الثقافة الغربية نفسها، وإن كان هذا الاختلاف لا ينفي وجود قواسم مشتركة بين هذه التصورات "الغربية".

لقد كتبت عشرات الكتب حول موضوع الطبيعة البشرية وخاصة باللغات الأجنبية، ولكن أغلبها كانت من منطلق فلسفي أو أخلاقي أو من كليهما، أو من منطلق ديني.

ومن الواضح أن الدراسات التي تناولت هذا الموضوع من الناحية النفسية قليلة جدا حتى في الغرب، وغالبا ما تكون هذه الدراسات تمهيدا لدراسة سيكولوجية الشخصية الإنسانية أو علم النفس الاجتماعي.

- لماذا لم يهتم السيكولوجيون بالطبيعة البشرية؟

نجد في علم النفس الحديث تعاريف عديدة لمفهوم الشخصية، كما نجد عدة نظريات للشخصية، وعدة تصورات للطبيعة البشرية وخصائصها

في الواقع، فإن الاختلاف في تحديد هذا المفهوم، وفي تحديد أبعاد الشخصية يرجع أيضا إلى اختلاف تصورات الباحثين والدارسين حول "الطبيعة البشرية" وخصائصها

منهم من يعتبر هذه الطبيعة شيئا لا يختلف عن طبيعة الحيوان بل هي امتداد وتطور لهذه الطبيعة ولا شيء أكثر؛ وذلك وفق قوانين النشوء والارتقاء

منهم من يرى أن هذه الطبيعة قد كرمها الله سبحانه وتعالى بخصائص ووظائف تختلف اختلافا جذريا عن خصائص الحيوان ووظائفه مثل العقل والتدبر والروح والتعلم والعلم

يورد بعض الباحثين مثل رايتسمان (Wrightsman, 1992) أسباب عدم اهتمام السيكولوجيين الغربيين بهذا الموضوع إلا مؤخراً. وتتمثل أهم هذه الأسباب فيما يأتي:

1- كان السيكولوجيون الغربيون يعتقدون بأن تفسير السلوك بمفهوم "الطبيعة البشرية" عملية لا طائل وراءها. وأن عامة الناس هم الذين يعمدون إلى تفسير السلوك بكونه جزءاً من الطبيعة البشرية لا غير.

2 - لم يكن السيكولوجيون الغربيون يهتمون بما يعتبر "عالمية السلوك الاجتماعي" كما تبين ذلك دراسات علم النفس بين الثقافات (المقارن) (Cross-cultural psychology) إلا مؤخراً.

بل إن الاهتمام كان منصبا على دراسة السلوك الاجتماعي في إطار الثقافة الغربية بدلا من دراسة السلوك البشري في إطار الانتماء للجنس البشري.

3 - تركيز الباحثين السيكولوجيين على دراسة علم النفس الاجتماعي التجريبي، وعلى دراسة المفاهيم التي يمكن تحديدها ودراستها دراسة إجرائية (عملية) بدلا من المفاهيم الفضفاضة التي كانت السيكولوجيا الغربية تتحاشى دراستها. وهذا ما جعل البحث المخبري هو السائد في الدراسات النفسية الغربية كجزء هام من الدراسات الاميريكية.

ومهما يكن، فإن الباحثين الغربيين وغيرهم سواء كانوا فلاسفة أم اجتماعيين أم نفسانيين أم مفكرين قد أصبحوا يولون موضوع " الطبيعة البشرية " اهتماما متزايدا. وهذا ما يتجلى من الدراسات العديدة التي كتبت مؤخرا حول هذا الموضوع مثل كتاب Stevenson سنة 1974 في طبعة أولى وسنة 1987 في طبعة ثانية، وكتاب Chaney سنة 1990، و كتاب Al-Attas في 1990، وكتاب Buchanan في 1990، وكتاب Wrightsman سنة 1992 وكتاب Schultz سنة 1994. وقد درس هؤلاء الكتاب موضوع الطبيعة البشرية والشخصية الإنسانية من زوايا مختلفة بعضها فلسفي، وبعضها سيكولوجي أو سوسيوولوجي وبعضها الآخر انثروبولوجي وتطوري.

وكتبت أيضا باللغة العربية ومن المنظور الإسلامي بعض الدراسات والكتب المتصلة بهذا الموضوع سواء من منظور فلسفي أم ديني أم أخلاقي أم نفسي أم من منظور علم الإنسان (الانثروبولوجيا). ومن هذه الكتب كتب: عباس محمود العقاد، عائشة بنت الشاطيء سنة 1982، بركات أحمد 1981، أمير سنة 1984، الفاروقي، 1984، و سيد مرسى سنة 1988، أحمد أكبر سنة 1990 و العاني سنة 1995.

- إسهام في فهم الطبيعة البشرية:

تمثل هذه الدراسة محاولة للإسهام في توضيح الأسس النظرية التي ينبغي أن تقوم عليها عملية فهم الطبيعة البشرية من منظور إسلامي بحيث تشكل هذه الدراسة قاعدة للدراسات النفسية وخاصة لعلم نفس الشخصية من منظور إسلامي إذ قامت هذه الدراسة على دعامتين:

1 - محاولة فهم الطبيعة البشرية كما جاء ذلك في بعض الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة. وسنلاحظ أن هذا المفهوم (الطبيعة البشرية) لم يكن في القرآن الكريم مفهوما مجردا بل مفهوم قريب إلى الأذهان إذ يعتمد على وصف واقعي للإنسان منذ نشأته الأولى (في عالم الغيب) إلى يوم الدين (إلى عالم الغيب)، ومن بدء تشكله في الرحم إلى وفاته.

2 - اعتماد منهج مقارن بين المنظور الإسلامي والمنظور الغربي للطبيعة البشرية من خلال تصورات وافتراضات أوردتها شولتز (1994) وغيره من الباحثين الغربيين، ومن خلال تصورات أخرى أضفتها للأبعاد المقترحة من طرف شولتز، وغيره من الباحثين.

سنرى عند استعراض "التصور الإسلامي لهذه الطبيعة مدى اختلافه هذا التصور عن التصورات التي وضعها مختلف علماء السيكولوجيا في الغرب، كما سنلاحظ مدى اختلافه هذه التصورات وتباينها عن بعضها حتى في إطار الثقافة الغربية نفسها

كان السيكولوجيون الغربيون يعتقدون بأن تفسير السلوك بمفهوم "الطبيعة البشرية" عملية لا طائل وراءها. وأن عامة الناس هم الذين يعمدون إلى تفسير السلوك بكونه جزءاً من الطبيعة البشرية لا غير

لم يكن السيكولوجيون الغربيون يهتمون بما يعتبر "عالمية السلوك الاجتماعي" كما تبين ذلك دراسات علم النفس بين الثقافات (المقارن) (Cross-cultural psychology) إلا مؤخراً

إن الاهتمام كان منصبا على دراسة السلوك الاجتماعي في إطار الثقافة الغربية بدلا من دراسة السلوك البشري في إطار الانتماء للجنس البشري

إن الباحثين الغربيين وغيرهم سواء كانوا فلاسفة أم اجتماعيين أم نفسانيين أم مفكرين قد أصبحوا يولون موضوع " الطبيعة البشرية " اهتماما متزايدا

تمثل هذه الدراسة محاولة للإسهام في توضيح الأسس النظرية التي ينبغي أن تقوم عليها عملية فهم الطبيعة البشرية من منظور إسلامي بحيث تشكل هذه الدراسة قاعدة للدراسات النفسية وخاصة لعلم نفس الشخصية من منظور إسلامي

وقد اعتمدت المنهج المقارن حتى تتبين أوجه التشابه والاختلاف بين التصور الإسلامي الذي أقدمه وتصورات السيكولوجيين الغربيين الذين درسوا موضوع الطبيعة البشرية وما يتصل بها من مواضيع كالسلوك والشخصية.

وقد اخترت التصورات التي أوردها شولتز عن الطبيعة البشرية لسببين :

-الأول: يتمثل في طرحه ستة أبعاد تتصل بالطبيعة البشرية؛ وهي تصورات أقرب ما تكون إلى سيكولوجية الشخصية والسلوك بصفة عامة. وقد طرحت هذه التصورات ضمن تصور محوري يتضمن الموضوع ونقيض الموضوع ولكن ضمن محور متصل وليس ضمن محور منقطع مثل الحرية والجبرية، وتأثير المحيط أو الوراثة في التعلم، وتأثير الماضي أو الحاضر في الشخصية، وغير ذلك من الأبعاد التي سأعرض لها بالشرح والتفصيل.

-الثاني: قيامه بإيراد مختلف آراء السيكولوجيين الغربيين وتصوراتهم حول هذه الأبعاد مما يسهل علينا عمليتي المراجعة، ومقارنة تصورات السيكولوجيين الغربيين بالتصور الذي أقدمه من منظور إسلامي علما بأن كتاب شولتز هذا في طبعته الخامسة (1994) آخر طبعة غربية بين أيدينا حول سيكولوجية الشخصية؛ أي أن هذا الكتاب مثل بقية كتب الشخصية يجمع بين دفتيه مجمل تصورات السيكولوجيين الغربيين حول الأبعاد المتصلة بسيكولوجية الشخصية والسلوك البشري من خلال نظريات متعددة تم طرح بعضها وتم تداولها منذ ما يقارب قرنا من الزمن مثل تصورات المدرسة التحليلية الكلاسيكية، ومدرسة التحليل النفسي الجديدة والمدرسة السلوكية. وهذا كله إلى جانب نظريات جديدة نسبيًا مثل المدرسة الإنسانية ومدرسة السمات ومدرسة التعلم الاجتماعي والمدرسة المعرفية. وقبل استعراض آراء بعض هذه المدارس من منظور مقارن، أود أن أعرض فيما يأتي أهم ملامح الإنسان في القرآن الكريم.

- الإنسان في القرآن الكريم:

تورد الدكتورة عائشة عبد الرحمن (1982) أن لفظ "بشر" قد ورد في القرآن الكريم كاسم جنس في خمسة وثلاثين (35) موضعا، بينما ورد لفظ " إنسان " في القرآن الكريم في خمسة وستين (65) موضعا.

وحسب بنت الشاطي فإن معنى لفظ "بشر" غير معنى " إنسان " ؛ فالأول يعني " ظواهر البشرية وأعراضها المادية " ... بينما يعني اللفظ الثاني " ... ارتقاء آلي الدرجة التي تؤهله للخلافة في الأرض واحتمال تبعات التكليف وأمانة الإنسان ، لانه المختص بالعلم والبيان والعقل والتمييز ، مع مايلابس ذلك كله من تعرض للابتلاء بالخير والشر ، وفتنة الغرور بما يحس من قوته وطاقته، وما يزدهيه من الشعور بقدره ومكانته في الدرجة العليا من درجات التطور ومراتب الكائنات " .

وفي الواقع، فإنني لا أتفق مع بنت الشاطي في هذا التمييز؛ ذلك - وكما أشارت هي نفسها إلى ذلك - فإن لفظ "بشر" قد ورد في القرآن الكريم 25 مرة للإشارة إلى بشرية الرسل والأنبياء مع تشابههم فيما هو من ظواهر البشرية وأعراضها المادية بينهم وبين سائر البشر. وقد ورد ذلك في سورة الأنبياء: 2 - 8 ، وفي سورة ابراهيم: 9 - 11 ، وفي سورة هود: 25 - 28 ، وفي سورة الكهف: 110 ، وغير ذلك من السور مثل:

(المؤمنون ، الشعراء ، يس ، وفصلت).

وهناك ملاحظة بالنسبة لعدد وتكرار كلمة "بشر" في القرآن ، فقد حاولت التأكد من الرقم الذي ذكرته بنت الشاطي ، فوجدت أن الكلمة قد وردت في القرآن الكريم 16 مرة فقط للإشارة للجنس البشري وليس

محاولة فهم الطبيعة البشرية كما جاء ذلك في بعض الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة

اعتماد المنهج مقارن بين المنظور الإسلامي والمنظور الغربي للطبيعة البشرية من خلال تصورات واقتراحات أوردها شولتز (1994) وتجره من الباحثين الغربيين

اعتمدت المنهج المقارن حتى تتبين أوجه التشابه والاختلاف بين التصور الإسلامي الذي أقدمه وتصورات السيكولوجيين الغربيين الذين درسوا موضوع الطبيعة البشرية وما يتصل بها من مواضيع كالسلوك والشخصية.

حسب بنت الشاطي فإن معنى لفظ "بشر" غير معنى " إنسان " ؛ فالأول يعني " ظواهر البشرية وأعراضها المادية " ... بينما يعني اللفظ الثاني " ... ارتقاء آلي الدرجة التي تؤهله للخلافة في الأرض

لا أتفق مع بنت الشاطي في هذا التمييز؛ ذلك - وكما أشارت هي نفسها إلى ذلك - فإن لفظ "بشر" قد ورد في القرآن الكريم 25 مرة للإشارة إلى بشرية الرسل والأنبياء مع تشابههم فيما هو من ظواهر البشرية وأعراضها المادية بينهم وبين سائر البشر

35 مرة. أما كلمة الناس فقد وردت في القرآن الكريم 182 مرة بينما وردت كلمة "إنسان" بصيغة النكرة مرة واحدة في سورة الإسراء ، آية 13 . أما كلمة "الإنسان" فقد وردت 58 مرة ، وبلغ عدد تكرارها مع اللواحق وحروف العطف 65 مرة كما قالت ذلك بنت الشاطيء، وكما تأكدت من ذلك شخصيا باستعمال الحاسوب.

وفي الواقع، فإن القرآن الكريم كله خطاب موجه للإنسان، ومن الصعب حصر الآيات التي تتعلق بالإنسان وترتبط به في الآيات التي ذكرت الإنسان ، أو الناس أو البشر أو القوم فقط. ومن الصعب أيضا اعطاء أية دلالة علمية لهذه الأرقام ماعدا الإشارة إلى أن تكرار مفهوم ما غالبا ما يدل على الإهتمام به أو على أهميته أو على الأهمية والإهتمام به معا.

ومع هذا، فقد فانتت بنت الشاطيء أيضا الإشارة إلى أن لفظ " بشر " قد قرن في القرآن الكريم بالنبوة والرسالة. وهل هناك أعلى وأعظم مسؤولية من النبوة والرسالة ؟ و ذلك واضح في سورة الكهف ، آية 110 حيث يقول تعالى : " قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ."

ومهما يكن، فإن المتأمل في القرآن الكريم يلاحظ أن تصوير ووصف الإنسان يتصف بالواقعية؛ فالإنسان

كما وصف في القرآن الكريم- يتعلم و ينسى، ويأثم ويندم، ويجحد ويشكر، و يجزع ويصبر، ويؤمن ويكفر، و يشقى و يسعد، و يحب المال والبنين، ويضحى بالنفس والنفيس، وغير ذلك من الصفات والخصائص المرتبطة بخلق الإنسان وتكوينه وسلوكه، وسعيه في الحياة الدنيا، ومصيره يوم الدين، كما وصفت النفس بعدة صفات بحسب الأحوال التي تكون عليها: فقد تكون مطمئنة، سوية، راضية، و زكية، و قد تكون لوامة، أمارة بالسوء، موسوسة (بفتح الواو) ، وخبثية، و خائبة وغير ذلك من الصفات والأحوال التي تتصف بها النفس الواحدة، والتي تتجلى في سلوك الإنسان الذي تسيطر عليه أحيانا النفس المطمئنة فيكون وفق ما يبتغيه الله ويرتضيه، كما قد تستحوذ عليه النفس الأمارة بالسوء فيندفع في منحدر إشباع الرغبات والشهوات. ولكن النفس اللوامة بالمرصاد؛ إذ تدفعه هذه الأخيرة للرجوع إلى حالة النفس المطمئنة؛ وذلك بالإستغفار والتوبة والعمل الصالح، وهكذا دواليك حيث يستمر الإنسان في صراع مع النفس ومجاهدة لها ليرتقى بها إلى درجات الإيمان العليا، وقم الإحسان العظمى، أو يستسلم وينهزم لينتدحرج إلى أسفل الدركات.

وياختصار، فإن الإنسان قد وصف في القرآن الكريم وصف واقعي يتميز بذكر الصفات الإيجابية والصفات السلبية التي تميزه عن باقي الكائنات في هذا الكون العظيم. ولكن هذا الوصف ليس وصفا نمطيا تبسيطيا بل إن المتتبع لهذا الوصف في القرآن الكريم يلاحظ مدى تعقد الطبيعة البشرية، وصعوبة إخضاعها للدراسة المبسرة والمختصرة الشيء الذي يستدعي تضافر جهود العلماء والمختصين في مختلف مجالات العلوم الإنسانية وما يرتبط بها من علوم طبيعية وبيولوجية لفهم هذا الإنسان فهما صحيحا وترقية مستواه في مختلف المجالات الروحية والعقلية والمادية.

ورغم هذه الصعوبة فإنني سأحاول فيما يلي إيراد تصنيف مختصر ومبسط لهذا الوصف حسب فهمي لآيات الذكر الحكيم، وبعض الأحاديث الشريفة على أن يطور هذا الفهم ويغنى بمختلف التصورات والدراسات والبحوث الإمبريقية التي ينبغي أن تدعم التصورات النظرية أو تصححها و تفتح أمامها آفاقا جديدة للفهم والتحليل والإستنتاج.

في الواقع، فإن القرآن الكريم كله خطاب موجه للإنسان، ومن الصعب حصر الآيات التي تتعلق بالإنسان وترتبط به في الآيات التي ذكرت الإنسان ، أو الناس أو البشر أو القوم فقط

الإنسان - كما وصفه في القرآن الكريم- يتعلم و ينسى، ويأثم ويندم، ويجحد ويشكر، و يجزع ويصبر، ويؤمن ويكفر، و يشقى و يسعد، و يحب المال والبنين، ويضحى بالنفس والنفيس، وغير ذلك من الصفات والخصائص المرتبطة بخلق الإنسان وتكوينه وسلوكه، وسعيه في الحياة الدنيا، ومصيره يوم الدين

وصفت النفس بعدة صفات بحسب الأحوال التي تكون عليها: فقد تكون مطمئنة، سوية، راضية، و زكية، و قد تكون لوامة، أمارة بالسوء، موسوسة (بفتح الواو) ، وخبثية، و خائبة وغير ذلك من الصفات والأحوال التي تتصف بها النفس الواحدة

قد تستحوذ عليه النفس الأمارة بالسوء فيندفع في منحدر إشباع الرغبات والشهوات. ولكن النفس اللوامة بالمرصاد؛ إذ تدفعه هذه الأخيرة للرجوع إلى حالة النفس المطمئنة؛ وذلك بالإستغفار والتوبة والعمل الصالح

والمأمل لهذا الوصف يلاحظ أن الإنسان قد وصف من طرف الخالق في كتابه العزيز وصفا دقيقا وواقعا؛ فهو أي الإنسان -إذا وصف وصفا إيجابيا- : خليفة في الأرض، صاحب بيان وعلم وحرية، وهو مفضل على العالمين بالعقل والبيان، و سجدت له الملائكة بأمر من الله تعالى، وقد خلقه الله تعالى في أحسن تقويم. وهو -إذا وصف سلبيا- : ضعيف، ظلوم، جهول، هلوع، كنود، عجول، غيور، مفسد في الأرض، وسافك للدماء، طاغ في حالة الاستغناء، قتور، معرض في حالة النعمة، يتوس، وقنوط إذا أصابه الشر، فاجر وكافر بأنعم الله.

وقد وصف القرآن الكريم مختلف أبعاد الإنسان الجسمية والعقلية والوجدانية، كما أشار إلى مجالات نشاطه، والتزاماته نحو ربه، ونفسه، وجماعته، ومجتمعه، ونحو أمته. وينبغي أن أشير هنا أن وصف القرآن الكريم للطبيعة البشرية ذو مستويين:

- 1- مستوى طبيعي-عام يشترك فيه كل البشر بغض النظر عن أممهم وأديانهم وثقافتهم .
 - 2- مستوى إيماني-عملي يسمو فيه البشر عن بعضهم بعضا ويتفاوتون فيما بينهم بالإيمان والعمل الصالح واتباع سنن الله في الكون .
- ومن الواضح، أن موضوع هذه الدراسة هو المستوى الأول، أما المستوى الثاني فيحتاج إلى دراسات متعمقة أخرى.

ووفق هذا التصور ، فإنه يمكن اعتبار القرآن الكريم مصدرا لاستخلاص تصورات -قائمة على الفهم البشري- حسب المستويات التالية:

- أ - **المستوى الأول:** تصورات شاملة لتفسير الكون و موقع الإنسان في هذا الكون؛ وذلك في إطار عملية تفاعلية تكاملية تنتقل من عالم الشهادة إلى عالم الشهود، ومن عالم الشهود إلى عالم الشهادة.
- ب - **المستوى الثاني:** تصورات أقل شمولية لتفسير الحياة على الأرض، وسنن التاريخ والأمم والمجتمعات مهما كانت هذه المجتمعات والأمم والحضارات التي قامت فيها.
- ج - **المستوى الثالث:** تصورات متوسطة المدى لتفسير النظم والمنظمات التي ينشئها الإنسان (نظام الحكم ، نظام الأسرة ، نظام العمل وغير ذلك من النظم) ضمن إطار حضاري معين وضمن نسق ديني محدد .
- د - **المستوى الرابع:** تصورات صغيرة لتفسير السلوك الفردي، والشخصية، وسلوك الفرد مع الآخرين في إطار جماعي أو غير جماعي.

وفي إطار هذا المستوى يمكن أن نميز بين دراسة الإنسان في صفاته البشرية -الفطرية وتفاعل هذه الصفات مع عوامل بيئية أخرى، وبين الإنسان المؤمن بالله الذي يتصف بصفات أخلاقية وسلوكية قائمة على العقيدة الدينية. كما يمكن أن نقارن بين سلوك المؤمن والمنافق و الكافر، وغير ذلك من التصنيفات التي قد ترتبط بأنماط سلوكية معينة.

وحسب هذا النموذج، فإنه ينبغي الخروج من النظرة الشمولية للظواهر المختلفة، والقيام بدراسات متعمقة لفهم عالم الشهادة (الواقع) . وهذا ما ينقص كثيرا من الدراسات الإسلامية المعاصرة -حسب رأيي- إذ بقيت تجتر المقولات المرتبطة بما "يجب أن تكون الأمور عليه" أو "ما ينبغي أن تكون عليه" ؛ وهذا موقف أخلاقي أو فلسفي وإن كان ضروريا بالفعل إلا أنه غير كاف لفهم واقع ما كما هو؛ أي بصفة موضوعية قدر الإمكان، بل إن إصلاح واقع ما و الانتقال به إلى ما "ينبغي أن يكون عليه" يتطلب فهمه أولا .

حببه يستمر الإنسان في صراع مع النفس ومجاهدة لها ليرتقى بها إلى درجات الإيمان العليا. وقدم الإنسان العظمى، أو يستسلم وينهزم ليتدحرج إلى أسفل الدرجات.

أن الإنسان قد وصفه من طرفه الخالق في كتابه العزيز وصفا دقيقا وواقعا؛ فهو أي الإنسان -إذا وصف وصفا إيجابيا- : خليفة في الأرض، صاحب بيان وعلم وحرية، وهو مفضل على العالمين بالعقل والبيان، و سجدت له الملائكة بأمر من الله تعالى، وقد خلقه الله تعالى في أحسن تقويم.

هو -إذا وصفه سلبيا- : ضعيف، ظلوم، جهول، هلوع، كنود، عجول، غيور، مفسد في الأرض، وسافك للدماء، طاغ في حالة الاستغناء، قتور، معرض في حالة النعمة، يتوس، وقنوط إذا أصابه الشر، فاجر وكافر بأنعم الله

أن أشير هنا أن وصف القرآن الكريم للطبيعة البشرية ذو مستويين:

- 1 - مستوى طبيعي-عام يشترك فيه كل البشر بغض النظر عن أممهم وأديانهم وثقافتهم .
- 2- مستوى إيماني-عملي يسمو فيه البشر عن بعضهم بعضا ويتفاوتون فيما بينهم بالإيمان والعمل الصالح واتباع سنن الله في الكون .

ووفق هذا النموذج، فإن محاولة فهم "الطبيعة البشرية من منظور إسلامي" يندرج في إطار فهم هذه المستويات المشار إليها أعلاه وبصفة أخص المستوى الرابع. وعلى الباحث المسلم أن يفهم هذه المستويات والأبعاد في مختلف مجالات الحياة والميادين العلمية. وحسب اعتقادي فإن هذا الفهم ضروري قبل الانتقال إلى الناحية التطبيقية؛ إذ لا يمكن أن ننطلق إلى الجانب التطبيقي دون وضوح الجانب النظري في أذهاننا. ولا يخفي على أي مشتغل بالبحث العلمي مدى ارتباط النظرية بالتطبيق وهذا الأخير بالنظرية إلى حد جعل كورت ليفين يقول: " ليس هناك أي شيء تطبيقي أحسن من نظرية جيدة". وقد جاء في هذا المعنى في الأثر "من عمل بما يعلم علمه الله ما لم يكن يعلم".

وقبل أن أتعرض لهذه الأبعاد والخصائص كما جاءت في القرآن الكريم أفضل إيراد تصور الطبيعة البشرية في إطار علم النفس بالغرب؛ إذ أن الهدف الأساسي لهذه الدراسة هو إجراء المقارنة بين تصورات السيكولوجيين الغربيين للطبيعة البشرية وللشخصية مع التصور الإسلامي للطبيعة البشرية كما أقدمه في هذه الدراسة، على أن تتلو هذه الدراسة دراسة أخرى توضح معالم الشخصية من منظور إسلامي. وأود أن أوضح من الآن أن هذه المعالم لن تكون إلا نظرية؛ أي عبارة عن مبادئ وأسس نظرية؛ ذلك لأن الانتقال إلى الجانب التطبيقي يعنى إما دراسة نفسية (سلوك) الناس عامة ونفسية (سلوك) المسلمين خاصة كما هو (السلوك) في الواقع بصفة موضوعية؛ أو الانتقال إلى عملية التجريب (المخبري أو الميداني أو كليهما) لبعض التصورات النفسية الإسلامية؛ وإخضاعها للتحليل الكمي والكيفي.

- الشخصية من المنظور الغربي:

طرح شولتز (1994) في كتابه "نظريات الشخصية" عدة أسئلة تتعلق بطبيعة "الشخصية البشرية"، مبتدئاً كتابه بالتأكيد على عدم اتفاق السيكولوجيين الغربيين على نظرية واحدة للشخصية. ولذا فقد عنون كتابه "نظريات الشخصية" بدلا من وضع عنوان "نظرية الشخصية" مثلا. وقد أكد شولتز بأن تصور الطبيعة البشرية الذي يقدمه منظر ما يعتبر أهم جانب في أية نظرية حول الشخصية. وإني شخصيا أتفق مع هذا التأكيد؛ إذ لا يمكن أن تقدم نظرية في "الشخصية" إذا لم تفهم خصائص الطبيعة البشرية ولو فهمها جزئيا. ويقدر ما يكون هذا الفهم دقيقا وشاملا بقدر ما تكون النظرية دقيقة وشاملة، والعكس صحيح. أورد شولتز في كتابه المذكور 18 نظرية حاول جمعها في تسع فئات أو اتجاهات كبرى حيث بين أن لكل اتجاه نظري من هذه الاتجاهات افتراضاته، طرق بحثه، وتحديده لمفهوم الشخصية وتصوره لأبعاد الشخصية وخصائص الطبيعة البشرية. وستكون تصورات هذه الاتجاهات نحو الطبيعة البشرية محور المقارنة فيما بعد .

وفي الواقع، فإن إيراد نظريات الشخصية الغربية المختلفة ليس حكرا على شولتز بل يمكن أن توجد هذه النظريات في أي كتاب للشخصية وأحيانا في أي كتاب في علم النفس العام. قدم شولتز عدة حجج لضرورة دراسة موضوع الشخصية، ومن أهم هذه الحجج تأكيده على أن أهم المشكلات التي تعانها البشرية حاليا كالمجاعة والتلوث والجريمة والإدمان سببها "البشر أنفسهم". ومما استشهد به شولتز - في هذا المجال - قول ماسلو (1957) وهو صاحب نظرية في الشخصية ومن المدافعين عن "إنسانية الإنسان" ومفاد قوله هو : " إذا طورنا الطبيعة البشرية فإننا نطور كل شيء، إذ بذلك نزيل أهم أسباب الفوضى في العالم؛ فحسب ماسلو فإن الفوضى التي يعانيها الإنسان في هذا العصر راجعة إلى العجز عن تطوير شخصيته وترقية سلوكه.

يمكن أن نميز بين دراسة الإنسان في صفاته البشرية - الفطرية وتفاعل هذه الصفات مع عوامل بيئية أخرى، وبين الإنسان المؤمن بالله الذي يتصفه صفات أخلاقية وسلوكية قائمة على العقيدة الدينية

ينبغي الخروج من النظرة الشمولية للظواهر المختلفة، والقيام بدراسات متعمقة لفهم عالم الشهادة (الواقع). وهذا ما ينقص كثيرا من الدراسات الإسلامية المعاصرة

طرح شولتز (1994) في كتابه "نظريات الشخصية" عدة أسئلة تتعلق بطبيعة "الشخصية البشرية"، مبتدئاً كتابه بالتأكيد على عدم اتفاق السيكولوجيين الغربيين على نظرية واحدة للشخصية

إن إيراد نظريات الشخصية الغربية المختلفة ليس حكرا على شولتز بل يمكن أن توجد هذه النظريات في أي كتاب للشخصية وأحيانا في أي كتاب في علم النفس العام

إنه بالفهم الصحيح، فقط، لأنفسنا وللذين من حولنا نستطيع التوافق أحسن مع مشكلات الحياة العصرية، وأن هذا أهم من إنتاج أسلحة جديدة أو تحقيق انتصارات جديدة في ميدان التكنولوجيا.

أما شولتز نفسه فيؤكد : "إنه بالفهم الصحيح، فقط، لأنفسنا وللذين من حولنا نستطيع التوافق أحسن مع مشكلات الحياة العصرية، وأن هذا أهم من إنتاج أسلحة جديدة أو تحقيق انتصارات جديدة في ميدان التكنولوجيا. وقد بين التاريخ عدة مرات بأن التطور التكنولوجي قد يؤدي إلى عواقب خطيرة عندما يستعمل من طرف أشخاص بخلاء وأنانيين وجبناء وغلطي القلب".

وبالفعل، فقد بينت الحروب الكبرى التي نشبت في هذا القرن -ابتداء بالحرب العالمية الأولى وانتهاء بحرب الخليج وما بينهما من ثورات وحروب وانتفاضات مثل الثورة التحريرية في الجزائر وحرب الفيتنام والحروب بين العرب واليهود وغير ذلك من الحروب التي اندلعت وما تزال تتدلج في مختلف أرجاء العالم- كيف يتصرف الإنسان المغرور والظالم في التكنولوجيا الحربية ويسخرها لاستعباد الآخرين وقهرهم وتعذيبهم والتنكيل بهم، وحرمانهم من خيراتهم والاعتداء على شخصياتهم وحرمانهم.

وحيث إن أعظم أمل للبشرية يتمثل في تحسين فهمها لنفسها لتجاوز مشكلاتها العويصة التي تواجهها في هذا القرن والقرن الذي يليه بل وفي المستقبل على الإطلاق مثل المجاعة والبطالة والانحرافات الأخلاقية والسلوكية المختلفة المنافية للفطرة والعقل والشرائع السماوية، فإن دراسة الشخصية وباقي فروع علم النفس - إذا بنيت على أسس سليمة- قد تكون أهم إسهام لعلم النفس في إنقاذ البشرية من هذه المشكلات.

وعليه، فإن لدراسة موضوع الطبيعة البشرية اعتمادا على المنهج المقارن أهمية قصوى من الناحيتين: النظرية والتطبيقية، وذلك لارتباط هذا الموضوع بموضوع "الشخصية". ولا ينبغي أن يبقى هذا المجال حكرًا على النظريات الغربية التي تغفل التجارب الإنسانية في إطار الثقافات الأخرى؛ أي الثقافات التي لا تقوم على الأصول اليهودية-المسيحية.

فهل يستطيع علم النفس عامة و علم النفس في الغرب خاصة أن يسهم في إنقاذ البشرية من الأخطار التي تتعرض لها حاليا أو التي قد تتعرض لها في المستقبل في هذه الحياة الدنيا؟

وهل لعلم النفس عامة و للاتجاه الإسلامي في علم النفس خاصة أي دور في إنقاذ البشرية في الحياة الدنيا وفي الآخرة؟

هذان سؤالان لا أزعم بأنني سأجيب عنهما، بل الغرض من طرحهما تبيان أهمية علم النفس في فهم الطبيعة البشرية، وفي فهم الشخصية وما يرتبط بها من سلوك بشري، وبالتالي في إمكانية إسهام هذا الفهم في حل بعض مشكلات البشرية. ولا ينبغي الزعم أبدا -خاصة من منظور إسلامي- أن علم النفس قد يكون بديلا للعلوم الشرعية وغيرها من العلوم الإنسانية والطبيعية التي يمكن أن تسهم بدورها في إنقاذ البشرية؛ ولعل أحسن إطار لتحقيق هذا الهدف هو الإطار الذي تتفاعل فيه هذه العلوم وتتكامل من حيث الموضوع والمنهج دون أن يهيمن علم ما على بقية العلوم من حيث الموضوع والمنهج.

وعليه، فقد ارتأيت استعراض تصور إسلامي للطبيعة البشرية من خلال أبعاد وخصائص الطبيعة البشرية التي اقترحها شولتز وغيره من السيكولوجيين المعاصرين، ومن خلال أبعاد إضافية اقترحتها كاجتهاد في هذا الميدان؛ مع التأكيد على أن هذا التصور نسبي تماما لأنه يتعلق باجتهاد بشري. وإني أؤكد هذه الفكرة بقوة حتى يبقى الباب دائما مفتوحا على مصراعيه للإسهام في هذا الميدان دون كلل أو ملل، ودون أن يدعى أحد أنه ما ترك للأخرين ما يسهمون به!

إن أعظم أمل للبشرية يتمثل في تحسين فهمها لنفسها لتجاوز مشكلاتها العويصة التي تواجهها في هذا القرن والقرن الذي يليه بل وفي المستقبل على الإطلاق مثل المجاعة والبطالة والانحرافات الأخلاقية والسلوكية المختلفة المنافية للفطرة والعقل والشرائع السماوية

هل يستطيع علم النفس عامة و علم النفس في الغرب خاصة أن يسهم في إنقاذ البشرية من الأخطار التي تتعرض لها حاليا أو التي قد تتعرض لها في المستقبل في هذه الحياة الدنيا؟

هل لعلم النفس عامة و الاتجاه الإسلامي في علم النفس خاصة أي دور في إنقاذ البشرية في الحياة الدنيا وفي الآخرة؟

لا ينبغي الزعم أبدا- خاصة من منظور إسلامي- أن علم النفس قد يكون بديلا للعلوم الشرعية وغيرها من العلوم الإنسانية والطبيعية التي يمكن أن تسهم بدورها في إنقاذ البشرية

ارتأيت استعراض تصور إسلامي للطبيعة البشرية من خلال أبعاد وخصائص الطبيعة البشرية التي اقترحها شولتز وغيره من السيكولوجيين المعاصرين، ومن خلال أبعاد إضافية اقترحتها كاجتهاد في هذا الميدان

ولعل المتأمل في الإنتاج العلمي الغزير بالغرب في هذا الميدان وغيره يلاحظ مدى صبر العلماء والباحثين على الدراسة والبحث ومحاولاتهم الدائبة لإضافة شيء جديد للعلم ولو كان ضئيلاً. وبطبيعة الحال، فإن أية إضافة جديدة للعلم تكون بالإطلاع أولاً على آخر ما وصل إليه علم ما حتى تكون الإضافة أو الاختلاف مع ما هو كائن على بينة ودراية.

وبخصوص تصورات السيكولوجيين الغربيين حول الطبيعة البشرية، فإن شولتز نفسه قد أكد في كتابه المشار إليه أعلاه أن النظريات السيكولوجية التي وضعت حول الشخصية قد اختلفت فيما بينها في الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بالأبعاد الآتية، ومدى تأثيرها في الطبيعة البشرية والشخصية الإنسانية؛ أي أن السيكولوجيين قد اختلفوا حول تأثير هذه الأبعاد في السلوك والشخصية؛ فبعضهم يولى مثلاً أهمية أكبر لماضي الفرد (مرحلة الطفولة) بينما يعطى بعضهم -كما سنرى- أهمية أكبر لحاضر الفرد ومستقبله. وبالفعل، فإن الاختلاف حول هذه الأبعاد ومدى تأثير كل واحد منها هو الذي يميز كل نظرية عن أخرى حتى في إطار الثقافة السيكولوجية الغربية نفسها.

وفيما يأتي الأبعاد التي اختلف السيكولوجيون الغربيون في مدى تأثيرها في السلوك والشخصية:

- الحرية أم الحتمية ؟
- الوراثة أم البيئة (المحيط) ؟
- الماضي أم الحاضر ؟
- التفرد، التمايز (uniqueness) أم العالمية (Universality) ؟
- التوازن أم النمو ؟
- التفاؤل أم التشاؤم ؟

لقد ارتأيت تقديم تصور إسلامي لهذه الأبعاد وفق فهمي لبعض الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مع إضافة أبعاد أخرى غفل عنها شولتز وغيره من الباحثين السيكولوجيين وخاصة الغربيين منهم -حسب إطلاعي المتواضع- بحيث تشكل هذه الأبعاد والتصورات المرتبطة بها من منظور مقارن (من منظور إسلامي وغربي) -كما سيأتي ذلك فيما بعد- إضافة للفكر البشري في تصور خصائص الطبيعة البشرية مما قد يشكل قاعدة أحسن لفهم السلوك البشري والشخصية الإنسانية. وأكرر أن هذا العمل عبارة عن عمل قاعدي يعتمد على تصور نظري قابل للإثراء والتعديل والتغيير والتطوير مثل أي مجهود بشري بل هو أحوج ما يكون للإثراء والتصحيح والتطوير.

خصائص الطبيعة البشرية من منظور إسلامي

لقد تعمدت وضع العنوان بهذا الشكل "خصائص الطبيعة البشرية من منظور إسلامي" وليس "خصائص الطبيعة البشرية من المنظور الإسلامي" حتى أبين أن هذا التصور نفسه عبارة عن تصور نسبي يتعلق بفهمي للنصوص وحتى لا أغلق باب الاجتهاد في هذا المجال الحيوي الذي ينبغي تكاتف الجهود فيه مثل باقي الميادين. وبودي أن أشير إلى أن التصور الإسلامي للطبيعة البشرية وخصائصها ولشخصية الإنسان تصور حيوي شامل من الصعب اختزاله. وكل عمليات الاختزال التي تقوم بها من خلال وضع تصورات فرعية لهذا التصور الشامل إنما بهدف تبسيطه وتقريبه للأفهام، وبهدف اعتماده أرضية أو إطاراً نظرياً لعمليات التنظير والبحث العلمي في مختلف الميادين العلمية.

المتأمل في الإنتاج العلمي الغزير بالغرب في هذا الميدان وغيره يلاحظ مدى صبر العلماء والباحثين على الدراسة والبحث ومحاولاتهم الدائبة لإضافة شيء جديد للعلم ولو كان ضئيلاً

لقد ارتأيت تقديم تصور إسلامي لهذه الأبعاد وفق فهمي لبعض الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مع إضافة أبعاد أخرى غفل عنها شولتز وغيره من الباحثين السيكولوجيين وخاصة الغربيين منهم -حسب إطلاعي المتواضع

أن هذا التصور نفسه عبارة عن تصور نسبي يتعلق بفهمي للنصوص وحتى لا أغلق باب الاجتهاد في هذا المجال الحيوي الذي ينبغي تكاتف الجهود فيه مثل باقي الميادين

أن التصور الإسلامي للطبيعة البشرية وخصائصها ولشخصية الإنسان تصور حيوي شامل من الصعب اختزاله

كل عمليات الاختزال التي نقوم بها من خلال وضع تصورات فرعية لهذا التصور الشامل إنما بهدف تبسيطه وتقريبه للأفهام، وبهدف اعتماده أرضية أو إطاراً نظرياً لعمليات التنظير والبحث العلمي في مختلف الميادين العلمية.

وينبغي أن أشير إلى أن المقارنة هنا من باب مقارنة النسبي (موقف السيكولوجيين الغربيين) بالنسبي (فهومي الإسلامي) ، وليس من باب مقارنة المطلق بالنسبي، وهذا رغم معرفتنا بأن السيكولوجيين الغربيين ينطلقون في الأصل من خلفية دينية أو فلسفية غالباً ما يخفونها رغم تأثرهم بها بصفة شعورية أو لاشعورية. و مما يستحسن التأكيد عليه هو أن هذا التصور النظري الذي ينطلق من فهم النصوص الإسلامية ينبغي أن يدعم ببحوث امبريقية باستعمال عينات من المسلمين مع مراعاة العمر والمستويات التربوية (التعليمية) والجنس وغير ذلك من المتغيرات الأساسية؛ وذلك لدراسة العلاقة بين التصورات النظرية والسلوك العملي الذي ينبثق أصلاً من هذا

التصور النظري بشكل أو بآخر. وإلى جانب هذا التأكيد ينبغي أن نهتم بالجوانب الآتية :

أولاً : لوضع تصور إسلامي حول خصائص الطبيعة البشرية وحول الشخصية كمفهوم نفسي حديث ينبغي توضيح الموقف الإسلامي حول ثلاثة أبعاد كبرى تتفرع عنها طبيعة الحال أبعاد فرعية، وهذه الأبعاد الكبرى هي :

1- خلق الإنسان: وتتفرع عن هذا البعد عملية الخلق الأولى لآدم ونفخ الروح فيه. ونكتفي في هذا المجال -حسب رأبي- بما أخبرنا به القرآن الكريم إذ الآيات في هذا المجال واضحة جداً. وينبغي اتخاذها قاعدة لفهم أساس خلق البشر الذي خلق أصلاً في أحسن تقويم: جسماً وروحاً وعقلاً.

2- حياة الإنسان (في الحياة الدنيا): وتتفرع عن هذا البعد كل الأبعاد المتعلقة :

أ- بخلق الإنسان من نطفة أمشاج (البعد الحيوي أو البيولوجي).

ب- بنشاطات الإنسان في كل المستويات الفردية والجماعية والمجتمعية.

ج- بنشاطات الإنسان في كل الميادين الروحية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها من الميادين.

وهذا البعد المتعلق بحياة الإنسان -على الأرض- له بعدان فرعيان كبيران هما:

أ- بعد العبادات : ومجال الاجتهاد فيه محدود نسبياً إلا فيما يتعلق بالفروع.

ب- بعد المعاملات : وباب الاجتهاد فيه مفتوح على مصراعيه إلا فيما يتعلق بالمبادئ الأساسية.

3- مصير الإنسان: ونعني به مصير الإنسان في الدار الآخرة، ونكتفي في هذا المجال بما أخبرنا به القرآن الكريم ، ولا مجال للاجتهاد في هذا المجال، وصرف الجهود الكبيرة فيه. ولاشك، أن "مصير الإنسان" يشكل متغيراً مؤثراً في سلوك المسلم أو أي شخص يؤمن به. وبناء عليه، فإنه متغير جدير بالاعتبار وإن كان من الصعب دراسته حالياً دراسة موضوعية. وسأعود إلى هذا الموضوع عندما سأحدث عن الخلود.

ثانياً : تتبعي دراسة الإنسان من المنظور الإسلامي من خلال ثلاثة أبعاد أخرى ترتبط بكل واحد من الأبعاد المذكورة أعلاه ارتباطاً وثيقاً؛ بل قد تؤثر فيها أو تتأثر بها؛ وإن كانت العلاقة بين هذه الأبعاد ليست بالضرورة علاقة سببية بل قد تكون علاقة ارتباطية بالمفهوم الإحصائي للكلمة.

وهذه الأبعاد هي: البعد الروحي، البعد الفيزيائي-البيولوجي، البعد العقلي، البعد الانفعالي، والبعد السلوكي. ورغم الارتباط الوثيق بين هذه الأبعاد -ولاشك- لأنها تجتمع لتكون شخصية واحدة إلا أننا لا ندرى بالضبط كيف يؤثر كل جانب في الجانب الآخر أو في الجوانب الأخرى، ولا ندرى فيما إذا كان جانب ما أكثر تأثيراً من بقية الجوانب وإن كانت الدراسات النفسية الحديثة قد بدأت ترتاد ميادين جديدة مثل البحوث الخاصة بتأثير الجانب الانفعالي في الجانب العقلي والعكس، وبالعلاقة بين الجوانب العقلية والجوانب السلوكية مثل موضوع الفكر واللغة. وقد تم التعرض إلى هذا الموضوع بشيء من التفصيل

أن السيكولوجيين الغربيين ينطلقون في الأصل من خلفية دينية أو فلسفية غالباً ما يخفونها رغم تأثرهم بها بصفة شعورية أو لاشعورية.

أن هذا التصور النظري الذي ينطلق من فهم النصوص الإسلامية ينبغي أن يدعم ببحوث امبريقية باستعمال عينات من المسلمين مع مراعاة العمر والمستويات التربوية (التعليمية) والجنس وغير ذلك من المتغيرات الأساسية

خلق الإنسان: وتتفرع عن هذا البعد عملية الخلق الأولى لآدم ونفخ الروح فيه. ونكتفي في هذا المجال -حسب رأبي- بما أخبرنا به القرآن الكريم

حياة الإنسان (في الحياة الدنيا): وتتفرع عن هذا البعد كل الأبعاد المتعلقة :

أ- بخلق الإنسان من نطفة أمشاج (البعد الحيوي أو البيولوجي).

ب- بنشاطات الإنسان في كل المستويات الفردية والجماعية والمجتمعية

مصير الإنسان: ونعني به مصير الإنسان في الدار الآخرة، ونكتفي في هذا المجال بما أخبرنا به القرآن الكريم ، ولا مجال للاجتهاد في هذا المجال، وصرف الجهود الكبيرة فيه

ألفت كتب كثيرة عن "الإنسان" من منظور إسلامي، ولكن أغلب هذه الكتب قد ألفت انطلاقاً من تصورات فلسفية أو انطلاقاً من النصوص (القرآن والحديث) حول الإنسان بصفة عامة، ولم تحاول هذه الدراسات وضع تصور إسلامي للشخصية من منظور نفسي. والاستثناء لهذه الملاحظة -حسب إطلاعي- هو كتاب "الشخصية الإنسانية في الفكر الإسلامي" للدكتور نزار العاني (1995) الذي حاول تتبع تصورات العلماء المسلمين -في التراث- للشخصية الإنسانية. ولكن هذا الكتاب لم يتعرض لتصور الطبيعة البشرية وخصائصها كما جاءت في القرآن الكريم والحديث الشريف من خلال نموذج محدد، بل لم يكن هدف الكتاب -كما أوضح ذلك مؤلفه- هو وضع هذا التصور.

وبطبيعة الحال، فإن أية محاولة لتأصيل علم النفس لا ينبغي أن تكون بمعزل عن وضع تصور نظري لخصائص الطبيعة البشرية ولخصائص "الشخصية"؛ ذلك لأن موضوع الشخصية قد أصبح من مواضيع علم النفس العام إذ لا يخلو أي كتاب في علم النفس العام منه كما أنه قد أصبح تخصصاً في حد ذاته. ما هو التصور الذي يمكن أن نقتبسه من القرآن والحديث عن خصائص الطبيعة البشرية وأبعاد الشخصية؟

ينبغي أن أشير أولاً أن القرآن كتاب هداية وليس كتاب تخصص علمي معين بل إن القرآن عبارة عن إطار عام يمكن أن نأخذ منه قبسات لكل المواضيع دون أن يعطينا ذلك من ضرورة بذل الجهد والاجتهاد في مختلف الميادين. وثانياً، فإن القرآن ككتاب هداية وعلم لا يمكن أن ينضب معينه، كما لا يمكن لأي باحث الادعاء بأن فهمه هو الفهم الصحيح والوحيد لهذا الكتاب.

وعليه، فإن ما أورده فيما يلي عبارة عن فهمي -لا غير- للنصوص في ضوء ثقافتنا الإسلامية و تخصصي في علم النفس.

أولاً: تبقى أبعاد الشخصية أو خصائص الطبيعة البشرية التي أوردها شولتز والمذكورة أعلاه ناقصة دون إضافة أبعاد أخرى إليها مثل البعد الروحي إلى جانب البعد المادي والخلود بدلاً من العدم والحياة الدنيا إلى جانب حياة الآخرة والثواب والعقاب في الدنيا والآخرة.

ثانياً: قد تلقى النظرة الإسلامية لأبعاد أو خصائص الطبيعة البشرية مع بعض التصورات النظرية النفسية -التي أوردها شولتز- في هذا المجال كما قد تختلف وقد تتناقض مع بعضها الآخر.

ثالثاً: إن النظرة الإسلامية للطبيعة البشرية تظل تصوراً نظرياً منطلقاً من النصوص ينبغي أن يدعم بتصورات منطلقة من الواقع والنص في نفس الوقت؛ ذلك لأن الدراسات النفسية هي دراسات امبريقية أساساً وإن كانت تتغذى من تصورات فلسفية ودينية غالباً ما تشكل خلفية غير بارزة لهذه الدراسات.

الطبيعة البشرية من منظور نفسي مقارن

لتوضيح الطبيعة البشرية من منظور نفسي مقارن ينبغي أن أطرح الأسئلة الآتية، ملاحظاً أن بعض هذه الأسئلة كان قد طرحها شولتز في كتابه المشار إليه أعلاه، بينما بعض هذه الأسئلة لم يتعرض لها شولتز ولا غيره من السيكولوجيين الغربيين أبداً. وقد أشرت أعلاه إلى القضايا التي طرحها وناقشها شولتز في كتابه المشار إليه. ومهما يكن، فإنني أنبه القارئ بأنني قد اعتمدت على كتاب شولتز في إيراد آراء مختلف السيكولوجيين حول مواضيع النقاش والمقارنة في هذا المقال.

وبودي أن أنبه أن المقارنة هنا بين التصور الإسلامي -كما أفهمه- والتصورات الغربية للطبيعة البشرية هو من باب مقارنة فهمي النسبي من منطلق إسلامي بالفهم النسبي للسيكولوجيين الغربيين

تنبغي دراسة الإنسان من المنظور الإسلامي من خلال ثلاثة أبعاد أخرى ترتبط بكل واحد من الأبعاد المذكورة أعلاه ارتباطاً وثيقاً؛ بل قد تؤثر فيها أو تتأثر بها

هذه الأبعاد هي: البعد الروحي، البعد الفيزيائي -البيولوجي، البعد العقلي، البعد الانفعالي، والبعد السلوكي

ألفت كتب كثيرة عن "الإنسان" من منظور إسلامي، ولكن أغلب هذه الكتب قد ألفت انطلاقاً من تصورات فلسفية أو انطلاقاً من النصوص (القرآن والحديث) حول الإنسان بصفة عامة، ولم تحاول هذه الدراسات وضع تصور إسلامي للشخصية من منظور نفسي

إن أية محاولة لتأصيل علم النفس لا ينبغي أن تكون بمعزل عن وضع تصور نظري لخصائص الطبيعة البشرية ولخصائص "الشخصية"

أن القرآن كتاب هداية وليس كتاب تخصص علمي معين بل إن القرآن عبارة عن إطار عام يمكن أن نأخذ منه قبسات لكل المواضيع دون أن يعطينا ذلك من ضرورة بذل الجهد والاجتهاد في مختلف الميادين

للطبيعة البشرية والشخصية الإنسانية من منطلقاتهم الفلسفية وخلفياتهم الدينية: المسيحية واليهودية، أو من خلفياتهم اللادينية "العلمانية"، وليس من باب مقارنة المطلق بالنسبي والعلم الرباني بالاجتهاد الإنساني .

وفيما يلي بعض القضايا الأساسية التي أود أن أقارن فيها مواقف السيكلوجيين الغربيين حول خصائص الطبيعة البشرية والشخصية الإنسانية مع الموقف الإسلامي كما أفهمه من خلال القرآن الكريم أساساً، ومن خلال بعض الأحاديث الشريفة على أن أوسع هذه الدراسة فيما بعد لتصبح مرجعاً أساسياً في محاولة فهم موضوع الطبيعة البشرية وخصائصها، والشخصية الإنسانية وأبعادها من منظور نفسي مقارن؛ وذلك بالرجوع إلى القرآن الكريم والحديث الشريف بالإضافة إلى الفكر الإسلامي، وبالرجوع أيضاً إلى المصادر الأساسية للفكر الغربي التي قامت عليها التصورات السيكلوجية حول خصائص الطبيعة البشرية والشخصية الإنسانية :

- 1- هل الإنسان مطلق الإرادة في الاعتقاد والرأي والسلوك أم مجبر ؟
- 2 - هل الإنسان خالد أم مصيره العدم ؟
- 3 - هل الإنسان ذو أبعاد متعددة (مادية-روحية) أم ذو بعد واحد فقط (مادي فقط) ؟
- 4 - هل الإنسان ذو طبيعة خيرة مطلقاً أم ذو طبيعة شريرة مطلقاً أم أن طبيعته تتجاذبها قوى الخير والشر معا ؟

- 5 - هل سلوك الإنسان مبني على النيات والأعمال أم على النيات فقط أم على الأعمال فقط ؟
- 6 -هل ماضي الإنسان أكثر تأثيراً في سلوكه أم في حاضره أم في مستقبله أم كل ذلك ؟
- 7 - هل التفاضل أساس الطبيعة البشرية أم التشاؤم ؟
- 8 - هل يسعى الإنسان إلى تحقيق التوازن أم هو في نمو مستمر ؟
- 9 - هل المحيط أو البيئة (التعلم) أقوى تأثيراً في سلوك الإنسان أم الوراثة ؟
- 10- هل كل إنسان متفرد بخصائصه وشخصيته أم أن هناك عالمية وشمولية في خصائص طبيعته

البشرية وأبعاد شخصيته ؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة أساسية في تصور نموذج للطبيعة البشرية من منظور إسلامي. وعليه، فإنني أبدأ بالجواب عن سؤال تلو الآخر مبيناً هذا التصور مع إجراء مقارنات بينه وبين تصورات أخرى في إطار علم النفس الحديث وخاصة في إطار نظريات الشخصية الأساسية التي أوردها شولتز في كتابه نظريات الشخصية (1994) حيث سأعتمد على هذا الكتاب في إيراد مختلف التصورات التي تمثل أهم النظريات النفسية في ميدان "سيكلوجية الشخصية " وهي : التحليلية بفروعها المختلفة، السلوكية، السمات، الإنسانية، والتعلم الاجتماعي مع الإشارة إلى أن هذه النظريات موجودة في أغلب كتب علم النفس العام و في كل كتب علم نفس الشخصية الحديثة.

1- الحرية أم الجبرية ؟

لقد خلق الله آدم في أحسن تقويم وصوره فأحسن تصويره وعدله، وزوده بالعقل وكرمه على كثير ممن خلق وفضله تفضيلاً، وعلمه ما لم يكن يعلم (الأسماء)، وأعطاه الحرية المطلقة في الجنة بشرط واحد؛ وهو عدم الأكل من الشجرة ولكن آدم فشل في الاختبار. ولعل هدف هذا الاختبار هو إفهام آدم أن علمه محدود، وأنه عرضة للنسيان وأنه عرضة للافتتان ؛ وذلك لكيلا يغتر بسجود الملائكة له.

إن القرآن في كتابه هداية وعلم لا يمكن أن ينضب معينه، كما لا يمكن لأي باحث الأدماء بأن فهمه هو الفهم الصحيح والوحيد لهذا الكتاب

تبقى أبعاد الشخصية أو خصائص الطبيعة البشرية التي أوردها شولتز والمذكورة أعلاه ناقصة دون إضافة أبعاد أخرى إليها مثل البعد الروحي، إلى جانب البعد المادي والخلود بدلاً من العدم والحياة الدنيا إلى جانب حياة الآخرة والثواب والعقاب في الدنيا والآخرة

هل الإنسان مطلق الإرادة في الاعتقاد والرأي والسلوك أم مجبر ؟
هل الإنسان خالد أم مصيره العدم ؟

هل الإنسان ذو أبعاد متعددة (مادية-روحية) أم ذو بعد واحد فقط (مادي فقط) ؟

هل الإنسان ذو طبيعة خيرة مطلقاً أم ذو طبيعة شريرة مطلقاً أم أن طبيعته تتجاذبها قوى الخير والشر معا ؟

هل سلوك الإنسان مبني على النيات والأعمال أم على النيات فقط أم على الأعمال فقط ؟

وإذا كان الإنسان محدود العلم فلا بد أن يكون محدود الحرية، وإذا كان محدود الحرية فلا بد أن يكون محدود العلم أيضا. ومجرد وضع شرط واحد لأدم في الجنة دليل على أن حريته كانت ذات حدود، كما أن مجرد نسيانه وأكله من الشجرة دليل على أن علمه محدود أيضا. وعمليا، فإنه لا يمكن تصور مفهوم الحرية بدون حدود؛ إذ بالأضداد تتمايز الأشياء.

لقد عولج موضوع الحرية والجبرية في إطار علم الكلام واختلفت الفرق الإسلامية حول الموضوع اختلافا كبيرا إلى حد التناقض، فعلى من يريد التفصيل في الموضوع أن يرجع إلى أمهات الكتب في هذا المجال.

أما في هذا المقام فيكفي أن أؤكد أن استقراء القرآن الكريم يوضح لنا أن الحرية مقترنة بتبعاتها أو المسؤولية التي تتبني عليها، وأن الإنسان وإن كان حرا في الاختيار بين الإيمان والكفر إلا أنه يتحمل تبعات اختياره، كما أنه حر في سلوكه ويتحمل تبعات سلوكه الاختياري.

وفي إطار هذا المعنى، يقول الله تعالى: "وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، إنا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها، وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتقفا" (الكهف: 29).

إن الإيمان في المفهوم الإسلامي - كما تم توضيح ذلك - مرتبط بالسلوك ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر؛ ولذا فإن كل الآيات القرآنية التي تتحدث عن الإيمان مرتبطة بالحث على العمل الصالح، كما أن هناك عدة أحاديث تقرر بين الإيمان والعمل، وبين الدين والمعاملة مثل حديث: الإيمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان (رواه ابن ماجه)، وحديث: أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا (رواه الدارمي)، وحديث: "... أي الإيمان أفضل قال خلق حسن" (رواه أحمد).

واعتمادا على معنى الحديث الشريف "الإيمان يزيد وينقص"؛ فإنه يمكن قياس الإيمان؛ وقياس الإيمان يكون بقياس مظاهره وظواهره (السلوك) لا غير؛ إذ أن الجانب الداخلي (السريرة) للإيمان لا يعلمه إلا الله وصاحبه. وفي هذا المعنى يقول تعالى: "... والله أعلم بإيمانكم .." (النساء: 25). ويقول تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار..." (سورة الممتحنة: 10). وفي هذه الآية الأخيرة إشارة غير مباشرة إلى إمكانية امتحان إيمان الشخص، والحكم عليه من خلال الامتحان، وفيه إشارة ضمنية إلى العمليات النفسية العقلية والوجدانية التي لا تتكشف إلا بالدراسة المتعمقة القائمة على الامتحان.

وعليه، فإن مفهوم السلوك الذي نعنيه هنا ليس السلوك الظاهري القابل للملاحظة المباشرة فقط بل نعني به أيضا كل الجوانب العقلية والوجدانية والروحية التي من الممكن دراستها دراسة منظمة والوصول إلى نتيجة علمية بناء على تلك الدراسة. وهذا التحديد مبني على افتراض مفاده أن السلوك الظاهري - بصفة عامة - عبارة عن انعكاس للعمليات الداخلية العقلية والوجدانية والروحية.

إن كلا من الإيمان و الكفر سلوك مرتبط في الواقع بحرية العقل وحرية الإرادة؛ إذ لا يمكن أن نتحدث عن حرية الإرادة دون القدرة على الاختيار بين الإيمان والكفر بالمعنى العام للكلمتين وبالمعنى الديني الاعتقادي لهما أيضا. ولا يمكن الحديث عن المسؤولية دون حرية الإرادة والعقل، وحرية التصرف والسلوك. ولذا رفع القلم عن ثلاث - كما جاء في الحديث الشريف -: عن الصبي حتى يحلم، وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق.

هل ماضي الإنسان أكثر تأثيرا في سلوكه أم في حاضره أم في مستقبله أم كل ذلك؟
هل التهاؤل أساس الطبيعة البشرية أم التشاؤم؟

هل يسعى الإنسان إلى تحقيق التوازن أم هو في نمو مستمر؟

هل المحيط أو البيئة (التعلم) أقوى تأثيرا في سلوك الإنسان أم الوراثة؟

هل كل إنسان متفرد بخصائصه و شخصيته أم أن هناك عالمية وشمولية في خصائص طبيعته البشرية وأبعاد شخصيته؟

إذا كان الإنسان محدود العلم فلا بد أن يكون محدود الحرية، وإذا كان محدود الحرية فلا بد أن يكون محدود العلم أيضا

مجرد وضع شرط واحد لأدم في الجنة دليل على أن حريته كانت ذات حدود، كما أن مجرد نسيانه وأكله من الشجرة دليل على أن علمه محدود أيضا

أن استقراء القرآن الكريم يوضح لنا أن الحرية مقترنة بتبعاتها أو المسؤولية التي تتبني عليها

ولربما هذه الحرية في التصرف والسلوك ابتداء بالإيمان وانتهاء بالكفر وما بينهما من سلوك إيجابي وسلبى (دون إصدار حكم قيمي مطلق) هو الذي يوضح لنا لمِإذا وصف القرآن الكريم الإنسان بصفات متباينة؛ بعضها إيجابي وبعضها سلبى.

وعليه، فإذا كان الإنسان حراً فإنه يتحمل تبعاً لذلك مسؤولية حريته؛ فلا يمكن أن تكون هناك مسؤولية دون حرية، ولا حرية دون مسؤولية. ورغم هذه الحرية المطلقة في الاعتقاد والسلوك فإن القرآن الكريم يبين للإنسان بكل وضوح أن قدراته محدودة وبالتالي فإن حريته محدودة أيضاً في بعض المجالات؛ فالإنسان لا يختار متى يولد (... حملته أمه كرها ووضعته كرها ...) ، ولا يختار متى وأين يموت: (.. فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) ، (لكل أجل كتاب ...) و (.. وما تدرى نفس بأى أرض تموت) .

وفي الوقت الذي نلاحظ فيه دعوة القرآن الكريم لاعتماد الأسباب وسنن الله في المجتمع والكون بصفة عامة، فإن الإنسان المسلم يعتقد اعتقاداً جازماً أن هناك مسبب الأسباب الذي لا سبب له وهو الله ؛ وهو المتحكم في كل شيء، وهو المتوكل عليه، وإليه ترجع الأمور، ومشيئته سبقت كل شيء. ولذا فإن سلوك المسلم لا ينبغي أن يكون بمعزل عن هذا التصور وإن كان عليه الأخذ بالأسباب. وفي هذا المعنى يقول تعالى : "ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله، واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشداً " (الكهف : 23-24).

فما هو موقف النظريات النفسية حول هذا الموضوع؟

إذا فحصنا نظريات الشخصية في علم النفس الحديث فإننا نجد تبايناً في تصور هذا الموضوع؛ فالنظرية الفرويدية (التحليلية) مثلاً تؤكد عدم حرية الإنسان بل تؤمن بالحمية؛ أي أن الإنسان حسب فرويد (1856-1939) مقيد بالاشعور؛ وهو في صراع دائم مع القوى اللاشعورية مثل الغرائز (الجنس والعدوانية مثلاً) ولا ينتصر عليها أبداً. وينحصر دور الأنا -حسب هذا التصور- في التوفيق بين ضغوط الهو (الغرائز والشهوات) و ضغوط الأنا الأعلى (الضمير والأخلاق). ويشذ عن هذا الموقف، الذي يتخذه فرويد حول حرية الإنسان، أريك فروم (1900-1980) ؛ الذي وإن كان ينتمي إلى المدرسة التحليلية إلا أنه لا يتفق مع بعض طروحات فرويد. ومن بين ذلك موقفه الإيجابي من حرية الإنسان؛ فهو يرى أن الشخصية لا تتحدد بتأثير العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فقط بل يملك الإنسان خصائص نفسية يستطيع بها تشكيل طبيعته (شخصيته) ومجتمعه معاً.

أما النظرية السلوكية فتقف موقف النظرية التحليلية في هذا المجال حيث تؤمن بالحمية. إن سكينر (1904-1990) -رائد السلوكية الحديثة- وإن كان لا يتفق مع فرويد في وجود قوى داخلية تتحكم في الشخصية، فإن الإنسان في سلوكه -حسب رأيه- مثل الآلة المضبوطة والمبرمجة والتي تم تحديد نشاطها ووظيفتها مسبقاً. وعليه، فإن الإنسان لا يملك حرية التصرف ولا العفوية في السلوك؛ إذ أن سلوكه مقيد بالمشيرات أي المنبهات التي يتلقاها من محيطه.

وإذا كانت النظريتان: التحليلية والسلوكية لا تؤمنان بحرية الإنسان رغم تباين منطلقاتهما النظرية فإن نظرية السمات التي يمثلها السيكولوجي الأمريكي المعروف جوردون ألبورت (1897-1967) تقف بخصوص هذا الموضوع موقفاً معتدلاً؛ حيث ترى أن في إمكان الإنسان التحكم -بحرية- في مستقبله إلا أن ألبورت يعترف بأن سلوك الإنسان محدد بالسمات والاستعدادات الشخصية التي من الصعب تغييرها بعد تشكلها.

أن الإنسان وإن كان حراً في الاختيار بين الإيمان والكفر إلا أنه يتحمل تبعات اختياره. كما أنه حر في سلوكه ويتحمل تبعات سلوكه الاختياري

إن الإيمان في المفهوم الإسلامي -كما تم توضيح ذلك- مرتبط بالسلوك ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر؛ ولذا فإن كل الآيات القرآنية التي تتحدث عن الإيمان مرتبطة بالحث على العمل الصالح

إن كلا من الإيمان والكفر سلوك مرتبط في الواقع بحرية العقل وحرية الإرادة؛ إذ لا يمكن أن نتحدث عن حرية الإرادة دون القدرة على الاختيار بين الإيمان والكفر بالمعنى العام للكلمتين وبالمعنى الديني الاتقادي لهما أيضاً

إذا كان الإنسان حراً فإنه يتحمل تبعاً لذلك مسؤولية حريته؛ فلا يمكن أن تكون هناك مسؤولية دون حرية، ولا حرية دون مسؤولية

إن الإنسان المسلم يعتقد اعتقاداً جازماً أن هناك مسبب الأسباب الذي لا سبب له وهو الله ؛ وهو المتحكم في كل شيء، وهو المتوكل عليه، وإليه ترجع الأمور، ومشيئته سبقت كل شيء،

وإذا استعرضنا موقف النظرية الإنسانية -في هذا المجال- فإننا نجد روادها مثل ابراهام ماسلو (1908 - 1970) يؤكدون بأن الإنسان حر الإرادة؛ إذ في استطاعته أن يختار كيفية إشباع حاجاته وتحقيق قدراته. وعليه، فإن الإنسان حسب هذه النظرية مسؤول عن درجة أو مستوى النمو الذي يحققه. أما موقف النظرية المعرفية التي يمثلها سيكولوجيون معاصرون وعلى رأسهم جورج كيلي (1905 - 1967) فتزى أن الإنسان حر في اختيار سلوكه والتحكم فيه وتعديله إن استدعت الحاجة إلى ذلك بل وحر في مراجعة مفاهيمه القديمة وتعويضها بمفاهيم جديدة. إن توجه الإنسان حسب هذه النظرية هو دائما نحو المستقبل.

وأخيرا، فإن نظرية التعلم الاجتماعي التي يمثلها ألبرت باندورا (925 -) تقف موقفا معتدلا من موضوع حرية الإنسان؛ حيث يرى باندورا أن الناس ليسوا أشياء لا قوة لها، ومراقبة من طرف قوى المجتمع، كما أنهم -في نفس الوقت- ليسوا أحرار ا بصفة مطلقة تمكنهم من القيام بأي شيء يختارونه، بل إن الإنسان والمحيط يتبادلان التأثير؛ ويؤثر كل منهما في الآخر.

وباختصار فإننا نلاحظ -في إطار النظريات النفسية الحديثة- تباينا كبيرا حول موضوع حرية الإنسان؛ وأغلب النظريات تقف موقفا معتدلا حيث تؤكد أن سلوك الإنسان وإن كان يصدر عن إرادة إلا أن هناك قوى بيولوجية (وراثية) وقوى اجتماعية (محيطية ، بيئية) تؤثر في سلوك الإنسان وتوجهه دون إرادته. وبالفعل، فإن معظم السيكلوجيين يتفقون على أن أهم محددات الشخصية هي المحددات البيولوجية والمحددات المحيطية -البيئية.

وتتبعي الإشارة هنا إلى إهمال كل هذه النظريات لمشيئة الله تعالى في توجيه السلوك وتحديد مصير الإنسان ! وإلى إهمال المحددات الروحية (الإيمان بالله مثلا وما يرتبط بذلك من عمل صالح) وتأثيرها في الشخصية والسلوك. ولعل تدارك هذا النقص يكون بالرجوع إلى التصور القرآني الذي أوردناه أعلاه عن حرية الإنسان. وينبغي لمن يريد مزيدا من التفصيل أن يرجع إلى آراء مختلف الفرق الإسلامية في الموضوع مثل المعتزلة والأشعرية والقدرية وغيرها. وليس الهدف هنا حسم النقاش في هذا الموضوع بل تبيان تأثير الموقف المتخذ حيال هذه المسألة في السلوك والشخصية.

2- الخلود أم العدم ؟

لم يتعرض شولتز لهذا البعد، كما لم يتعرض له السيكلوجيون بصفة عامة؛ إذ يعتبرون هذا الموضوع موضوعا ميتافيزيقيا يترك للفلسفة للاهتمام به. وفي الواقع، فإن هذا الموضوع - وإن كان موضوعا فلسفيا في الأساس - إلا أنه بعد أو متغير مرتبط بسلوك الإنسان ويؤثر فيه. وقد بين الله تعالى في سورة البينة أن الخلود في الجنة أو الخلود في النار مرتبط بعمل العبد في هذه الدنيا. يقول تعالى: { إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزأؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه} البينة:6-8.

إن الإنسان الذي يعتقد اعتقادا جازما بأنه مسؤول أمام الله عن سلوكه، وأنه محاسب عن أعماله في اليوم الآخر بحيث يكون مصيره الخلود في الجنة أم الخلود في النار، يكون -دون شك- مختلفا في سلوكه عن الإنسان الذي لا يؤمن بالحساب والعقاب وبوجود الجنة والنار أساسا، ولا بالخلود في إحداهما. وفي الواقع، فإن الإيمان بالخلود في الجنة يفتح أبواب الأمل والتفاؤل لكثير من الناس المؤمنين، ويدفعهم للتسابق إلى عمل الخيرات للفوز بالجنة والنجاة من النار. ولاشك، أن هذا التسابق والتسارع إلى

النظرية الفرويدية (التحليلية) مثلا تؤكد عدم حرية الإنسان بل تؤمن بالتحتمية؛ أي أن الإنسان حسب فرويد (1856-1939) مقيد بالشعور؛ وهو في صراع دائم مع القوى اللاشعورية مثل الغرائز (الجنس والعدوانية مثلا) ولا ينتصر عليها أبدا

ينحصر دور الأنا - حسب هذا التصور - في التوفيق بين رغبات الهو (الغرائز والشهوات) و رغبات الأنا الأعلى (الصميم والأخلاق).

أما النظرية السلوكية فتتفق مع موقف النظرية التحليلية في هذا المجال حيث تؤمن بالتحتمية

أما موقف النظرية المعرفية التي يمثلها سيكولوجيون معاصرون وعلى رأسهم جورج كيلي (1905 - 1967) فتزى أن الإنسان حر في اختيار سلوكه والتحكم فيه وتعديله إن استدعت الحاجة إلى ذلك بل وحر في مراجعة مفاهيمه القديمة وتعويضها بمفاهيم جديدة

نلاحظ -في إطار النظريات النفسية الحديثة- تباينا كبيرا حول موضوع حرية الإنسان؛ وأغلب النظريات تقف موقفا معتدلا حيث تؤكد أن سلوك الإنسان وإن كان يصدر عن إرادة إلا أن هناك قوى بيولوجية (وراثية) وقوى اجتماعية (محيطية ، بيئية) تؤثر في سلوك الإنسان وتوجهه دون إرادته.

مغفرة من الله وجنة عرضها السموات والأرض يشكل دافعية قوية عند المؤمنين مما يدفعهم للعمل الصالح وإتقان هذا العمل أكثر فأكثر. وعكس هذا الأمر، فإن الاعتقاد بأن مصير الإنسان بعد الموت هو "العدم" يجعل الناس يتهافتون على الدنيا فقط، ويستغلون كل الوسائل لبلوغ مرامهم لإشباع حاجاتهم الدنيوية بأي ثمن ولو كان ذلك على حساب الآخرين.

3- هل الإنسان ذو بعد واحد (مادي فقط) أم ذو أبعاد متعددة (مادية-روحية) ؟

لم يورد شولتز هذه النقطة عندما استعرض صور الطبيعة البشرية عند مختلف السيكولوجيين بصفة منفردة كما فعل بالنسبة لأبعاد أخرى أشرنا إليها أعلاه. ولكن، استعراض مختلف الآراء يبين لنا أن هناك تباينا في مواقف السيكولوجيين حول هذه النقطة؛ فهناك النظريات التي تهتم بالجوانب الفيزيائية والبيولوجية لا غير، كما أن هناك النظريات التي تهتم بالجوانب الفيزيائية والبيولوجية والسلوكية. أما الجانب الروحي المتعلق بالإيمان فلا يكاد يجد مناصرين كثيرين في ميدان نظريات علم النفس السائدة وإن كانت الجمعية الأمريكية لعلم النفس تعترف بعلم النفس الديني كأحد ميادين علم النفس الحديث. ولعل اعتبار الإنسان ككائن ذي أبعاد متعددة (فيزيائية، بيولوجية، روحية، وسلوكية) بحيث ينظر إلى هذه الأبعاد في إطار تفاعلي وتكاملي هو الذي يملأ فجوة النظريات السيكولوجية الحديثة التي تنظر إلى الإنسان من زاوية ضيقة تقتصر على العوامل البيولوجية (الوراثية، والبيوكيميائية) والمحددات الاجتماعية والبيئية، كما أشرت إلى ذلك أعلاه.

4- هل الإنسان ذو طبيعة خيرة مطلقا أم ذو طبيعة شريرة مطلقا ؟

لم يتعرض شولتز لهذه النقطة في كتابه المذكور. ولعل إهماله لهذا البعد راجع إلى كون هذا الموضوع ذي طبيعة فلسفية وأخلاقية في الأساس، وليس موضوعا سيكولوجيا؛ ذلك لأن أية إجابة عن الموضوع تتضمن حكم قيمة، كما تتضمن موقفا أخلاقيا؛ وهو الشيء الذي يحاول أغلب السيكولوجيين تقاديه. وهذا التقايد راجع إلى الرغبة القوية في تمييز علم النفس موضوعا ومنهجيا عن الفلسفة و علم الأخلاق، كما أنه راجع للأسباب المذكورة أعلاه. ورغم هذا الاحتراز، فإننا نجد بعض السيكولوجيين قد تعرضوا لهذه النقطة ولو بصفة غير مباشرة كما سأورد ذلك بعد قليل.

ومهما يكن، فإنه لا يمكن فصل علم النفس عن الفلسفة وعن الأخلاق فضلا كليا. ولذا فإنني أعتبر النظرة الإسلامية للإنسان في هذا الجانب نظرة موضوعية؛ إذ تنظر للإنسان نظرة متعددة؛ فالإنسان ليس خيرا على الإطلاق، كما أنه ليس شريرا على الإطلاق بل تتنازع قوى الخير والشر، وهو في صراع دائم مع قوى الشر ونوازه، وتركز النظرة الإسلامية على الفروق الفردية في هذا المجال، كما تركز على تأثير الجانب الإيماني في طبيعة الإنسان.

ومهما كان الإنسان خيرا فإنه لن يسلم من الشر، كما أنه مهما كان شريرا فإنه لا يخلو تماما من أي خير. ولكن نوع التربية والتعلم وتأثير المحيط والاستعدادات البيولوجية والوراثية والتأثيرات الفيزيولوجية والقيم التي يؤمن بها الإنسان هي التي توجهه نحو الخير أو الشر بحيث يغلب عليه اتجاه ما.

ويضيف بعض العلماء - من المنظور الإسلامي - نزع الشيطان وتأثيره السلبي في السلوك بحيث يدفع الإنسان إلى ارتكاب الأعمال الشريرة. وبطبيعة الحال، فإن علاج هذا النزغ ودفعه يتمثلان في الاستعاذة بالله -قولا وعملا - من الشيطان الرجيم. وهذا السلوك (تأثرا ودفعا) مما لا يعتبر أيضا في إطار النظريات النفسية الغربية إذ لا يمكن ملاحظة ذلك حسب زعم السيكولوجيين الغربيين.

إهمال كل هذه النظريات لمشبته الله تعالى في توجيه السلوك وتحديد مصير الإنسان ! وإلى إهمال المحددات الروحية (الإيمان بالله مثلا وما يرتبط بذلك من عمل صالح) وتأثيرها في الشخصية والسلوك

إن الإنسان الذي يعتقد باعتقادا جازما بأنه مسؤول أمام الله عن سلوكه، وأنه محاسب عن أعماله في اليوم الآخر بحيث يكون مصيره الخلود في الجنة أم الخلود في النار، يكون -دون شك- مختلفا في سلوكه عن الإنسان الذي لا يؤمن بالحساب والعقاب وبوجود الجنة والنار أساسا، ولا بالخلود في إحداهما

إن الإيمان بالخلود في الجنة يفتح أبواب الأمل والتفاؤل لكثير من الناس المؤمنين، ويدفعهم للتسابق إلى عمل الخيرات للفوز بالجنة والنجاة من النار

عكس هذا الأمر، فإن الاعتقاد بأن مصير الإنسان بعد الموت هو "العدم" يجعل الناس يتهافتون على الدنيا فقط، ويستغلون كل الوسائل لبلوغ مرامهم لإشباع حاجاتهم الدنيوية بأي ثمن ولو كان ذلك على حساب الآخرين.

لا يمكن فصل علم النفس عن الفلسفة وعن الأخلاق فضلا كليا. ولذا فإنني أعتبر النظرة الإسلامية للإنسان في هذا الجانب نظرة موضوعية؛ إذ تنظر للإنسان نظرة متعددة

وباختصار، فإن الإنسان ليس خيرا كله وليس شرا كله؛ فهو يجمع بين بعض خصائص الملائكة وبعض طبائع الشيطان؛ ولذا فهو كائن آخر ليس بملاك ولا بشيطان ... إنه إنسان بأبعاده المتعددة !
وإذا أردنا معرفة موقف السيكولوجيين المعاصرين من موضوع ارتباط الخير والشر بالإنسان فإننا نجد ماسلو

(صاحب النظرية الإنسانية) مثلا يؤكد أن الطبيعة البشرية الفطرية (الموروثة) جيدة وطيبة ولطيفة إلا أن ماسلو لم يُلغ وجود الشر عند البشر. أما فرويد فقد كان متشائما آلي أبعد الحدود؛ حيث أكد "بأنه لا يرى أي خير عند البشر"، كما كان فرويد يؤمن جازما بأن العدوانية وكذلك الجنس عبارة عن غرائز ذات أصل بيولوجي وتشكل جزءا أساسيا من الطبيعة البشرية (شولتز، 1994).

5- هل سلوك الإنسان مبني على النيات والأعمال أم النيات فقط أم الأعمال فقط ؟

لا يعتبر موضوع النية من مواضيع علم النفس الحديث ولا يكاد يشار إليه إلا قليلا؛ إذ أن هذا المفهوم مفهوم ديني يتعلق بالجانب التعبدية في السلوك حيث إن النية موضوع أساسي في أية عبادة في الإسلام . وإذا كان هدف خلق الإنس والجن -حسب ما جاء في القرآن- هو عبادة الخالق، فإن مفهوم العبادة في الإسلام مفهوم واسع يشمل كل أنواع السلوك مهما كان هذا السلوك إذا كانت النية هي التقرب لله وعبادته. وقد أوضحت هذه العلاقة عندما أوردت كلام الشاطبي في هذا الموضوع.

وبالرغم من عدم اهتمام علم النفس الحديث بمفهوم النية، فإن علم النفس لا يغفل موضوع الدوافع والبواعث والحوافز وتأثيرها في السلوك ولكن شولتز لم يورد هذا البعد في تصور الطبيعة البشرية عند مختلف السيكولوجيين، وتأثيره في السلوك وفي الشخصية.

واعتمادا على الحديث الشريف " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى " ، فإن النية أساسية ليحصل الأجر والثواب في أي سلوك يقوم به المسلم، إلا أن الاعتبار في الإسلام وخاصة في القضاء هو الأعمال ونتائجها وعواقبها وليس النيات، بل إن النيات أساس التعبد وأساس حصول الأجر عند الله مهما كانت النتائج والعواقب المرتبطة بها، ويعتبر هذا التمييز هاما حتى لا يساء السلوك بحجة حسن النية، كما لا يمكن أن تحاكم النيات من طرف الأشخاص مهما كان مستواهم أو من طرف الهيئات مهما كانت. ولكن من الممكن ملاحظة السلوك والحكم له أو عليه وفق معايير دينية أو اجتماعية أو مقاييس نفسية.

وباختصار، فإن الاعتبار في الجانب التعبدية -في كل الأعمال- بالنيات التي لا يعلمها إلا الله وصاحبها، أما الاعتبار في الجانب الجزائي -عند البشر- فبالنتائج والعواقب وليس بالنيات. فقد أمرنا الرسول (ص) بالحكم بالظواهر و الله تعالى يتولى السرائر .
ومهما يكن، فإنه كلما طبقت النيات الأعمال، وطابقت الأعمال النيات كلما كان ذلك مدعاة للرضا، وتحصيل الأجر، وتحقيق النتائج المرجوة عند العباد ورب العباد.

وعموما، فإن السلوك -عادة- ما يكون انعكاسا للنوايا إلا في حالات قليلة مثل حالات النفاق. وحتى في بعض الحالات مثل هذه يمكن أن يعكس السلوك سوء النية والنفاق. فقد قال رسول الله (ص) : " آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان. وفي رواية إذا خصم فجر".

فمن الواضح من هذا الحديث وغيره أن السلوك الظاهري قد يصبح محكا أو معيارا للنوايا بالنسبة لنا نحن الدارسين الملاحظين والباحثين.

الإنسان ليس خيرا على الإطلاق، كما أنه ليس شرا على الإطلاق بل تتنازعه قوى الخير والشر، وهو في صراع دائم مع قوى الشر ونوازعه.

تركز النظرة الإسلامية على الفروق الفردية في هذا المجال، كما تركز على تأثير الجانب الإيماني في طبيعة الإنسان

مما كان الإنسان خيرا فإنه لن يسلم من الشر، كما أنه مهما كان شرا فإنه لا يخلو تماما من أي خير.

نوع التربية والتعلم وتأثير المحيط والاستعدادات البيولوجية والوراثية والتأثيرات الفيزيولوجية والقيم التي يؤمن بها الإنسان هي التي توجهه نحو الخير أو الشر بحيث يغلب عليه اتجاه ما

الإنسان ليس خيرا كله وليس شرا كله؛ فهو يجمع بين بعض خصائص الملائكة وبعض طبائع الشيطان؛ ولذا فهو كائن آخر ليس بملاك ولا بشيطان ... إنه إنسان بأبعاده المتعددة !

أما فرويد فقد كان متشائما آلي أبعد الحدود؛ حيث أكد "بأنه لا يرى أي خير عند البشر"، كما كان فرويد يؤمن جازما بأن العدوانية وكذلك الجنس عبارة عن غرائز ذات أصل بيولوجي وتشكل جزءا أساسيا من الطبيعة البشرية

6- هل ماضي الإنسان أكثر تأثيراً في سلوكه أم حاضره أم مستقبله أم كل ذلك ؟

إذا تصفحنا النظريات النفسية الحديثة حول " الشخصية " فإننا نجد تبايناً كبيراً بين مختلف هذه النظريات حول تأثير كل من ماضي وحاضر الفرد في بلورة شخصية هذا الفرد؛ فبعض النظريات تولي اهتماماً أكبر لتأثير مرحلة الطفولة (من الولادة إلى سن 12-13 سنة) في تشكيل الشخصية، بينما ترى نظريات أخرى أن الشخصية مستقلة عن الماضي، وأنه في إمكانها التأثير بالأحداث والتجارب في الحاضر، وبالآمال والطموحات في المستقبل.

ترى النظرية التحليلية مثلاً وخاصة الاتجاه الفرويدي أن ماضي الفرد هو أساس بناء الشخصية، وأن بنية الهو

-الذي هو أكبر جزء في البنية العامة للشخصية- عبارة عن بنية فسيولوجية موروثية، و أن مراحل النمو النفسي-الجنسي موروثية أيضاً. والمعروف أن النظرية الفرويدية تولي اهتماماً كبيراً لهذا الجزء من بنية الشخصية (الهو، اللاشعور)، كما تعتبر أن مراحل النمو النفسي-الجنسي التي يمر بها الطفل من الولادة إلى المراهقة هي التي تشكل وتبلور الشخصية وتحدد - إلى حد بعيد- السواء واللاسواء فيحاضر ومستقبل الشخص، بل يعتبر فرويد السنوات الخمس الأولى هي التي تحدد نمط شخصية الإنسان عند الرشد.

وإلى جانب هذا التركيز على الجانب البيولوجي، فإن النظرية التحليلية لا تنكر بأن جزء من الشخصية يتم اكتسابه بواسطة التعلم في المراحل المبكرة من العمر عبر التفاعل بين الصبي و الأبوين بصفة خاصة.

وكما هو معروف، فإن تلاميذ فرويد وأتباعه الأوائل مثل ألفرد أدلر وكارل يونغ قد انتقدوا فرويد بقوة لتصوره المتطرف للشخصية، ولتركيزه على دور غريزتي الجنس والعدوانية في تحديد أنماط الشخصية بصفة حتمية. وليس المجال هنا مجال إيراد كل هذه الانتقادات بل يكفي أن أشير أن أدلر مثلاً ينظر إلى هذا الموضوع نظرة أكثر توازناً حيث يعتبر أن تشكيل الشخصية إنما هو نتاج ماضي وحاضر الفرد، ومثل هذا الموقف موقف يونغ واريك فروم واريك اريكسون حيث يولي هؤلاء اهتماماً لمختلف مراحل العمر، و ليس للمراحل المبكرة من العمر فقط كما فعل فرويد.

أما إذا انتقلنا إلى موقف نظرية السمات، التي يمثلها جوردون ألبرت حول هذا الموضوع، فإننا نجد أن هذه النظرية تعطي وزناً أكثر للحاضر في تشكيل الشخصية. وعليه، يرى ألبرت أن الشخصية تتأثر بأحداث الحاضر، وبنظرتها المستقبلية أكثر مما تتأثر بماضيها.

وإذا أردنا أن نعرف موقف النظرية الإنسانية من هذه النقطة فإننا نجد أن ماسلو يقف موقفاً معتدلاً في هذا الموضوع؛ حيث يعترف ماسلو بأهمية خبرات مرحلة الطفولة المبكرة في تفتح الشخصية أو في عرقلة نموها إلا أنه لا يؤمن بأننا ضحايا هذه الخبرات بل إن ماسلو من السيكلوجيين القلائل الذين أولوا اهتماماً كبيراً لمختلف مراحل العمر وخاصة لمتوسط العمر.

وتقف النظرية السلوكية حيال هذا الموضوع نفس الموقف المعتدل للنظرية الإنسانية؛ فرائد السلوكية المعاصرة سكينر (1904-1990) يؤكد أن خبرات الماضي تؤثر في سلوكنا وشخصيتنا مثلما تؤثر تماماً خبرات الحاضر. وبهذا فإن موقف السلوكية إزاء هذا الموضوع هو موقف معتدل أيضاً.

فما هو موقف الإسلام من هذه النقطة ؟

لا يعتبر موضوع النية من مواضيع علم النفس الحديث ولا يكاد يشار إليه إلا قليلاً؛ إذ أن هذا المفهوم مفهوم ديني يتعلق بالجانب التعبدية في السلوك حيث إن النية موضوع أساسي في أية عبادة في الإسلام

بالرغم من عدم اهتمام علم النفس الحديث بمفهوم النية، فإن علم النفس لا يغفل موضوع الدوافع والبراهمة والخوافز وتأثيرها في السلوك

الاعتبار في الجانب التعبدية - في كل الأعمال - بالنية التي لا يعلمها إلا الله وصاحبها، أما الاعتبار في الجانب الجزائي - عند البشر - فبالنتائج والعواقب وليس بالنية. فقد أمرنا الرسول (ص) بالحكم بالظواهر و الله تعالى يتولى السرائر

إن السلوك -عبادة- ما يكون انعكاساً للنوايا إلا في حالات قليلة مثل حالات النفاق. وحتى في بعض الحالات مثل هذه يمكن أن يعكس السلوك سوء النية والنفاق

ترى النظرية التحليلية مثلاً وخاصة الاتجاه الفرويدي أن ماضي الفرد هو أساس بناء الشخصية

لقد أولى الإسلام اهتماما كبيرا لمرحلة الطفولة لما لها من أهمية في تشكيل الشخصية والسلوك، إلا أن تأمل مجمل النصوص لا يبين لنا بأن الفرد محكوم عليه بأن يبقى سجين ماضيه بل إن التجربة التاريخية الإسلامية تبين لنا بكل وضوح كيف أن الإسلام قد استطاع تغيير سلوك وشخصيات الصحابة الذين اعتنقوا الإسلام عن اقتناع واعتقاد، ووجهها توجيهها جديدا. كما استطاع الإسلام تغيير أقوام وحضارات تغييرا جذريا خاصة في مجال العقيدة. وكما أن الإنسان محاسب على ماضيه، فإن باب التوبة مفتوح لتغيير عواقب هذا الماضي إن كان حافلا بالسيئات والذنوب؛ والتغيير يكون بالعمل الصالح والإقلاع عن المعاصي والذنوب. بل إن مرحلة الطفولة في الإسلام هي مرحلة التعلم والتدريب، وهي مرحلة يرفع فيها القلم على الإنسان حتى يبلغ.

أما المستقبل فهو بعد هام في تشكيل شخصية المسلم؛ ذلك لأن المستقبل في الإسلام لا يمتد في هذه الحياة الدنيا فقط بل يمتد إلى اليوم الآخر. وعليه، فالمستقبل بعد هام في بلورة الشخصية المسلمة وتوجيهها للعمل الصالح في الحاضر والمستقبل.

ولعل الآية الكريمة: "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين" (القصص: 77)، و الحكمة التي تقول: "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا"، أحسن تلخيص لموقف الإسلام في هذه النقطة.

7- هل المحيط (التعلم) أقوى تأثيرا في سلوك الإنسان أم الوراثة ؟

يقر الإسلام تأثير الجانب البيولوجي (الوراثة) في طبع الإنسان وشخصيته؛ فالإنسان مخلوق من نطفة إذا تمنى ، ومن نطفة أمشاج ؛ أي من ماء الرجل وماء المرأة المختلطين الممتزجين . ولاشك، أن هذه النطفة -كما بين العلم الحديث- تحمل الخصائص الوراثية التي يتأثر بها الإنسان في مختلف مراحل عمره. وفي هذا المعنى يمكن إيراد الآية الكريمة: "وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا" (الفرقان:54) . وقد جاء في تفسير الجلالين بأن المقصود بالماء في هذه الآية هو المني، كما جاء في التفسير أن المقصود بالنسب جهة الأب، والمقصود بالمصاهرة جانب الأم. وعليه، فإن الآية الكريمة تجمع بين الإشارة إلى كل من الجانبين البيولوجي (الوراثة) والاجتماعي (المصاهرة والتعارف وإقامة العلاقات الاجتماعية).

وإلى جانب تأثير الوراثة، فإن الإسلام يولي أهمية كبيرة لتأثير الوالدين والمجتمع في تشكيل شخصية الإنسان. وفي هذا يقول الرسول (ص): " ما من مولود إلا يولد إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل ترى فيها من جدعاء " (متفق عليه). ويبدو من هذا الحديث أيضا تأثير كل من الوراثة والمحيط (البيئة) في تشكيل الشخصية. كما نعى القرآن الكريم على الكافرين اتباعهم آباءهم في السلوك عامة وفي اعتقاداتهم الباطلة خاصة دون أعمال النظر، وتحكيم العقل. وفي هؤلاء يقول الله تعالى: " وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون " (الأعراف: 28) . ويقول أيضا عن سيدنا إبراهيم وقومه: " ولقد أتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين، إذ قال لأبيه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا عليها آباءنا لها عابدين. قال لقد كنتم وآباؤكم في ضلال مبين " (الأنبياء: 51-54).

ومن الواضح من تجارب عديدة في تاريخ الأفراد والجماعات والأمم أن شخصية الإنسان قابلة للتعلم والتغيير والإبداع والابتداع في مختلف مراحل العمر، وأن الأمثلة على ذلك كثيرة؛ ويكفي أن نشير إلى

إن النظرية التحليلية لا تنكر بأن جزء من الشخصية يتم اكتسابه بواسطة التعلم في المراحل المبكرة من العمر عبر التفاعل بين الصبي و الأبوين بصفة خاصة

لقد أولى الإسلام اهتماما كبيرا لمرحلة الطفولة لما لها من أهمية في تشكيل الشخصية والسلوك، إلا أن تأمل مجمل النصوص لا يبين لنا بأن الفرد محكوم عليه بأن يبقى سجين ماضيه

إن التجربة التاريخية الإسلامية تبين لنا بكل وضوح كيف أن الإسلام قد استطاع تغيير سلوك وشخصيات الصحابة الذين اعتنقوا الإسلام عن اقتناع واعتقاد، ووجهها توجيهها جديدا

استطاع الإسلام تغيير أقوام وحضارات تغييرا جذريا خاصة في مجال العقيدة. وكما أن الإنسان محاسب على ماضيه، فإن باب التوبة مفتوح لتغيير عواقب هذا الماضي إن كان حافلا بالسيئات والذنوب

أما المستقبل فهو بعد هام في تشكيل شخصية المسلم؛ ذلك لأن المستقبل في الإسلام لا يمتد في هذه الحياة الدنيا فقط بل يمتد إلى اليوم الآخر

التغيير الذي أحدثه الإسلام في نفوس أشخاص في مختلف أعمارهم، وفي أحوال القبائل والأمم بمجرد اعتناق الإسلام. وعليه، فإن الإسلام لا يشجع اعتناق حتمية التأثير المطلق للماضي، بل إن الإسلام يفتح الأبواب على مصاريعها لمراجعة النفس وتعديل سلوكها وتغيير طبائعها لتتوافق مع تعاليم الإسلام. ولذا فإن الإسلام يجب ما قبله، ويفتح بالتوبة والاستغفار آفاقا سلوكية جديدة تعيد التفاوض للإنسان. كما لا يبدو الإسلام مشجعا للحتمية المطلقة للبيئة أو للتعلم؛ ذلك لأن للوراثة دورا لا ينكره الإسلام كما للتعلم دوره المؤثر. ولعل تأملنا في الآيات التالية يبين لنا كيف أن الفطرة قابلة للتغيير بالإيمان والعمل، وبذل الجهد. يقول تعالى: "إن الإنسان خلق هلوعا، إذا مسه الشر جزوعا، وإذا مسه الخير منوعا، إلا المصلين، الذين هم على صلاتهم دائمون، والذين في أموالهم حق معلوم،، والذين هم على صلاتهم يحافظون" (المعارج: 19-34).

ويقول تعالى: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم...".

وإذا تأملنا مجمل النصوص، فقد نلاحظ -ظاهريا على الأقل- أن الإسلام يعطى للتعليم أو للبيئة دورا أهم من الدور الذي يوليه للوراثة؛ وهذا تأكيد لدور الإرادة والقدرة على التغيير والتغيير على المستويات: الفردية والجماعية والمجتمعية، كما يبين دور التعلم والتعليم في التغيير والتغيير. ما هو موقف السيكلوجيا الحديثة من هذه النقطة؟

هناك تباين كبير بين السيكلوجيين حول هذه النقطة إلى حد التناقض؛ فهناك من أولى أهمية أكبر للوراثة منكر أي تأثير ذي قيمة للبيئة، كما أن هناك من بالغ وأعطى للبيئة كل التأثير في بلورة الشخصية وما يتصل بها من صفات وخصائص نفسية كالذكاء والدافعية والانفعالات ... إلا أن هذا الصراع قد حسم مؤخرا لترك المجال لموقف توافقي يعترف بتأثير كل من البيئة (المحيط) والوراثة في تشكيل الشخصية والسلوك وتعديلهما وتغييرهما.

إن هذا الموقف التوافقي يعترف بتأثير السمات والحاجات الفردية إلى جانب تأثير المحيط في تشكيل الشخصية والسلوك. وقد جاء هذا الموقف بعد عشرين سنة من الصراع بين السيكلوجيين الغربيين؛ والذي امتد من الستينيات إلى أوائل الثمانينيات (1991 Phares).

8 - هل التفاوض أساس الطبيعة البشرية أم التشاؤم؟

عندما خلق الله آدم، وأخبر الملائكة بنبأ هذا الخلق الجديد الذي جعل في الأرض خليفة قالت الملائكة لله تعالى كيف تجعل في الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء. " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ... " (البقرة: 30). رغم أن الملائكة تساءلت عن الحكمة من خلق آدم، فإن الله تعالى قد أمر الملائكة بالسجود لآدم إذ أن الله تعالى يعلم ما لا تعلمه الملائكة من خلق آدم.

ورغم نسيان آدم لأمر الله تعالى وهو في الجنة مع زوجته، فقد غفر له الله تعالى ذلك بعد توبته. وحتى بعد هبوط آدم وحواء من الجنة، وحتى بعد قتل هابيل لقابيل، وحتى بعد سفك الدماء والمعاصي التي ارتكبتها ويرتكبها الإنسان في حق أخيه الإنسان ماض وحاضرا ومستقبلا، فإن الإنسان -كما بينا أعلاه- ليس شرا كله وليس خيرا كله، بل إن أعماله تتراوح بين الخير والشر حسب الطبيعة (محددات بيولوجية، وراثية) أولا، وحسب التربية والتعلم ثانيا، والإيمان والعمل ثالثا.

يقتر الإسلام تأثير الجانب البيولوجي (الوراثي) في طبع الإنسان وشخصيته؛ فالإنسان مخلوق من نطفة إذا تمنى، ومن نطفة أمشاج؛ أي من ماء الرجل وماء المرأة المختلطين الممتزجين

إن الإسلام يولي أهمية كبيرة لتأثير الوالدين والمجتمع في تشكيل شخصية الإنسان. وفي هذا يقول الرسول (ص): " ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه

إن الإسلام يفتح الأبواب على مصاريعها لمراجعة النفس وتعديل سلوكها وتغيير طبائعها لتتوافق مع تعاليم الإسلام

إن الإسلام يجب ما قبله، ويفتح بالتوبة والاستغفار آفاقا سلوكية جديدة تعيد التفاوض للإنسان. كما لا يبدو الإسلام مشجعا للحتمية المطلقة للبيئة أو للتعلم؛ ذلك لأن للوراثة دورا لا ينكره الإسلام كما للتعلم دوره المؤثر

رغم ضغوط الحياة والصعوبات التي يواجهها الإنسان في هذه الحياة، فإن القرآن ما يفتأ يؤكد على العمل الصالح وعلى ضرورة تحقيق خلافة الله على الأرض كما يحبب الله تعالى ويرضى.

وبالرغم من خطايا بنى آدم، فقد فتح الله لهم أبواب التوبة على مصراعيها، بل ومهما أسرفوا في ارتكاب السيئات فإن الله تعالى يقول: "ويقبل التوبة عن عباده" (التوبة:104). ويقول تعالى: "وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان" البقرة:186. فهل هناك أعظم باب للتعاؤل من هذا الباب؛ وهو باب الرحمة المفتوح دائما للعباد من طرف رب العباد. ويبشر الله تعالى عباده المؤمنين بالأجر العظيم حيث يقول تعالى: "إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا" الإسراء:9.

ورغم ضغوط الحياة والصعوبات التي يواجهها الإنسان في هذه الحياة، فإن القرآن ما يفتأ يؤكد على العمل الصالح و على ضرورة تحقيق خلافة الله على الأرض كما يحب الله تعالى ويرضى. وإذا تأملنا بعض الأحاديث الشريفة فإننا نلاحظ أن النبي (ص) ما يفتأ يحض على التعاؤل ونبذ التطير والتشاؤم. فقد جاء في الحديث الشريف: "لا طيرة وخيرها الفأل قالوا وما الفأل قال الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم" (رواه البخاري في كتاب الطب، وهو حديث متفق عليه). وفي حديث آخر رواه البخاري " قال لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الصالح الكلمة الحسنة". وفي حديث آخر يقول الرسول (ص): "يسروا ولا تعسروا، بشروا ولا تنفروا".

وباختصار، فإن الإسلام كله دعوة للتعاؤل وعدم الاستسلام لليأس والقنوط حتى بالنسبة للذين أسرفوا في الذنوب والخطايا. وفي هذا المعنى يقول الله تعالى: "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم" (الزمر: 35). ويقول تعالى: "إن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا" الشرح: 6-7. ويقول تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: "يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الظالمون" يوسف: 87.

ما هو موقف السيكولوجيا من هذه النقطة ؟

1- موقف النظرية التحليلية :

إذا نظرنا إلى موقف فرويد من هذا الموضوع، فإننا نجد متشائما إلى حد كبير؛ فهو يصف الإنسان وصفا سلبيا متشائما؛ ذلك لأن الإنسان -حسب فرويد- محكوم عليه بالصراع مع قواه الداخلية أي (غرائزه) التي تتغلب عليه دائما، وأن الإنسان محكوم عليه ليصبح ضحية القلق والحصر والصراع. ولعل موقف فرويد هذا راجع لتأثره بالقصص الموجود في التوراة التي شوهت سمعة الأنبياء عليهم السلام، كما قد يرجع ذلك إلى المشاهد المرعبة التي عايشها أثناء الحرب العالمية الثانية. وعلى عكس هذه الموقف المتشائم، فإن كارل يونغ متفائل بخصوص الطبيعة البشرية؛ إذ يرى أن الإنسان قابل للنمو و للتحسن والتطور. ونفس الموقف يقفه أدلر في هذا الموضوع، وكذلك أريك فروم وموراي وهورني.

2- موقف مدرسة السمات:

يصف ألبورت الإنسان وصفا قائما على التعاؤل؛ إذ يؤمن بقابلية الإنسان للتحسن كما يؤمن بالإصلاح الاجتماعي. أما بالنسبة لريموند كاتل (1905 - ...)، فإن موقفه من هذا الموضوع يختلف قليلا عن موقف ألبورت. كان كاتل في فترة شبابه متفائلا حول قدرة الإنسان على حل المشكلات التي تواجه المجتمع؛ وذلك باكتساب المعارف الضرورية للتحكم في المحيط، إلا أن الواقع لم يكن في مستوى توقعات كاتل، ولذا فقد استنتج بأن الطبيعة البشرية والمجتمع قد تقهقرا معا .

ترى هذه المدرسة ممثلة براندها جورج كيلي (1905 - 1967) بأن الإنسان كأنه محفل قادر على تشكيل مفاهيم يستطيع رؤية العالم خلالها، كما يستطيع تشكيل تناوّل (موقفه) متفرد لرؤية الواقع

يرى فرويد بأن الإنسان مدفوع لإمادة التوازن والحفاظ على حالة من التوازن الفسيولوجي وذلك لحماية العضوية من التوتر والحصر

أما أدلر فيعتقد بأن الإنسان في سعي دائم (مجاهدة) لتحقيق التفوق (نمو مستمر)؛ وأن هذا السعي من شأنه أن يزيد التوتر بدلا من خفضه

أخلص رواد التحليل النفسي - ما عدا فرويد- يؤكدون أهمية النمو بدلا من التوازن كخاصية من خصائص الطبيعة البشرية، والشخصية الإنسانية

يرى ألبورت بأن الهدوء الضروري للحياة ليس هو خفض التوتر كما كان يرى فرويد بل رفع حالة التوتر التي تدفع الإنسان للبحث عن أهداف وتحديات جديدة

3 - موقف المدرسة الإنسانية :

يقف رواد المدرسة الإنسانية من هذا الموضوع موقفا إيجابيا؛ فهم جميعا متفائلون حول الطبيعة البشرية. وعليه، فهم يركزون على الصحة النفسية بدلا من الاضطرابات النفسية، وعلى النمو بدلا من الجمود والركود، وعلى الجوانب الإيجابية عند الإنسان بدلا من جوانب ضعفه وعيوبه.

4 - موقف المدرسة السلوكية :

رغم اعتقاد سكينر وبقية السلوكيين أن المحيط هو الذي يتحكم في سلوك الإنسان ، إلا أنهم يؤكدون بأن الإنسان مسؤول عن تصميم وتشكيل هذا المحيط بجوانبه المختلفة : بنايات ، آلات ، ملابس ومأكولات ومؤسسات حكومية ، ونظام اجتماعي ولغة وعادات ... وبناء عليه، ففي استطاعة الإنسان إدخال تعديلات على هذا المحيط لتحقيق ما فيه مصلحته.

ونظرا لهذا، فإن الإنسان يصبح في نفس الوقت متحكما (بكسر الكاف) ، ومتحكما فيه (مراقبا) . وبتعبير آخر، فإن الإنسان -حسب سكينر- هو الذي يصمم ثقافة متحكمة إلا أنه يصبح بالتالي إنتاجا لتلك الثقافة.

5- موقف المدرسة المعرفية :

ترى هذه المدرسة ممثلة براندها جورج كيلي (1905 - 1967) بأن الإنسان كائن عاقل قادر على تشكيل مفاهيم يستطيع رؤية العالم خلالها، كما يستطيع تشكيل تناول (موقف) متفرد لرؤية الواقع. ويعتقد كيلي بأن الإنسان هو الذي يرسم قدره (مصيره) وليس (الإنسان) ضحية القدر.

9 - هل يسعى الإنسان إلى تحقيق التوازن أم هو في نمو مستمر ؟

يبدو من الآيات الكريمة أن الإنسان في نمو مستمر في النواحي الجسمية والنفسية (الوجدانية والعقلية) إلى أن يبلغ أشده في الأربعين ثم يبدأ في الانتكاس في الجوانب الجسمية والنفسية أيضا إلى أن يموت. يقول تعالى: "ومن نعمه ننكسه في الخلق أفلا يعقلون" (يس : 68) .

ورغم هذا القانون العام في النمو، فإن الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة كلها حث على طلب المعرفة و تهذيب النفس وترقيتها في مختلف مراحل العمر؛ وإن كانت المسؤولية تبدأ شرعا بالبلوغ و تنتهي بالموت. أما موقف مختلف مدارس علم النفس فهو كما يلي :

1- موقف المدرسة التحليلية : يرى فرويد بأن الإنسان مدفوع لإعادة التوازن والحفاظ على حالة من التوازن الفسيولوجي وذلك لحماية العضوية من التوتر والحصر. وهذه الدافعية غريزية حيث تدفع العضوية باستمرار وبشكل دوري إلى الإحساس بالتوتر وبالتالي إلى العمل على خفض هذا التوتر، وعلى الحصول على اللذة، وهكذا. وعكس هذا الموقف، فإن كارل يونغ يرى بأن الإنسان في نمو مستمر؛ ويعتقد يونغ بأن أهم التغيرات في الشخصية تبدأ في الظهور عند منتصف العمر بين 35-40 سنة.

أما أدلر فيعتقد بأن الإنسان في سعي دائم (مجاهدة) لتحقيق التفوق (نمو مستمر)؛ وأن هذا السعي من شأنه أن يزيد التوتر بدلا من خفضه. وعكس رأي فرويد، فإن أدلر لا يرى بأن الدافع الوحيد للإنسان هو خفض التوتر ؛ ذلك لأن السعي أو المجاهدة من أجل التفوق يتطلب صرف أكبر قدر من الطاقة والجهد؛ وهذه الحالة عكس حالة التوازن التي تتميز بخفض التوتر. ويؤكد أدلر أن السعي من أجل تحقيق التفوق عملية فردية ومجتمعية .

وباختصار، فإن أغلب رواد التحليل النفسي -ماعدا فرويد- يؤكدون أهمية النمو بدلا من التوازن كخاصية من خصائص الطبيعة البشرية، والشخصية الإنسانية .

إن الإسلام كله دعوة للتفاؤل وعدم الاستسلام لليأس والفتنوط حتى بالنسبة للذين أسرفوا في الذنوب والخطايا

كارل يونغ متفائل بخصوص الطبيعة البشرية؛ إذ يرى أن الإنسان قابل للنمو والتحسن والتطور. ونفس الموقف يقفه أدلر في هذا الموضوع، وكذلك أريك فروم وموراي وهورني.

يصنف ألبورت الإنسان وصفا قائما على التفاؤل؛ إذ يؤمن بقابلية الإنسان للتحسن كما يؤمن بالإصلاح الاجتماعي

يقف رواد المدرسة الإنسانية من هذا الموضوع موقفا إيجابيا؛ فهم جميعا متفائلون حول الطبيعة البشرية. وعليه، فهم يركزون على الصحة النفسية بدلا من الاضطرابات النفسية

2- موقف مدرسة السمات : يرى ألبورت بأن الهدف الضروري للحياة ليس هو خفض التوتر كما كان يرى فرويد بل رفع حالة التوتر التي تدفع الإنسان للبحث عن أهداف وتحديات جديدة . وعندما ينجز الإنسان تحديا ما ، تتشكل عنده دافعية لإنجاز تحدي آخر . والمجازي في العملية -حسب ألبورت- ليس الإنجاز في حد ذاته بل عملية الإنجاز ، وكذلك الأمر عند المجاهدة لإنجاز هدف ما ؛ فالمجازي هو المجاهدة (عملية السعي) وليس تحقيق الهدف نفسه. وعليه، فالإنسان في حاجة مستمرة لأهداف جديدة لتحفيزه وتشجيعه، وللحفاظ على مستوى ضروري من التوتر في الشخصية.

3- موقف المدرسة الإنسانية : يعتقد رواد هذه المدرسة أن الإنسان في نمو مستمر ؛ فالإنسان - حسب ماسلو- تدفعه حاجات فطرية تتدرج في شكل هرمي من حاجات أساسية (فسيولوجية) من مأكل ومشرب وتنازل ونوم وتنفس إلى الحاجة إلى الأمن فالإلى الحاجة إلى الانتماء والحب وإلى الحاجة إلى التقدير وانتهاء بالحاجة إلى تحقيق الذات وهي أعلى الحاجات . ولا تتحقق هذه الحاجة الأخيرة حسب - ماسلو- إلا عند منتصف العمر كما أنها لا تتحقق إلا عند نسبة ضئيلة من الأشخاص الناجحين .

4- موقف المدرسة السلوكية : لم يتعرض رواد المدرسة السلوكية للدوافع الداخلية أو للتوتر الداخلي الذي يدفع الإنسان لتحقيق أهداف أو لإنجاز ما ؛ ذلك لأن تشكل السلوك حسب السلوكيين يتم بالتعلم، وأن سلوك الإنسان هو نتيجة التعلم الذي تشكله عوامل خارجية. وينبني على هذا رفض وجود أية عوامل فطرية (وراثية) أو داخلية (ذاتية) تدفع الإنسان لإنجاز أهداف ما . وإذا كانت هناك أية أهداف فليست -حسب سكينز- أهدافا فردية بل هي أهداف اجتماعية . ورغم تأكيد السلوكيين على تشكل السلوك الأساسي في مرحلة الطفولة، فانهم لا ينفون إمكانية تعديل و تغيير السلوك في مرحلة الرشد، واكتساب أنماط جديدة من السلوك.

وباختصار، فان موقف السلوكيين من هذا الموضوع (التوازن-النمو) هو موقف معتدل.

10 - هل كل إنسان متفرد (متمايز) بخصائصه وشخصيته أم هناك بجانب التفرد عالمية وشمولية في الطبيعة البشرية وأبعاد الشخصية ؟

يتفق أغلب السيكلوجيين الذين كتبوا في موضوع الشخصية على أن من مميزات الشخصية: التمايز والثبات عبر الزمن، إلا أنهم اختلفوا حول الخاصية المتمثلة في التفرد/ العالمية كخاصية من خواص الطبيعة البشرية هل هي متميزة أم عالمية.

1- موقف المدرسة التحليلية : يعترف فرويد بعدد (خاصية) العالمية في الطبيعة البشرية حيث يرى بأن كل إنسان يمر بنفس مراحل النمو النفسي - الجنسي، وأن كل إنسان تدفعه نفس القوى والغرائز (الهو) . ورغم هذا فقد أكد فرويد أن جزءا من الشخصية متفرد ومتمايز . وعليه ، فان الأنا والأنا الأعلى -وان كانا يؤديان نفس الوظائف بالنسبة لكل شخص- إلا أن محتواهما يختلف من شخص لآخر؛ ذلك لأنهما تشكلا عبر تجارب شخصية يمر بها كل فرد على حدة. أما يونغ فيقف موقفا وسطا من هذه الموضوع مثل فرويد تماما إلا أنه يختلف عنه في شرح هذا البعد في الشخصية. يرى يونغ أن هناك تمايزا في الشخصية حتى منتصف العمر ، أما بعد ذلك فهناك عالمية في تشكل الشخصية حيث لا تظهر بعد منتصف العمر أية أنماط متميزة للشخصية حسب يونغ. وعكس موقفي فرويد و يونغ، فقد أكد أدلر بوضوح خاصية التمايز والتفرد في الشخصية . ويقف فروم من هذا الموقف موقفا وسطا حيث يعترف بأن هناك بعد العالمية (الشمولية) في الشخصية ؛ ويتمثل ذلك في خاصية اجتماعية مشتركة ضمن إطار ثقافة ما، وفي نفس الوقت يعتقد فروم بأن كل شخص متميز عن الآخرين.

رغم اعتقاد سكينز وبقيّة السلوكيين أن المحيط هو الذي يتحكم في سلوك الإنسان ، إلا أنهم يؤكدون بأن الإنسان مسؤول عن تصميم وتشكيل هذا المحيط بجوانبه المختلفة

أن من مميزات الشخصية: التمايز والثبات عبر الزمن، إلا أنهم اختلفوا حول الخاصية المتمثلة في التفرد/ العالمية كخاصية من خواص الطبيعة البشرية هل هي متميزة أم عالمية.

يعترف فرويد بعدد (خاصية) العالمية في الطبيعة البشرية حيث يرى بأن كل إنسان يمر بنفس مراحل النمو النفسي - الجنسي، وأن كل إنسان تدفعه نفس القوى والغرائز (الهو)

أكد أدلر بوضوح خاصية التمايز والتفرد في الشخصية

2- موقف مدرسة السمات : يرى ألبرت بأن كل شخص متميز عن الآخرين؛ ذلك لأن لكل فرد سماته واستعداداته التي تحدد بدقة شخصيته وتميزه عن الآخرين . ورغم هذا الموقف، فإن ألبرت لا ينكر وجود سمات مشتركة بين الناس .

3- موقف المدرسة الإنسانية : يعتقد ماسلو بأن الحاجات والدوافع مشتركة بين الناس (عالمية) إلا أن أساليب إشباع هذه الحاجات تختلف من شخص لآخر؛ ذلك لأن هذا السلوك يتم تعلمه. وعليه، فإن ماسلو و روجرز يقفان موقفا وسطا في هذا الموضوع.

4- موقف المدرسة السلوكية : نظرا لأن تشكل السلوك يتم بالتعلم، فإن كل شخص يتميز عن الآخرين؛ ذلك لأن التجربة هي التي تشكل السلوك وأن كل الأشخاص لهم تجارب مختلفة وخاصة أثناء الطفولة. وعليه، فإننا لن نجد شخصين يسلكان بدقة نفس السلوك؛ أي أن التمايز هو الخاصية الأساسية للطبيعة البشرية وللشخصية الإنسانية.

5- موقف الإسلام : من الواضح -كما جاء في القرآن الكريم- أن البشر قد خلقوا أصلا من نفس واحدة. وقد ورد هذا التأكيد أربع مرات في القرآن الكريم : سورة النساء: 1 ، سورة الأنعام: 98، سورة الأعراف: 189، سورة الزمر: 6 . ورغم هذا الخلق من نفس واحدة إلا أن الإسلام يقر التفاوت والتمايز بين البشر سواء كان ذلك في الناحية الجسمية أم النفسية أم الاثنين ، كما أن المسؤولية عن الأعمال والسلوك -في الإسلام- مسؤولية فردية. وفي هذا المعنى يقول تعالى : "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير" (الحجرات : 13). يمكن أن نفهم من هذه الآية أن التمايز قائم على المستويين: الفردي والمجمعي (قبائل وشعوب). وقد جعل الله تعالى اختلاف الألوان والألسن آية لأولى الأبواب. يقول تعالى:

"ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم و ألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين" (الروم : 22). ويقول تعالى في تفصيل بعض الناس عن بعض أو ما يسمى حديثا بالفروق الفردية : "وقال لهم نبههم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم" (البقرة: 247). ويقول تعالى : "انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا" (الإسراء: 21). ويقول تعالى بخصوص المسؤولية الفردية: "ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون" (الزمر: 70). وعندما نتأمل صيغ التمايز فإننا نجدها كثيرة بعضها جسمي وبعضها الآخر نفسي وبعضها الآخر ديني؛ وذلك كله تبعا لمشيئة الله تعالى وفي هذا المعنى يقول تعالى: "ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين" (هود: 118-119). وحسب تفسير الجلالين، فإن المقصود بالاختلاف في هذه الآية هو الاختلاف في الدين.

يمكن أن نستنتج من مجموع هذه الآيات أن الطبيعة البشرية والشخصية الإنسانية قائمة على التمايز وإن كان أصلها واحدا (من نفس واحدة)، وأن هذا التمايز قائم على المستويات الجسمية والنفسية والروحية (عند الفرد)، وقائم على مستوى التنظيمات الاجتماعية والدينية والعرقية (قبائل وشعوب وألوان وألسنة وأديان ومذاهب). وأخيرا، فإنه من الممكن تصور نموذج للطبيعة البشرية من منظور إسلامي وفق الأبعاد والخصائص المذكورة أعلاه.

نحو نموذج للطبيعة البشرية من منظور إسلامي:

يقف فرود من هذا الموقف موقفا وسطا حيث يعترف بأن هناك بعد العالمية (الشمولية) في الشخصية؛ ويتمثل ذلك في خاصية اجتماعية مشتركة ضمن إطار ثقافة ما، وفي نفس الوقت يعتقد فرود بأن كل شخص متميز عن الآخرين

يرى ألبرت بأن كل شخص متميز عن الآخرين؛ ذلك لأن لكل فرد سماته واستعداداته التي تحدد بدقة شخصيته وتميزه عن الآخرين

يعتقد ماسلو بأن الحاجات والدوافع مشتركة بين الناس (عالمية) إلا أن أساليب إشباع هذه الحاجات تختلف من شخص لآخر؛ ذلك لأن هذا السلوك يتم تعلمه

نظرا لأن تشكل السلوك يتم بالتعلم، فإن كل شخص يتميز عن الآخرين؛ ذلك لأن التجربة هي التي تشكل السلوك وأن كل الأشخاص لهم تجارب مختلفة وخاصة أثناء الطفولة. وعليه، فإننا لن نجد شخصين يسلكان بدقة نفس السلوك

من أهم مميزات هذا النموذج ما يأتي:

- 1- تأكيد الجانب الروحي، وتأثير هذا الجانب الروحي بالمفهوم الإيماني في الشخصية والسلوك.
 - 2- هناك علاقة مباشرة بين الإيمان والسلوك، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.
 - 3- هناك تكامل وتفاعل بين الجوانب الروحية والبيولوجية والفيزيائية في تكوين شخصية الإنسان وسلوكه.
 - 4- الإنسان مخير في بعض القضايا ومجبر في أخرى.
 - 5- يبدو أن البيئة أو المحيط أكثر تأثيراً من الوراثة رغم الاعتراف بتأثير الوراثة أو بالجانب البيولوجي في تشكيل السلوك والشخصية.
 - 6- تركز النظرة الإسلامية على أهمية النمو والتغير والتعلم في تشكيل الشخصية وبلورة السلوك بدلا من التركيز على عملية تحقيق التوازن التي تهدف أساسا إلى خفض التوتر والبحث عن اللذة.
 - 7- رغم الجوانب السلبية في شخصية وسلوك الإنسان فان المنظور الإسلامي للشخصية أكثر تقاؤلا من موقف بعض السيكلوجيين. ويدعو المنظور الإسلامي للتقاؤل ونبذ التطير والتشاؤم، وعدم الاستسلام لليأس والقنوط، ولتأثير الأحلام المزعجة.
 - 8- رغم تأكيدات المنظور الإسلامي على أصل الخلق من نفس واحدة، فان التمايز على كل المستويات الروحية والنفسية والبيولوجية والفيزيائية أهم من أوجه التشابه أو النمطية في الشخصية والسلوك. والنظرة الإسلامية كلها دعوة للتنافس بين الناس في أوجه الخير والعمل الصالح.
 - 9- حاضر ومستقبل الشخصية (في هذه الدنيا وفي الآخرة) والسلوك المرتبط بهما أهم من الماضي في المنظور الإسلامي، بل إن مرحلة الطفولة وحتى البلوغ لا تترتب عنها أية محاسبة من الناحية الشرعية. ولكن هذه المرحلة من النواحي التربوية و مسؤولية الوالدين والمؤسسات الاجتماعية مرحلة أساسية لم يهملها الإسلام بتاتا. ومن الجدير بالملاحظة أن الإسلام قد نظر إلى حياة الإنسان نظرة شاملة تبدأ بمرحلة ما قبل الولادة إلى مرحلة الولادة فإلى مختلف مراحل العمر حتى الوفاة ثم إلى ما بعد الموت (البرزخ، الجنة أو النار). وقد ذكر الله تعالى موضوع الإحياء ثم الإماتة ثم الإحياء مرة أخرى في أربع آيات (البقرة: 28، الحج: 66، الجاثية: 26، الروم: 40). يقول تعالى في سورة البقرة: "كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون". ويقول في سورة الحج: "وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون".
- ومن المعلوم أن أقصى ما توصل إليه السيكلوجيون المعاصرون هو دراسة الشخصية من الولادة إلى الوفاة كما فعل اريك اريكسون (1902-.....) المعروف بنظريته المسماة بالنمو النفسي-الاجتماعي، أو بالتناول المسمى "طول الحياة" (Approach Life Span).

خاتمة

من الصعب وضع خاتمة لموضوع حول الطبيعة البشرية من منظور مقارن؛ فالخاتمة إذن للمقال وليس للموضوع. ومهما يكن، فإني لا أدعى بأني وفيت الموضوع حقه، خاصة وأن تصورات الطبيعة البشرية -كما أشرت إلى ذلك- متنوعة ومتعددة بتعدد المذاهب الفلسفية والفكرية والدينية، والمدارس النفسية والاجتماعية، والموضوع في حاجة إلى نقاش كبير وإثراء مستمر وبحث أكثر عمقا ودقة. وقد أغفل المسلمون لمدة طويلة دراسة خصائص الطبيعة البشرية، وعلوم الإنسان رغم أهمية هذه العلوم في البناء الحضاري، ورغم أن الإنسان هو محور الرسالة التي جاء بها القرآن الكريم؛ فالرسالة للإنسان ليقوم خلافة الله على الأرض.

عندما نتأمل صيغ التمايز فإننا نجدها كثيرة بعضها جسمي وبعضها الآخر نفسي وبعضها الآخر ديني؛ وذلك كله تبعا لمشيئة الله تعالى

يقول تعالى: "ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جنهم من الجنة والناس أجمعين" (هود: 118-119).

أن الطبيعة البشرية والشخصية الإنسانية قائمة على التمايز وإن كان أصلا واحدا (من نفس واحدة)، وأن هذا التمايز قائم على المستويات الجسمية والنفسية والروحية (عند الفرد)، وقائم على مستوى التنظيمات الاجتماعية والدينية والعرقية

تأكيد الجانب الروحي، وتأثير هذا الجانب الروحي بالمفهوم الإيماني في الشخصية والسلوك

هناك تكامل وتفاعل بين الجوانب الروحية والبيولوجية والفيزيائية في تكوين شخصية الإنسان وسلوكه.

ورغم زعمي في بداية الدراسة بأنني سأقوم بمقارنة مختلف التصورات والنظريات حول الطبيعة البشرية من "منظور إسلامي-نفسى-مقارن"، إلا أنني لم أبين دائما وبصفة واضحة كل أوجه الشبه والاختلاف بين هذه التصورات والنظريات، وتركت ذلك أحيانا لإدراك القارئ واستنتاجه .

وعلى كل، فإن هذه الدراسة قد تساعد المهتمين بهذا الموضوع على وضع افتراضات وفرضيات حول الطبيعة البشرية من منظور نفسي بصفة عامة، وما يتصل بهذه الطبيعة من نظريات في الشخصية الإنسانية والسلوك الاجتماعي بصفة خاصة بحيث تكون هذه الفرضيات قابلة للفحص و البحث الإمبريقي أو للبحث المنطقي أو لكليهما، وقابلة للمقارنة بين الثقافات والأديان. كما يمكن أن تشكل هذه الدراسة قاعدة نظرية لدراسات أخرى في الموضوع، ودراسات نفسية نظرية وامبريقية تتصل بعلم نفس الشخصية والسلوك الاجتماعي من منظور إسلامي.

وفي الواقع، فإن جهود "أسلمة" علم النفس ينبغي أن تبدأ بوضع الأسس النظرية لتصور الطبيعة البشرية من الناحية النفسية من جهة، وتحديد موضوع علم النفس ومنهجه أو مناهجه من جهة أخرى. ولا يخفي أن تصور الطبيعة البشرية من الناحية النفسية لا يمكن فصله عن تصور هذه الطبيعة دينيا وفلسفيا وأخلاقيا إلا فصلا منهجيا بهدف التخصص على أن يكون هذا التخصص متكاملًا مع التخصصات الأخرى في العلوم الاجتماعية مثل الفلسفة وعلم الاجتماع والاتصال وغيرها من العلوم الإنسانية، ومتكامل مع علوم الوحي (العلوم الشرعية) بفروعها المختلفة أيضا.

المراجع والمصادر

- 1- المراجع العربية :
 - الشاطبي، أبو إسحاق (1997). الموافقات في أصول الشريعة، ط1. دار ابن عفان.
 - العاني، نزار (1998). الشخصية الإنسانية. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان.
 - العقاد، عباس محمود (1977). الإنسان في القرآن الكريم. دار الإسلام، القاهرة.
 - بنت الشاطي، عبد الرحمن (1982). القرآن وقضايا الإنسان. دار العلم للملايين، بيروت.
 - لطفی، بركات أحمد (1981). الطبيعة البشرية في القرآن الكريم. دار المريخ، الرياض.
 - عبد العزيز، أمير (1984). الإنسان في الإسلام. دار الفرقان، عمان.
 - الفاروقي، إسماعيل (1994). نظرية الإنسان في القرآن الكريم. التوحيد، س2، ع9، 1404هـ.
 - محروس، سيد مرسى (1988). التربية والطبيعة الإنسانية في الفكر الإسلامي وبعض الفلسفات الغربية. دار المعارف، القاهرة.
 - أكبر، أحمد (1990). نحو علم الإنسان الإسلامي. ترجمة عبد الغاني خلف الله. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا.
1. S. L. Wrightsman. Assumptions About Human Nature, 2nd ed. (Newbury Park: Sage Publications, 1992.)
2. L. Stevenson. Seven Theories of Human Nature, 2nd ed. Oxford: Oxford University Press, 1987.
3. N. Chany. Six Images of Human Nature (Englewood, New Jersey: Prentice- Hall, 1990)

يبدو أن البيئة أو المحيط أكثر تأثيراً من الوراثة رغم الاعتراف بتأثير الوراثة أو بالجانب البيولوجي في تشكيل السلوك والشخصية

رغم تأكيد المنظور الإسلامي على أصل الخلق من نفس واحدة، فإن التمايز على كل المستويات الروحية والنفسية والبيولوجية والفيزيائية أهم من أوجه التشابه أو النمطية في الشخصية والسلوك

حاضر ومستقبل الشخصية (في هذه الدنيا وفي الآخرة) والسلوك المرتبط بهما أهم من الماضي في المنظور الإسلامي، بل إن مرحلة الطفولة وحتى البلوغ لا تترتب عنهما أية محاسبة من الناحية الشرعية.

هذه الدراسة قد تساعد المهتمين بهذا الموضوع على وضع افتراضات وفرضيات حول الطبيعة البشرية من منظور نفسي بصفة عامة، وما يتصل بهذه الطبيعة من نظريات في الشخصية الإنسانية والسلوك الاجتماعي بصفة خاصة

12.D. Schultz and S.E. Schultz. Theories of Personality, 5th ed. (Pacific Grove: Brooks/Cole Publishing, 1994).

13.14. Schultz and Schultz: Theories of Personality, 152-193

21.Surat Al-Ma'arij: 19-34

22. E.J. Phares. Introduction to Personality (New York: Harper Collins College Publications, 1991).

23. Schultz and Schultz, Theories of Personality, 219-245.

إن جهود "أسلمة" علم النفس ينبغي أن تبدأ بوضع الأسس النظرية لتصور الطبيعة البشرية من الناحية النفسية من جهة، وتحديد موضوع علم النفس ومنهجه أو مناهجه من جهة أخرى

¹Achoui, M. (1999). Human Nature: A Comparative Perspective, American Journal of Islamic Social Sciences. Special Issue on Psychology, Vol. 15, n. 4, 71-95, USA.

مجلة "بصائر نفسانية"

مجلة المستجديات العربية في علوم وطب النفس

"بصائر نفسانية" على المتجر الإلكتروني

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=25&controller=category&id_lang=3

"بصائر نفسانية" على شبكة العلوم النفسية العربية

<http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-eJbs.htm>

ملفات الأعداد القادمة

<http://www.arabpsynet.com/apn.journal/Bassaaer-NextTopics.pdf>

"بصائر نفسانية" على الفيس بوك

www.facebook.com/BassaaerNafssania-Magazine-259758497705299/

بوستر "بصائر نفسانية"

<http://www.arabpsynet.com/AFP-PubBr/APF.BassaaerPubBr.pdf>

العدد الثاني من الكتاب السنوي 2021 "شبكة العلوم النفسية العربية" (العدد الثامن)

إصدارات دورية رقمية في علوم وطب النفس

التحميل من الموقع العلمي

<http://arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetPart2.pdf>

التحميل من المتجر الإلكتروني

http://arabpsyfound.com/index.php?id_product=290&controller=product&id_lang=3

العدد الأخير العدد 36 - شتاء 2022

الملف : مالك بدري... رائد التأسيس والاعتاق من فجر الضج

المشرف : الأستاذ الدكتور صالح إبراهيم الصنيع (علم النفس - السعودية)

رابط شراء العدد

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=502&controller=product&id_lang=3

الفهرس & الإقتحابة

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=501&controller=product&id_lang=3

ملخصات كامل العدد 36

<http://www.arabpsynet.com/apn.journal/eJbs36/eJbs36.HTM>

سورة يوسف: قراءة نفسية



amusta2009@gmail.com

أ.د. مصطفى مشوي - أستاذ علم النفس (الجزائر)

ملخص البحث

تتجلى في سورة يوسف عدة مواضيع نفسية هامة، تشكل دروساً وعبراً لمن أراد التعلم والاعتبار؛ فالسورة حافلة بمشاهد تتجلى فيها انفعالات الغيرة، والحزن، والغضب، والخوف، والسرور، وبمشاهد الابتلاء للنبي يوسف -عليه السلام- ابتلاء بغيرة الإخوة، وابتلاء بفتنة الشهوة، وابتلاء بالسجن، وابتلاء بالملك والسلطة والقوة، وفي السورة أيضاً مشهد لابتلاء النبي يعقوب -عليه السلام- بفقدان ابنه يوسف وابن آخر، وبفقدان بصره، ومشهد لصبره الطويل، ولعدم تسرب اليأس إلى قلبه رغم معاناته الشديدة. وتبين السورة أن طول الابتلاء -مهما طال- لا يعني اليأس من روح الله، والسورة حافلة أيضاً بمشاهد تتحقق فيها الرؤى؛ رؤيا صاحبي يوسف في السجن، ورؤيا الملك، ورؤيا يوسف عليه السلام.

وتوضح السورة انطباق سنن الطبيعة البشرية وقوانين تدافع قوى الشر والخير على الأنبياء والرسل، وإن كان الوحي يوجههم ويعصمهم من الزلل، كما توضح السورة مدى تحمل الأنبياء للأحزان والابتلاء والفتن، وتقدم السورة أيضاً نموذجاً للسمو الأخلاقي، والعفو عند المقدرة، من طرف قائد تولى أمانة الحكم في سنوات الشدة وسنوات الرخاء، وساس البلاد والعباد بالعدل والإحسان، فأخرج البلاد من الأزمة، وأغاث الناس الذين مسهم الضر في عدة مناطق.

وباختصار، فإن السورة تبين في الجانب النفسي دور الانفعالات في تحريك السلوك والتأثير فيه، كما تبين تفاعل وتكامل الأبعاد المختلفة التي تكوّن شخصية الإنسان: الجسمية، والروحية، والعقلية، والوجدانية، والسلوكية، وكيفية تأثير كل جانب في الجوانب الأخرى، وتأثره بها. وتبين أيضاً دور القيادة الرشيدة في إدارة الأزمة، والخصائص الرئيسية لهذه القيادة من علم وخبرة وقوة وتخطيط وأمانة وعدل وإتقان وصبر وعفو عند المقدرة.

مقدمة:

سورة يوسف من السور التي تعتمد على القصة (القصص) لتعليم الناس دروساً في السلوك واستخلاص العبر من تجارب الآخرين. وتعتبر سورة يوسف نموذجاً للسور وللآيات التي تتناول بالعرض المفصل حياة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، ومحيطهم (النفسى-الاجتماعي)، وما لاقوه في سبيل الدعوة إلى الحق من متاعب وأهوال وأحزان. وهذه السورة نموذج للصراع بين الحق والباطل، وبين العقل والهوى، وبين المصالح الشخصية المبنية على الأنانية، وخدمة المصلحة العامة للأسرة والمجتمع والإنسانية، وهذه السورة أيضاً مثال واقعي يبين كيف أن البريء المظلوم قد يصبح متهماً، ويعامل كظالم، وأن أي شخص -مهما علا مقامه وارتفعت مكانته- قد يُحكم عليه زوراً وبهتاناً، ويُودع السجن مع المجرمين!

وتتجلى في هذه السورة الانفعالات البشرية، الحياة الوجدانية للبشر كما هي في الواقع، دون أقنعة. وعندما يحاول بعضهم -مثل إخوة يوسف وامرأة العزيز- اصطناع أقنعة العفاف والخير بصفة عامة؛ فإنها لا تلبث أن تتساقط كما تتساقط أوراق الشجر في فصل الخريف وليست هذه القراءة النفسية لسورة (يوسف) إلا محاولة متواضعة لفهم هذه السورة من خلال تناول نفسي للأحداث وأنماط السلوك الواردة في هذه السورة، وخاصةً الجانب الوجداني (الانفعالي) للإنسان، الذي صُوّر في هذه السورة أحسن تصوير.

ولعل هذا التناول النفسي يساعدنا على فهم القرآن الكريم من منظورٍ مختلفٍ عن بقية المقاربات الأخرى المعتمدة في كتب التفسير المعروفة، وإن كان يستعين ببعض هذه التفسيرات. ومن جهة أخرى؛ فإن هدف هذه الدراسة هو محاولة لفهم الإنسان، وخاصةً الجانب الوجداني منه، ودوافعه وكيفية تأثير هذا الجانب في بقية الجوانب والأبعاد التي تكوّن الإنسان سواء كانت روحية أم جسمية، أم عقلية أم وجدانية أم سلوكية -كما جاء ذلك في القرآن الكريم- وكيفية التأثير بها أيضاً. وسيكون ما جاء في القرآن الكريم هو المنطلق لفهم الإنسان، وليس ما هو وارد في السيكولوجية الحديثة فحسب، كما لجأ إلى ذلك بعض علماء النفس المسلمين المعاصرين الذين لجأوا إلى إسقاط بعض النظريات النفسية أو أجزاء منها على آيات قرآنية.

لقد كانت سورة يوسف -ولا تزال- موضوعاً ثرياً للتأملات والدراسات؛ بل وللأعمال الفنية مثل الإخراج التلفزيوني أو السينمائي، بغض النظر عن عمق هذه الدراسات وأهدافها.

فبالإضافة إلى تفسير القرآن الكريم التي فسرت هذه السورة من زوايا مختلفة، فقد اتخذ (مالك بن نبي) - مثلاً - في كتابه "الظاهرة القرآنية [1]" هذه السورة نموذجاً لدراسة القرآن الكريم، كظاهرة من الممكن دراستها علمياً وموضوعياً، وقد وصل إلى نتيجة مُفادها: أن القرآن الكريم لا يمكن إلا أن يكون من تنزيل العزيز الحكيم. وقد قامت منهجية (مالك بن نبي) على مقارنة قصة سيدنا يوسف في القرآن الكريم مع قصة يوسف كما جاءت في "العهد القديم"، وانتهى إلى وجود اختلافات جوهرية بين القصتين! وكانت هذه السورة موضوع مؤتمر انعقد بدمشق سنة 1926م، تحت عنوان (مؤتمر تفسير سورة يوسف)، تم فيه التعرض لطبائع الصهاينة وأخلاقهم وسلوكهم. [2]

أحاول في هذه الدراسة عدم الخوض في التفاصيل والإسرائيليات والأحاديث الموضوعية المتصلة بقصة يوسف - عليه السلام - وأسجل هنا - مع الأسف -: أن بعض تفسيرات القرآن الكريم حافلة بالإسرائيليات والروايات، التي لا يقبلها العقل السليم والذوق الرفيع حول قصة يوسف - عليه السلام.

سورة يوسف من السور التي تعتمد على القصة (القصص) لتعليم الناس دروساً في السلوك واستخلاص العبر من تجارب الآخرين

هذه السورة نموذج للصراع بين الحق والباطل، وبين العقل والهوى، وبين المصالح الشخصية المبنية على الأنانية، وخدمة المصلحة العامة للأسرة والمجتمع والإنسانية.

هذه السورة أيضاً مثال واقعي يبين كيف أن البريء المظلوم قد يصبح متهماً، ويعامل كظالم

يلاحظ المتأمل في قصة يوسف مدى عمق الانفعالات التي تحرك الإنسان، وشذبتها في دفعه للقيام ببعض أنماط السلوك غير المقبولة والتي قد تصل إلى حد الإجرام في حق الأقراب والوالدين

إن سورة يوسف - عليه السلام - عبارة عن آيات متناحمة، تتماوج فيها الانفعالات ظهوراً واختفاءً، قوةً وضعفاً، حسداً وإيثاراً، حباً وكراهيةً، حزناً وسروراً، غضباً ومحناً

ومهما يكن من أمر، فإن هذه السورة الكريمة قد نزلت - كما أكد ذلك كثير من المفسرين - [3] في عام اشتدت فيه الآلام والأحزان على رسول الله - صلي الله عليه وسلم - لوفاة زوجته خديجة - رضي الله عنها - وعمه أبي طالب؛ حتى عرف ذلك العام بـ (عام الحزن)، عامً اشتدت فيه الأحزان على رسول الله - صلي الله عليه وسلم - وعلى أتباعه، فنزلت هذه السورة لتعلم المسلمين كيفية التعامل مع الأحزان التي ترافق الشدائد ومصاعب الحياة؛ وذلك بعرض نموذج من حياة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - الذين تعرضوا للأهوال والشدائد والأحزان؛ لكي يكون هذا النموذج مثلاً يُقتدى به في التعامل مع الأحزان، وقد قال عطاء في هذا المعنى: "لا يسمع سورة يوسف محزونٌ إلا استراح لها. [3]"

ويلاحظ المتأمل في قصة يوسف مدى عمق الانفعالات التي تحرك الإنسان، وشدتها في دفعه للقيام ببعض أنماط السلوك غير المقبولة والتي قد تصل إلى حد الإجرام في حق الأقارب والوالدين، كما يلاحظ دور الإيمان - والجانب الروحي عموماً - في ضبط الانفعالات ومراقبتها، ودور تحكيم العقل في إعادة التوازن للجانب الانفعالي المضطرب، وفي ظهور الانفعالات الإيجابية، بدلاً من الانفعالات السلبية التي تطغى على سلوك الإنسان.

وباختصار؛ فإن سورة يوسف - عليه السلام - عبارة عن آيات متناغمة، تتماوج فيها الانفعالات ظهوراً واختفاءً، قوةً وضعفاً، حسداً وإيثاراً، حباً وكرهيةً، حزناً وسروراً، غضباً وحنواً. وهذه القصة نموذج أيضاً لتعليم الناس عموماً، والنشء خصوصاً؛ كيفية تهذيب سلوكهم، وضبط انفعالاتهم، وكيفية الرجوع إلى الحق والفضيلة بعد الخطأ والردية، باستعمال القصة الهادفة.

وينبغي أن أُنَبِّه في آخر هذا التقديم: أن محاولة القراءة هذه ليست تفسيراً للقرآن الكريم؛ بل هي محاولة لفهم القرآن الكريم من منظور علم النفس العام، ولا ينبغي أن يُفهم أن هذه المحاولة عبارة عن عمل نهائي في هذا المجال؛ بل عبارة عن تجربة أراد كاتبها أن يخوضها، وأن يقدمها للباحثين والمهتمين للمناقشة والإثراء.. ولكي تكون منهجاً لدراسات تأصيلية أكثر عمقا في فهم الإنسان من منظور تكاملي.

الرؤيا:

تبدأ سورة يوسف بإثارة الانتباه - بحروف ثلاثة لا نعرف لها معنىً محدداً - إلى آيات الكتاب المبين، التي نزلت بلغة عربية على قوم لا يفهمون ولا يعرفون غيرها من اللغات، مما يوضح العلاقة الوثيقة بين اللغة والعقل. والقصة تعتمد أساساً على اللغة؛ وهل يمكن تأليف قصة أو إخراجها سينمائياً أو تلفزيونياً، أو رسماً أو تصويراً، أو بأي شكل من أشكال التعبير والاتصال دون لغة، مهما كانت هذه اللغة بسيطة أو معقدة، رمزية أو مجسمة، لفظية أو جسدية؟ وكما تعتمد القصة على اللغة؛ فإن "القصة" من أساليب تعليم اللغة، وتعليم السلوك وتغييره.

وهذه القصة لم يقبستها النبي - صلي الله عليه وسلم - من اليهود والنصارى، كما لم يسمعها من القصاصين والرواة؛ بل الوحي مصدرها، فالوحي هو مصدر المعرفة إلى جانب مصادر أخرى؛ مثل اللغة، والعقل، والطبيعة، والتجربة ولولا هذا الوحي لكان محمد صلي الله عليه وسلم - وبقية غافلاً عما حدث في القرون الغابرة لغيره من الأنبياء والرسل، والأقوام والمجتمعات.

وبعد هذا المدخل عن مصدر المعرفة، وعلاقة اللغة بالعقل، تبدأ القصة بجلوس يوسف - وهو غلام لم يبلغ الحلم - ذات صباح قرب أبيه؛ ليقص عليه الرؤيا التي ظهرت لعقله الصغير - ولا شك - غريبة، لم يستطع فهم دلالتها الرمزية المعقدة، مما أثار دهشته وتعجبه إلى درجة لم يستطع كتمان ما رأى. كيف

هذه القصة لم يقبستها النبي - صلي الله عليه وسلم - من اليهود والنصارى، كما لم يسمعها من القصاصين والرواة؛ بل الوحي مصدرها، فالوحي هو مصدر المعرفة إلى جانب مصادر أخرى؛ مثل اللغة، والعقل، والطبيعة، والتجربة

تبدأ القصة بجلوس يوسف - وهو غلام لم يبلغ الحلم - ذات صباح قرب أبيه؛ ليقص عليه الرؤيا التي ظهرت لعقله الصغير - ولا شك - غريبة، لم يستطع فهم دلالتها الرمزية المعقدة

أليس محبباً أن يرى طفلٌ دون البلوغ أحد عشر كوكباً والشمس والقمر يسجدون له؟! ما معنى أحد عشر كوكباً؟ ولماذا؟ وكيف تسجد له هذه الكواكب والشمس والقمر؟!

التاريخ والواقع حافلٌ بقصص أدت فيها الغيرة إلى التخلص من الإخوة والأخوات، وتحيرهم من الأقرباء، في سبيل الاستئثار بالمال أو الملك أو القيادة، أو بمنصب أو غير ذلك مما حبيب للإنسان.

الغيرة انفعال مركب وشديد تحركه انفعالات أخرى كالخوف والغضب؛ خوفاً من ضياع شيء، أو خوفاً من عدم الحصول عليه، مما يؤدي إلى غضب الشخص، وتحرك قوى العدوان في نفسه؛ دفاعاً عن ذاته وحماية لها

يستطيع الكتمان في هذه السن؟! فلجأ إلى أبيه الذي كان يشعر بأنه أقرب وأحب الناس إليه، فأسر له برؤياه. أليس عجباً أن يرى طفلاً دون البلوغ أحد عشر كوكباً والشمس والقمر يسجدون له؟! ما معنى أحد عشر كوكباً؟ ولماذا؟ وكيف تسجد له هذه الكواكب والشمس والقمر!؟

يجيب النبي يعقوب - عليه السلام - ابنه راجياً منه بكل حنان أن يكتفم رؤياه، ولا يقصّها على إخوته الذين - ولا شك - سيكيّدون له كيداً إذا سمعوها؛ لما تحمله من دلالة، وهنا إشارة واضحة من طرف النبي يعقوب - عليه السلام - إلى أهمية الرؤيا من جهة، وعلاقتها بإخوة يوسف الذين كانوا كما يعلم - وهو أبوهم - يغارون منه بشدة، قد تصل إلى حدّ الفتك بيوسف كما قد يزيّن لهم الشيطان ذلك، وهنا إشارة إلى الغيرة التي تكون بين الناس؛ بل وحتى بين الإخوة، والشدة هذا الانفعال الذي يؤدي إلى القتل أو الإضرار بالآخر (الأخريين). والتاريخ والواقع حافلٌ بقصص أدّت فيها الغيرة إلى التخلص من الإخوة والأخوات، وغيرهم من الأقرباء، في سبيل الاستئثار بالمال أو الملك أو القيادة، أو بمنصب أو غير ذلك مما حبب للإنسان.

والغيرة عادة ما تكون بين الإخوة (ذكور - ذكور)، و (إناث - إناث)، و (ذكور - إناث)، وقد تكون بين زملاء العمل، وبين شركاء في الحكم والسلطة، وبين زملاء الدراسة وغير ذلك من الأحوال التي يكون الهدف فيها حب الاستئثار بشيء له قيمة دون الآخر أو الآخرين. وكما تكون الغيرة بين الأفراد؛ فإنها قد تكون بين الجماعات والمجمعات. والغيرة غالباً ما تكون بين الأقارب، ويكون الحسد بين غير الأقارب، وعادة ما تكون الغيرة متبادلة بين طرفين أو أكثر.

والغيرة انفعال مركب وشديد تحركه انفعالات أحرى بالخوف والغضب؛ خوفاً من ضياع شيء، أو خوفاً من عدم الحصول عليه، مما يؤدي إلى غضب الشخص، وتحرك قوى العدوان في نفسه؛ دفاعاً عن ذاته وحمايةً لها. ولكن هذا الدفاع قد يشتط؛ فيتحول إلى هجوم للقضاء على الطرف الآخر أو الأطراف الأخرى، وغالباً ما يلجأ إلى الحيلة والمكيدة للتخلص من الخصم. وسنرى مثلاً كيف لجأ إخوة يوسف - عليه السلام - بدافع من غيرتهم الشديدة منه إلى الحيلة والمكيدة؛ للتخلص منه.

لم يشأ النبي يعقوب - عليه السلام - أن يفسر الرؤيا لابنه يوسف بطريقة مباشرة، ولكنه أفهمه بأن لهذه الرؤيا علاقة بإخوته، كما أن لها علاقة بمستقبله - وكذلك كل الرؤى؛ فإنها رمزية وذات دلالة تنبئية (مستقبلية) - وأفهمه أيضاً: أن الله العليم الحكيم قد كرمه بالقدرة على تأويل الأحاديث؛ أي: تعبير الرؤى، كما كرمه بمكانة عالية مثلما كرم آل يعقوب، وإبراهيم وإسحاق.

لقد كان إخوة يوسف - عليه السلام - ولا شك يشعرون أن أباهم يحب يوسف أكثر مما يحبهم، أو هكذا خُيل إليهم، وكيف لا يحب يعقوب يوسف وهو ابنه الأصغر، وهو المحروم من حنان الأم؟! ومن الطبيعي أن يحب الأب ابنه الأصغر أكثر من الآخرين؛ لأنه أحوج من الآخرين إلى الرعاية والحماية. ولكنّ الأبناء الأكبر سنّاً يعتقدون أن ذلك يُخلُّ بالعدل بين الأبناء؛ مما قد يؤدي إلى حصول الابن الأصغر على الاستئثار ليس بحبّ الوالدين أو بحبّ أحدهما فقط؛ بل الاستئثار أيضاً بما قد يوجد عليه الأبوان من أموال وممتلكات، وغير ذلك من أساليب التفضيل. وهذا له ما يبرره في الواقع؛ إذ إلى جانب حاجة الطفل الأصغر إلى رعاية وحماية أكثر كما ينبغي الحال، فإن هذا الطفل غالباً ما يجد الصعاب قد مُهّدت له بفضل كدح الأبوين لمدة طويلة، وبفضل كدّ الإخوة والأخوات الأكبر سنّاً، الذين غالباً ما يقع عليهم عبء مساعدة الآباء والأمهات. وتبيّن بعض الدراسات النفسية أن لترتيب الأبناء تأثيراً في سلوكهم وشخصيتهم بصفة عامة¹.

هذا الدفاع قد يشتط؛ فيتحول إلى هجوم للقضاء على الطرف الآخر أو الأطراف الأخرى، وغالباً ما يلجأ إلى الحيلة والمكيدة للتخلص من الخصم

كان إخوة يوسف - عليه السلام - يشعرون أنهم أجدر بحبّ أبيهم من يوسف، كيف لا يشعرون بذلك وهم جماعة (عصبة)، وقوة الجماعة أكبر من قوة الفرد! الجماعة أهم من الفرد، ودورها أعظم.

لقد أدبهم بهم الغيرة الشديدة إلى أن يحكموا على أبيهم بالظلال المبيّن، وإلى أن يحكموا على يوسف بالقتل؛ فالحكم هنا بالقتل واقع مع سبق الإصرار، ولكن سبق الإصرار هذا صاحبه نية بالتوبة بعد اقتراض الجريمة، مما يدل على تصارع الخير والشر في نفوسهم بشدة

كان نوازح الشر قد خفّت قليلاً في نفوسهم؛ فاتفقوا على عدم قتل يوسف، والإجماع على إلقائه في البئير، مما يعطي له فرصة النجاة من الموت

أن الغيرة قد تتطور وتصبح حسداً يتجلى في سلوك عدواني ضد الآخر. وأول خطوة يقوم بها الشخص الذي يغار من الآخر ويحسده هي العمل على فصله عن الطرف الذي يحبه أو يحبه بل والسعي للإيقاع بينهما بأي شكل من الأشكال إن أمكن.

كان إخوة يوسف - عليه السلام - يشعرون أنهم أجدر بحبّ أبيهم من يوسف، كيف لا يشعرون بذلك وهم جماعة (عصبة)، وقوة الجماعة أكبر من قوة الفرد! الجماعة أهم من الفرد، ودورها أعظم، كيف لا وهم جماعة (عشرة إخوة)، من أب وأم واحدة، بينما يوسف من أم أخرى؛ أي أنه أخ غير شقيق، ومن هنا بدأ الشعور بالتمايز وتبرير التمييز.

لقد أدت بهم الغيرة الشديدة إلى أن يحكموا على أبيهم بالضلال المبين، وإلى أن يحكموا على يوسف بالقتل؛ فالحكم هنا بالقتل واقع مع سبق الإصرار، ولكن سبق الإصرار هذا صاحبه نيّة بالتوبة بعد اقرار الجريمة، مما يدل على تصارع الخير والشر في نفوسهم بشدة، إلى درجة دفعت أحدهم إلى أن ينصح بعدم قتل يوسف، والاكتفاء بإلقائه في جُبِّ (بئر)، لا يستطيع الخروج منه إلا بمساعدة المسافرين الذين سيمرون على الجبّ للاستسقاء، وبالتالي لإنقاذ يوسف!

وكان نوازع الشر قد خفّت قليلاً في نفوسهم؛ فاتفقوا على عدم قتل يوسف، والإجماع على إلقائه في الجُبِّ، مما يعطي له فرصة النجاة من الموت. ونلاحظ هنا كيف أن فرداً في جماعة قد يغيّر اتجاه الجماعة كلها، ويؤثر في أحكامها وقراراتها وسلوكها بقوة الحجة، ويتجنّد الجانب الوجداني الإيجابي لاتخاذ "القرار الصائب" الأقرب إلى "العقلانية" النسبية في نظرها.

المكيّدة والمصيّدة:

لاشك، أن الغيرة قد تتطور وتصبح حسداً يتجلى في سلوك عدواني ضد الآخر. وأول خطوة يقوم بها الشخص الذي يغار من الآخر ويحسده هي العمل على فصله من الطرف الذي يحبه أو يحميه بل والسعي للإيقاع بينهما بأي شكل من الأشكال إن أمكن.

فكيف يصل أخوة يوسف إلى هدفهم؟ وكيف ينفردون بيوسف الذي يحظى بحماية ورعاية أبيه؟ وكيف يُفصل بينهما؟ لا بد من حيك مكيّدة ومؤامرة، واستدراج يوسف إلى مصيدة.

فما هي المكيّدة؟ وما هي المصيّدة؟

لا بد من ارتداء الألقعة! لا بد من اصطناع قناع الحب بدلاً من الكراهية، وارتداء قناع الحماية والرعاية بدلاً من الغيرة والحسد، وقناع الأمان بدلاً من الغدر، وقناع البراءة بدلاً من العدوانية والجريمة!

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَنَحَافِظُونَ ﴾ [يوسف: 11، 12].

فما كان جواب الأب؟

لقد عبر يعقوب - عليه السلام - عن حالته الوجدانية بأسلوب لبق؛ لكيلا يجرح مشاعرهم، حيث قال : ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ [يوسف: 13]. لكنه لم يُخفِ حزنه كما لم يُخفِ خوفه؛ حزنه من ابتعاد يوسف عنه؛ وخوفه، ليس من أبنائه - ظاهرياً - بل من الذئب!.

لقد حاول يعقوب - عليه السلام - أن يجند الجانب الوجداني (السليبي) لديه (الحزن والخوف)؛ ليصرف أبنائه عن الحصول على هدفهم (يوسف)، ولكنه لم يفلح أمام إلحاحهم، وهم الذين لبسوا كل الألقعة لمواجهة عواطف أبيهم، مهما كانت قوية ومؤثرة، فدعوا على أنفسهم بالويل والثبور إن أكل الذئب يوسف! لقد كانوا يعرفون حقاً بأن الذئب لن يجروا على أكل يوسف وهم عصبة من الشبان الأشداء.

لقد حاول يعقوب - عليه السلام - أن يجند الجانب الوجداني (السليبي) لديه (الحزن والخوف)؛ ليصرف أبنائه عن الحصول على هدفهم (يوسف). ولكنه لم يفلح أمام إلحاحهم

الركاء وإن كان مظهرًا من مظاهر الحزن إلا أنه لا يدل دائماً على الحزن؛ فالركاء قد يستعمل - وخاصةً من الإناث - للاستعطاف أو للتضليل، وللحصول على هدف ما بصفة عامة. وقد يكون تعبيراً غير مباشر "معاكس" عن فرح شديد

قد جاؤوا جميعاً بيبكون يتباكون)، كما جاؤوا على قميم يوسف بدم كذب؛ إنهما لم يكن خيوط الجريمة، وتضليل أية عملية تحقيق؛ ذلك لأنهم كانوا يعرفون أن أباهم يدرك تماماً ما يجول في نفوسهم؛ فأرادوا أن يظلوه بالقول والفعل

صبر النبي يعقوب - عليه السلام - على فراق ابنه يوسف. ومما قد يكون خفوة عنه ألم الفراق علمه بتفسير رؤيا يوسف، وبقبحه بأن الله - سبحانه وتعالى - سيجمعه مع يوسف مرة أخرى

ورغم ذلك، فقد عمد إخوة يوسف إلى تجنيد الجانب الوجداني لتضليل أبيهم؛ فجاؤوا في المساء وهم سيكون، وكأنهم "ظاهرياً" في حزن على يوسف الذي أكله الذئب - حسب زعمهم - عندما ذهبوا يستبقون، وتركوا يوسف وحده حارساً لمتاعهم!.

والنكباء وإن كان مظهراً من مظاهر الحزن إلا أنه لا يدل دائماً على الحزن؛ فالنكباء قد يستعمل - وخاصةً من الإناث - للاستعطاف أو للتضليل، وللحصول على هدف ما بصفة عامة. وقد يكون تعبيراً غير مباشر "معاكس" عن فرح شديد.

انظر إلى حجة إخوة يوسف للتعبير عن حزنهم ولتضليل أبيهم؛ فقد جاؤوا - وهم جماعة - بيبكون، فالجماعة التي تبكي أمام فرد واحد، لا يمكن ألا تصدق، وإن كان أفرادها كاذبين في بكائهم؛ فضغط الجماعة وتأثيرها في الفرد معروف؛ ولذا فقد جاؤوا جميعاً بيبكون (يتباكون)، كما جاؤوا على قميص يوسف بدم كذب؛ إتماماً لحبك خيوط الجريمة، وتضليل أية عملية تحقيق؛ ذلك لأنهم كانوا يعرفون أن أباهم يدرك تماماً ما يجول في نفوسهم؛ فأرادوا أن يضلوه بالقول والفعل. أما بالقول، فقد قالوا: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ [يوسف: 17]. وأما بالفعل: ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ [يوسف: 18].

فانظر كيف أدت الغيرة بإخوة يوسف إلى ارتكاب جريمة إلقاء أخيهم في الجُبِّ، والتخلص منه ببيعه للسيارة بثمن زهيد، والكذب على أبيهم. وهذا مثال واضح لكيفية تأثير الجانب الانفعالي في السلوك بصفة سلبية.

تجنيد الجانب الروحي:

شعر النبي يعقوب - عليه السلام - بحزن شديد يمزق قلبه لما أصاب ابنه يوسف. ورغم ذلك فقد حاول أن يتذرع بالصبر: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبِّرْ جَمِيلاً وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: 18]. ولكن التذرع بالصبر، والاستعانة بالله جاء بعد أن اتهم أبناءه بأن أنفسهم قد سَوَّلَتْ لهم أمراً؛ وذلك حتى يوضح لهم بأن حيلتهم ومكيدتهم لم تَعْب عنه، ولم تستطع تضليله في واقع الأمر، وإن سكت على مضمض. ويروى في هذا المعنى: أن النبي يعقوب قال لأبنائه: "كذبتكم، لو أكله الذئب لخرق القميص"، وروى أيضاً أنه قال: "ما أحلم هذا الذئب، أكل ابني ولم يشق قميصه!" [4، ص164]. انظر كيف نسب النبي يعقوب صفة (الحلم) للذئب، وهي صفة بشرية؛ وذلك على سبيل التعريض بسلوك أبنائه البعيد عن الحلم، وعن عدم الاستسلام للغيرة والحسد.

وصبر النبي يعقوب - عليه السلام - على فراق ابنه يوسف. ومما قديكون خفف عنه ألم الفراق علمه بتفسير رؤيا يوسف، وبقينه بأن الله - سبحانه وتعالى - سيجمعه مع يوسف مرة أخرى؛ ولكن صبر يعقوب قد طال. ولولا أنه كان يعلم من الله ما لم يكن أبناؤه يعلمون؛ لكان من الهالكين حزناً على ما أصاب يوسف، وكما جاء في "تفسير الفخر الرازي": فإن النبي يعقوب - عليه السلام - قد وقع في صراع بين الدواعي النفسانية التي تقتضي الجزع، وهي قوية، والدواعي الروحانية التي تدعو إلى الصبر والرضا. ودون معونة الله وتوفيقه؛ فإنه لن تحصل العَلْبَة للصبر الجميل على الانفعالات الشديدة التي تستطيع تدمير الإنسان { 5، ص 107. }

سنعود مرة أخرى إلى صبر النبي يعقوب - عليه السلام - وحزنه الشديد، وكيف أثر فيه حزنه إلى درجة فقدان البصر مما يدل على تأثير الجانب الوجداني في الجانب الجسمي ﴿ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ ﴾ [يوسف: 84]، وما قد يترتب عن ذلك من ضعف في الإحساس والإدراك! وقد حدث هذا بالنسبة للنبي

جاء في "تفسير الفخر الرازي": فإن النبي يعقوب - عليه السلام - قد وقع في صراع بين الدواعي النفسانية التي تقتضي الجزع، وهي قوية، والدواعي الروحانية التي تدعو إلى الصبر والرضا

إن قلبه: كيف جاز لنبي الله أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ؟ قلبه: الإنسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن، ولذلك هَمَّ صبره، وأن يضبط نفسه حتى لا يخرج إلى ما لا يَحْسُن

نجا يوسف من غيابة الجُبِّ؛ وهو أول سجين يدخله في حياته، وهو غلام، ولم يؤنسه في وحشته إلا وحي الله - تعالى - إليه

كبر يوسف في بيته عزيز مصر، وبلغ أشده، وأتاه الله الحكمة والعلم؛ جزاء إحسانه وإخلاصه في عمله، وجزاء صفاء سريره. ولكن الأيام لا تمضي دون امتحان وإبتلاء

تعرض يوسف - عليه السلام - إلى إبتلاء عظيم متمثلاً في امتحان يتمثل في مدى تحكمه في الجانب الوجداني في شخصيته؛ امرأة ذات مالٍ وجاهٍ وجمالٍ تراوده عن نفسه، بعد أن خلقت الأبواب وانفردت به. وحاولت أن تجرّه إلى الصوى والشهوة بكل ما أوتيت من جاهٍ وفتنةٍ

يعقوب بسبب تغلب الجانب الوجداني فيه على الجانبين: الروحي والعقلي؛ وذلك لتغلب طبيعته البشرية عليه. وقد ناقش الرّمخسريّ هذه النقطة، حيث أورد: "فإن قلت: كيف جاز لنبي الله أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ؟ قلت: الإنسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن، ولذلك حُمِدَ صبره، وأن يضبط نفسه حتى لا يخرج إلى ما لا يحسن" { 6، ص339}.

التخلص من يوسفة:

وجاءت قافلة، وقصدت الجُبَّ للاستسقاء، وألقى الساقى دلوه فتعلق غلامٌ به، وأخرج الغلام من الجُبِّ. وتعجب الساقى مما رأى، وعبر عن تعجبه بالفرح؛ فقد راح ليغترف الماء، فإذا هو يغترف غلاماً غايَةً في الحسن؛ فأى بُشْرَى! ولكنَّ إخوة يوسف كانوا للساقى بالمرصاد: لا يمكن أن تأخذ غلامنا هذا مجاناً، ولكننا نعرض عليك شراءه بدراهم معدودة، بئس بخس! فانظر كيف فرطوا في أخيهم، وباعوه بدراهم معدودة، وكانوا فيه من الزاهدين بفعل غيرتهم منه، ورغبتهم في التخلص منه بأي وسيلة! فهذهم الأساسي لم يكن تجارياً؛ إذ لم يرغبوا في الحصول على الأموال من بيع يوسف؛ بل الهدف هو التخلص منه؛ حتى لا تتكشف أفتنتهم من جهة، ويزيلونه من طريقهم إلى قلب أبيهم من جهة أخرى. لقد كان يوسف - حسب اعتقادهم - حاجزاً منيعاً دون تحقيق هدفهم، وهو الاستئثار بحبِّ أبيهم.

وهكذا نجا يوسف من غيابات الجُبِّ؛ وهو أول سجن يدخله في حياته، وهو غلام، ولم يؤنسه في وحشته إلا وحي الله - تعالى - إليه، يا لرحمة الله بهذا الغلام الذي استبد به الجزع والهلع، وهو يُلقى في ظلمات الجُبِّ من طرف إخوته! ما أشد ظلم ذوي القربى!

وكيف لا يكون الظلم شديداً ويوسف لا يدري لماذا ألقى في ظلمات الجُبِّ؟ ولكن ضياء الوحي ونوره قد غمرا يوسف وهو في الجُبِّ، وأنسا وحشته، وأزالا غمّه، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (يوسف:15). وجاءه المدد من السماء، وانتشل من الجب، ولكنه يبيع مثل الرقيق، واشتره في مصر رجلٌ ذو مكانة كبيرة، وأوصى زوجته بإكرامه؛ فقد توسّم فيه خيراً ونفعاً، إلى حدِّ رغبته في تبنيّه، وهذا كله من تدبير الله العليم الحكيم، الذي علم يوسف -عليه السلام- فهم الأحاديث، وتأويلها بطريقة صحيحة، بينما أكثر الناس لا يحكمون إلا بالظاهر، ولا يدركون الحكمة من وراء الأحداث الكثيرة التي تقع لهم، أو تقع حواليتهم!! وكيف يدركون الحكمة من وراء وقوع الأحداث؛ وهذا الإدراك يتطلب كثيراً من الخبرة والتجربة والتأمل!!

الابتلاء بفتنة الهوى:

وكبر يوسف في بيت عزيز مصر، وبلغ أشده، وآتاه الله الحكمة والعلم؛ جزاءً إحسانه وإخلاصه في عمله، وجزاءً صفاء سريرته. ولكنَّ الأيام لا تمضي دون امتحان وابتلاء، سواء كان هذا الابتلاء حسناً أم قبيحاً، إيجابياً أم سلبياً في ظاهره.

وتعرض يوسف -عليه السلام- إلى ابتلاء عظيم متمثلاً في امتحان يتمثل في مدى تحكمه في الجانب الوجداني في شخصيته: امرأة ذات مالٍ وجاهٍ وجمالٍ تراوده عن نفسه، بعد أن غلقت الأبواب وانفردت به. وحاولت أن تجرّه إلى الهوى والشهوة بكل ما أوتيت من جاهٍ وفتنةٍ، وقاوم واستعاذ بالله. ولكنها همت به، وهم بها؛ لولا أن رأى برهان ربه حيث تلقى يوسف مرةً أخرى مدداً من السماء، وأدركته رحمة الله؛ ليصرف عنه السوء والفحشاء. ولولا ذلك لوقع أسير الهوى؛ والهوى: ميلٌ شديدٌ في الجانب الوجداني نحو الخضوع للشهوة، التي تثير في النفس بدورها مشاعر الحبِّ الشديد، والرغبة في التعلق، والحصول على اللذة

قاوم واستعاذ بالله. ولكنها همت به، وهم بها؛ لولا أن رأى برهان ربه حيث تلقى يوسف مرةً أخرى مدداً من السماء، وأدركته رحمة الله؛ ليصرف عنه السوء والفحشاء

الهوى: ميلٌ شديدٌ في الجانب الوجداني نحو الخضوع للشهوة، التي تثير في النفس بدورها مشاعر الحبِّ الشديد، والرغبة في التعلق، والحصول على اللذة.

ما كان يوسفة سوى بشر. نعم، إنه بشر مختار، ومن ثمّ لم يتجاوز همّه الميل النفسي في لحظة من اللحظات، فلما أن رأى برهان ربه الذي نبض في ضميره وقتلته، بعد لحظة الضعف الطارئة، عاد إلى الاحتكام والتأني (سيد قطب)

لا شك أن رؤية يوسفة لبرهان ربه قد أثارته في نفسه انفعالاتٍ مضادةً للاستجابات الجنسية الطبيعية؛ وهذه الانفعالات المضادة هي التبرز والأشمزاز من الموقف، والنفور مما كان قد همّ به

دفعته به هذه المشاعر إلى الهروب من الموقف الحرج خوفاً من الاستسلام للهوى، والوقوف في الفتنة. والهروب - سواء كان جسمياً أم ذهنياً - وسيلةً للتخلص من الموافقة المبرجة والشديدة.

ورغم إدراك صاحب البيت لخيانة زوجته، فإنه لم يحاول إلا توجيه لوم بسيط إليها، طالباً منها الاستغفار من ذنبها، فهل كان ذلك الرجل داهية أم ديوثاً؟ وهل كانت زوجته ذات سطوة تمنعه من رفع صوته في وجهها؟! ومهما كان الأمر؛ فإن غضب الرجل لم يؤدِّ به إلى اتخاذ أي قرار حازم ضد زوجته، ولربما التبس عليه الأمر، واختلطت انفعالاته؛ ف شعر بالحزن أكثر مما شعر بالغضب. ويختلف - بالطبع - رد الفعل الناجم عن الحزن عن رد الفعل الناجم عن الغضب، وقد رأى بعض المفسرين - كما جاء في "صفوة التفسير" -: "أن العزيز كان قليل الغيرة؛ حيث لم ينتقم من زوجته الخائنة؛ لأنه كان سهلاً لين العريكة. [9]"

قد يكون هذا التفسير لسلك العزيز مقبولاً في إطار البيئة العربية والإسلامية، إلا أن هذا التفسير قد لا يكون مقبولاً في إطار الثقافات الأخرى، علماً بأن مركز العزيز يمنعه من تعريض شرفه وسمعته إلى تشويه أقيح، إن هو أفشى خيانة زوجته، كما أنه قد تكون للعزيز أسباب أخرى منعتة من اللجوء إلى الانتقام من زوجته؛ قد يكون منها مثلاً حبه الشديد لها، أو عدم اقتناعه بخيانتها، كما قد يرجع ذلك إلى مكانة زوجته، وجاهاها، وقربها من مراكز السلطة.

وفي الواقع؛ فإننا لا ندرى - من خلال النص - ما الذي حدث بالضبط بين صاحب البيت وصاحبه. ولكن الفضيحة تجاوزت حدود البيت، وأصبحت قصة امرأة العزيز مع غلامها حديثاً تلوكة ألسنة الناس، وخاصة ألسنة نسوة المدينة، اللاتي رُحْنَ يتحدثْنَ عنها، ويصدرْنَ اللوم على سلوكها، ويصفْنَها بأنها في ضلالٍ مبين، وكيف لا يوجهن إليها العتاب وهي امرأة عزيز مصر؟! وكيف لا تكون في ضلالٍ مبين وقد شُغِفَتْ بحبِّ غلامها حباً وصل إلى سويداء قلبها، وسيطر على جوانحها سيطرةً شديدة، وفقدت صوابها وإتزانها، وراحت تراوده عن نفسه؟ كيف سمحت لها نفسها بالتنازل لتقع في حب غلامها وتخون زوجها؟

لقد كان سلوكها مصدراً لإثارة انفعالات التعجب والتعزز والغضب عند نساء المدينة؛ فأصدرْنَ عليها حكماً قاسياً: ﴿ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [يوسف:30]. وفي هذه الآية إشارة إلى دور الانفعالات أو الجانب الوجداني في تشكيل الاتجاهات والمواقف سواء كانت هذه الانفعالات سلبية أم إيجابية.

فكيف كان ردُّ فعل امرأة العزيز على حكم نساء المدينة وموقفهن؟ لقد اعتبرت كلامهنَّ وحكمهنَّ مكرراً للنيل من شخصيتها ومكانتها؛ فمكرت بعد تفكُّرٍ وتدبُّرٍ. ولا شك، أن تفكيرها قد شابه غضباً شديداً، وحزناً مكتوماً من حكم النساء ضد سلوكها مع غلامها، فأرادت أن تدافع عن نفسها، وأن تقدِّم الدليل على صعوبة مقاومة هواها. ولتحقق هدفها؛ عمدت إلى تعريض النسوة إلى امتحان سلوكهنَّ؛ فدعتهنَّ لجلسة ترفيحية، تقدِّم فيها المشروبات والفواكه، ثم فاجأتهنَّ بإخراج الغلام عليهنَّ؛ فحدثت المفاجأة فعلاً، وحدثت الدهشة عند رؤية جماله وبهائه! وشلَّت الدهشة ذهن النساء!.

وقد أدَّت بهنَّ دهشتهنَّ إلى نسيان أنفسهنَّ، وما كنَّ يقمنَّ به من تقطيع للفاكهة؛ فقطعنَّ أيديهنَّ بدون وعي منهنَّ، ﴿ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف:31]. يقال: إن يوسف كان آيةً في الجمال والبهاء؛ ففتنت النساء به، كما فتنت به امرأة العزيز من قبل. وقد أدَّت بهنَّ الدهشة الشديدة - (انفعالهنَّ الشديد) - إلى تقطيع أيديهنَّ دون الشعور بالألم. وهذا دليل على كيفية تأثير الجانب الانفعالي في الجانب الجسمي؛ فالانفعال الشديد - كالعصب أو الحزن أو الدهشة - قد يؤدي إلى إيقاع الأذى بالجسم مثلاً، دون الشعور بالألم في تلك اللحظة. ويلاحظ هذا السلوك عند بعض الطوائف الدينية التي يقوم أفرادها بإيقاع الأذى على أجسامهم، إلى حدِّ إدمانها دون الشعور بالألم في تلك اللحظات.

لقد كان سلوكها مصدراً لإثارة انفعالات التعجب والتعزز والغضب عند نساء المدينة؛ فأصدرْنَ عليها حكماً قاسياً: ﴿ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

في هذه الآية إشارة إلى دور الانفعالات أو الجانب الوجداني في تشكيل الاتجاهات والمواقف سواء كانت هذه الانفعالات سلبية أم إيجابية

يقال: إن يوسف كان آيةً في الجمال والبهاء؛ ففتنت النساء به، كما فتنت به امرأة العزيز من قبل. وقد أدَّت بهنَّ الدهشة الشديدة - (انفعالهنَّ الشديد) - إلى تقطيع أيديهنَّ دون الشعور بالألم

هذا دليل على كيفية تأثير الجانب الانفعالي في الجانب الجسمي؛ فالانفعال الشديد - كالعصب أو الحزن أو الدهشة - قد يؤدي إلى إيقاع الأذى بالجسم مثلاً، دون الشعور بالألم في تلك اللحظة

يلاحظ هذا السلوك عند بعض الطوائف الدينية التي يقوم أفرادها بإيقاع الأذى على أجسامهم، إلى حدِّ إدمانها دون الشعور بالألم في تلك اللحظات

وبعد الدهشة الكبيرة التي صدمت نسوة المدينة إلى حدّ تقطيع أيديهنّ بالسكاكين، راحت امرأة العزيز تبتزّر سلوكها مع غلامها، بالدفاع عن نفسها أمام ضيفاتها. ولم تكف امرأة العزيز بذلك؛ بل اعترفت أن الغلام قد استعصم، مما زاد من غضبها عليه، مهدّدة إيّاه بالسجن أمام ضيفاتها، إن لم يفعل ما تأمره به، حتى يذوق في السجن طعم الهوان والمذلة والصغار.

والتهديد بالسجن والإهانة سلاح يستعمله أرباب السلطة المستبذون لإرهاب أعدائهم، وكسر مقاومتهم، ناسين - أو متناسين - أن حرمان أشخاص من حرياتهم معناه إثارة انفعالات قوية في نفوسهم، قد تصل إلى عكس ما كان يرجوه السجان وبيتغيه؛ ذلك أن السجن في حدّ ذاته مدرسة للتأمل والدراسة والتعلم والإبداع لأصحاب الهمم والعقول الكبيرة، كما قد يكون مدرسة للتخلص وللنجاة مما هو أسوأ من السجن!

وهذا ما جعل يوسف - عليه السلام - يقول بأن السجن أحبّ إليه مما يدعونه إليه من الهوى واللذة العابرة رغم حلاوة هذه الأخيرة، وسهولة تقبّلها من النفوس؛ وذلك عكس ما هو متوقع في السجن من قيود وحرمان، وآلام نفسية وجسمية. وبالنسبة ليوسف؛ فإن السجن منجاة من كيد النساء وفتنتهنّ، التي يعلم يقيناً بأنه من الصعب عليه مقاومتها إلى الأبد؛ فهو قبل كل شيء إنسان؛ وشابّ يافع قد بلغ أشده، محاط بكل أسباب الفتنة التي لا تقتفر إليها النساء من حوله، وهي الجمال، والسلطة، والسطوة، والمال، والوقاحة، وقلة الحياء. ولكنّ يوسف يدرك تماماً مصيره إذا استسلم لإغراء وفتنة النساء، ولهوى نفسه؛ فالمصير أن يوصم بالجهل، وياله من عار أن يوصف بالجهل وهو الذي آتاه الله حكماً وعلماً، وهو الذي وصفه الله بأنه من المحسنين. إن هذا المصير يُشعر يوسف بتفاهة مكانته عند الله وانحطاطها، كما يُشعره بعدم احترام الذات؛ بل واحتقارها، مما يؤدي به أيضاً إلى فقدان الثقة بنفسه.

النبوي السجين:

رغم أن اختيار السجن قد يضع يوسف - عليه السلام - في موقف يكون فيه من الصاغرين - في أعين الناس على الأقل - إلا أن ذلك يحميه من الفتنة وأسبابها، كما أنه يرفع مقامه عند الله - تعالى - وقد استجاب الله لدعائه، وأنقذه من تسلط الهوى وسلطة المال والجاه؛ فصرف عنه كيد النساء؛ إذ حُكم عليه بالسجن حكماً احتياطياً مؤقتاً.

لم يكن يوسف في السجن وحيداً كما كان في الجُب؛ بل دخل معه السجن فتیان. ولا شك، أنه قد نشأت بين الفتیان الثلاثة ألفة؛ جعلت كل واحد منهم يروي قصة سجنه، ويجد العزاء من خلال الاستماع إلى قصتي زميليه الآخرين.

وتمضي الأيام ثقيلة في السجن، في انتظار الحكم النهائي. وفي صباح أحد الأيام، يقبل الفتیان على يوسف ليرويا ما رأيا في المنام، ويسألانه تأويل ما بدا لهما غريباً، وذلك لما توسّما فيه من ذكاء وحسن خُلق. ويبدو أن تأويل الأحلام شيء كان يستأثر باهتمام الناس آنذاك استثنائاً كبيراً؛ إذ بعد رؤيا يوسف التي قصّها لأبيه، تأتي في هذه السورة رؤيا الفتیان، ثم ستصادفنا في نفس السورة رؤيا ملك مصر، وهذا مما يدل على أهمية الرؤى في فهم بعض السلوك والتنبؤ به أحياناً. ولكن عملية تعبير الرؤى تحتاج إلى فهم دقيق، وذكاء عالٍ؛ لما تحمله من رموز تبدو لغير الأذكياء طلاسماً، يصعب فهمها وإدراك مراميها، ناهيك عن التنبؤ بما سيقع مستقبلاً بناءً على تحليلها وتفسيرها تفسيراً صحيحاً.

ويُضح من سورة يوسف أن الرؤى مصدرٌ للتنبؤ بسلوك أو بأحداث قد يقع في المستقبل القريب أو المستقبل البعيد؛ وذلك من خلال دراسة الرؤى الثلاث الواردة في هذه السورة، وهي: رؤيا يوسف، ورؤيا

التهديد بالسجن والإهانة سلاح يستعمله أرباب السلطة المستبذون لإرهاب أعدائهم، وكسر مقاومتهم، ناسين - أو متناسين - أن حرمان أشخاص من حرياتهم معناه إثارة انفعالات قوية في نفوسهم، قد تصل إلى عكس ما كان يرجوه السجان وبيتغيه

أن السجن في حدّ ذاته مدرسة للتأمل والدراسة والتعلم والإبداع لأصحاب الهمم والعقول الكبيرة، كما قد يكون مدرسة للتخلص وللنجاة مما هو أسوأ من السجن!

هذا ما جعل يوسف - عليه السلام - يقول بأن السجن أحبّ إليه مما يدعونه إليه من الهوى واللذة العابرة رغم حلاوة هذه الأخيرة، وسهولة تقبّلها من النفوس

إن السجن منجاة من كيد النساء وفتنتهنّ، التي يعلم يقيناً بأنه من الصعب عليه مقاومتها إلى الأبد؛ فهو قبل كل شيء إنسان؛ وشابّ يافع قد بلغ أشده، محاط بكل أسباب الفتنة التي لا تقتفر إليها النساء من حوله، وهي الجمال، والسلطة، والسطوة، والمال، والوقاحة، وقلة الحياء

الفتيان، ورؤيا الملك. ومما لا شك فيه أن الرؤيا - كما يفهم من هذه السورة - لا تختص بالأنبياء والمؤمنين فقط، كما لا يُشترط أن يفهم صاحبها أبعادها ومراميتها قبل وقوعها مما يستدعي الاستعانة بذوي الاختصاص في هذا المجال. وقد يدل هذا أيضاً على أن تعبير الرؤى قد يصبح علماً مستقلاً عن بقية العلوم، له موضوعه ومنهجه، وإن كان يرتبط بمواضيع أخرى، مثل علم النفس، وعلم الأعصاب، والفسولوجيا، وعلم الاجتماع الثقافي، الخ.

فماذا رأي الفتان في المنام وهما في السجن ينتظران مصيريهما؟ ﴿ قَالَ أَخَذَهُمَا إِنِّي أُرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أُرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف:36]. لم يتسرع يوسف في إعطاء الجواب، وإن طمأنهما من البداية بأنه على دراية بعلم التأويل، الذي علمه الله إياه، وأنه سيعبر لهما رؤيتهما؛ فراح أولاً يبين لهما كيف أنه لم يركن إلى أسلوب حياة الكافرين، الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، وتبع ملة آباءه الأنبياء: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب. وقرر يوسف - عليه السلام - أن الإيمان بالله، وعدم الشرك به من فضل الله عليه، وعلى آباءه، وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون، كما أكد على أن أكثر الناس لا يعلمون؛ لأنهم يعبدون أرباباً متفرقين بدلاً من عبادة الله الواحد القهار.

وبعد هذا التذكير الذي يعتبر بمثابة دعوة غير مباشرة للفتان للتوحيد والإيمان بالله، وإعداد لهما لتقبل التأويل، بدأ في تفسير رؤيتهما؛ حيث قال: ﴿ يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَمَا أَخَذَكُمَا فَيَسْقِي رَبُّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [يوسف:41]. فانظر إلى الأسلوب المباشر في تفسير الرؤيا، بعد التحضير النفسي الذي قام به قبل ذلك، وانظر إلى الاختصار الشديد والواضح جدا في عملية التأويل، وانظر إلى المعاني الرمزية في الرؤيا، وكيف استطاع يوسف - عليه السلام - بذكائه ونفاذ بصيرته، أن يدرك - بإلهام من الله تعالى - القيمة التنبئية للرؤيا، بناءً على فهمه لموقف صاحبيه في السجن، وبناءً على ما كانا يشعران به ويفكران فيه.

وإيماناً منه بنجاة أحدهما؛ طلب منه يوسف - عليه السلام - أن يتذكره بعد خروجه، وأن يذكره عند ربه، لعله يعيد النظر في الحكم الصادر ضده ظلماً وبهتاناً. ولكن الفتى انشغل بأمور دنياه، ونسي تماماً ما وصاه به يوسف، ولم يتذكر التماس يوسف بأن يذكر قصته عند الملك، إلا بعد أن سمع رؤيا الملك، وقد مضت قبل ذلك بضع سنين، قضاهما يوسف - عليه السلام - في السجن صابراً محتسباً، ولك أن تتصور الانفعالات والأفكار المختلفة التي جالت بذهن يوسف وهو يقاسي وحيداً آلام السجن، بعيداً عن أهله وبلده. ولكن لم يكن يوسف وحيداً في السجن؛ بل كان الوحي معه، وكان يدرك تماماً مغزى الرؤيا التي رآها قبل أن يغدر به إخوانه؛ فكان ذلك عزاءه ومحط آماله، فلم ييأس، ولم يقنط، وبقي ينتظر الفرج.

رؤيا الملك:

ويشاء الله - تعالى - أن يرى الملك رؤيا لم يستطع فهم مغزاها؛ فلجأ إلى حاشيته، يقص رؤياه، لعله يجد لها تفسيراً: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ [يوسف:43]. فكيف أجابه الملأ الذين لم يفهموا معاني الرموز - (البقرات والسنبلات والسنين) - في الرؤيا؟ ﴿ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴾ [يوسف:44]. قد يبدو من هذا الجواب أن تأويل الأحلام لم يكن شيئاً معروفاً - كعلم - عند حاشية الملك، كما قد يرجع إلى أن أغلب الناس حينئذ - بل إلى الآن - لم يكونوا يعتقدون بأن للأحلام معاني ودلالات، وقدرة على التنبؤ بما سيقع مستقبلاً؛ بل يعتبرون الأحلام عبارة عن

يوسف يدرك تماماً مصيره إذا استسلم لإغراء وهتنة النساء، ولهوى نفسه؛ فالمصير أن يوصم بالجهل، وياله من عار أن يوصف بالجهل وهو الذي آتاه الله حكماً وعلماً، وهو الذي وصفه الله بأنه من المحسنين

رغم أن اختيار السجن قد يضع يوسف - عليه السلام - في موقفه يكون فيه من الصالحين - في أعين الناس على الأقل - إلا أن ذلك يحميه من الهتنة وأسبابها، كما أنه يرفع مقامه عند الله - تعالى

عملية تعبير الرؤى تحتاج إلى فهم دقيق، وذكاء عال؛ لما تحمله من رموز تبدو لغير الأذكياء طلاس، يصعب فهمها وإدراك مرادها، ناهيك عن التنبؤ بما سيقع مستقبلاً بناءً على تحليلها وتفسيرها تفسيراً صحيحاً

يتضح من سورة يوسف أن الرؤى مصدر للتنبؤ بسلوك أو بأحداث قد يقع في المستقبل القريب أو المستقبل البعيد؛ وذلك من خلال دراسة الرؤى الثلاث الواردة في هذه السورة، وهي: رؤيا يوسف، ورؤيا الفتان، ورؤيا الملك

أضغاث، أي: خيالات وأوهام لا معنى لها، وفي هذا الموقف تجاهل - إن لم يكن جهلاً - لأحد مصادر المعرفة، التي قد تُفيد في فهم السلوك وغيره من الظواهر، إن بنيت على أساس من العلم المنهجي، بدلاً من "التخريف والتجديف" والادعاءات الكاذبة! ورغم هذا التجاهل والجهل، فقد اعترفت حاشية الملك بأنه لا علم لها بتأويل الأحلام؛ وفي هذا الاعتراف ما قد يدل على التواضع وعدم الادعاء، وإن كان إقراراً بجهلهم.

وجاء دور الذاكرة ليؤدي واجبه؛ فقد تذكر الذي كان في السجن مع يوسف صاحب سجنه، وتذكر قدرته على تأويل الأحلام؛ فطلب الترخيص له ليسأل يوسف عن تعبير رؤيا الملك، وأسرع الخيط إلى السجن. وما التقى بيوسف حتى راح يستفتيه في رؤيا الملك ودلالاتها، قائلاً: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصَّادِقُ أَفْتِنَا فِي سِنِّعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سِنِّعٌ عَجَافٌ وَسِنِّعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأَخْرَ يَابِسَاتٍ﴾ [يوسف:46]. فكان جواب يوسف - بعد أن أدرك المغزى الرمزي للرؤيا - عن السؤال مباشرة، حيث قال: ﴿تَزْرَعُونَ سِنِّعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سِنٌّ شَدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف:47-49].

ونلاحظ هنا أن يوسف - عليه السلام - لم يكن أسير انفعالاته؛ إذ راح يقدم الجواب مباشرة وعن طيب خاطر، ولم يحاول استغلال الموقف كما أنه لم يحقد على صاحبه الذي نساه ثم أتاه لطلب خدمة منه.

ولاشك أن الملك قد أعجب إعجاباً شديداً بتعبير يوسف لرؤياه؛ فأمر بإحضاره، ولكن يوسف لم يمثل هذه المرة لطلب الملك، بل ردَّ الرسول رداً جميلاً، طالباً منه أن يرجع إلى الملك، ويسأله عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن، وكِدْنَ له لوضعه في السجن حيث لبث بضع سنين. وفي هذا الطلب، تعبير عن غضب يوسف على السلطة الحاكمة، التي لم تحاول تحري الحقيقة وإنصاف المظلومين. وكان من أهداف يوسف من وراء ذلك: أن يدفع الملك ليتحرى بنفسه ما حدث، حتى تتجلي حقيقة الموقف، وينكشف المجرم، ويبرئ يوسف ذمته.

محاكمة النساء:

عندما سأل الملك نسوة المدينة عن مراودتهنَّ ليوسف، ومن هو المسئول عن ذلك، اعترفت النساء ببراءة يوسف، وعند هذا الحدِّ لم يكن هناك أمام امرأة العزيز إلا الاعتراف والإقرار بما قامت به؛ فقالت: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف:51]. لقد اعترفت امرأة العزيز؛ فبرأت ساحة يوسف، وشهدت بصدقه، وبالتالي كذبها، وحملت نفسها مسؤولية ما حدث، مشيرةً بصراحة إلى نفسها التي أمرتها بالسوء؛ أي: بالهوى والخضوع إلى نداءات اللذة، والتعسف في استخدام السلطة. ولا شك أن الانفعالات التي سيطرت على امرأة العزيز في هذه اللحظات قد تمثلت في الشعور بالإثم والندم على ما بدر منها، والغضب على سلوكها مع مسحةٍ من الحزن لافتضاح أمرها أمام الملك وحاشيته.

ومما يُستخلص من قول امرأة العزيز: هو أن النفس أمارَةٌ بالسوء أصلاً، أي: أن نوازع الشر جزء من الطبيعة البشرية، وهذه النوازع -حسب قولها- هي التي تغلبت عليها، ولا ينجو من تأثيرها إلا مَنْ رحمه الله، وتداركه بغفرانه، مما يدل على أن الإيمان بالله - سبحانه وتعالى - واستدرا رحمته منجاةٌ من الوقوع

أن الرؤيا - كما يفهم من هذه السورة - لا تختص بالأنبياء والمؤمنين فقط، كما لا يشترط أن يفهم صاحبها أبعادها ومراميها قبل وقوعها مما يستدعي الاستعانة بذوي الانتصاف في هذا المجال

استطاع يوسف - عليه السلام - بذكائه ونفاذ بصيرته، أن يدرك - بإلهام من الله تعالى - القيمة التنبؤية للرؤيا، بناءً على فهمه لموقفه صاحبها في السجن، وبناءً على ما كان يشعران به ويفكران فيه.

إيماناً منه بنجاة أحدهما؛ طلبه منه يوسف - عليه السلام - أن يتذكره بعد خروجه، وأن يذكره عند ربه، لعله يعيد النظر في الحكم الصادر ضده ظمناً وبهتاناً

لكن لم يكن يوسف وحيداً في السجن؛ بل كان اللوحي معه، وكان يدرك تماماً مغزى الرؤيا التي رآها قبل أن يغدر به إخوانه؛ فكان ذلك مزاءً ومهبطاً أماله، فلم يبأس، ولم يهبط، وبقي ينتظر الفرج

فريسة سهلة لنوازع الشر؛ الشيء الذي يكون في النفس مقاومةً روحيةً لهذه النوازع، التي وإن كان لا يقضي عليها تماماً، إلا أنها تضعف بازدياد الإيمان، واستبدال نوازع الشر بنوازع الخير والرحمة والمغفرة. ويرينا هذا الإدراك مثلاً لكيفية تأثير الجانب الروحي في الجانب الوجداني وفي السلوك بصفة عامة، كما يرينا إدراك امرأة العزيز لعدم فلاح مسعى الخائنين وكيدهم، رغم تجنيدهم القوي للانفعالات السلبية الهدامة مثل الغضب والغيرة والحسد، واستعمالهم للكذبة السلبية كالحيلة والدهاء والمكر والكيد.

أما الملك الذي حاكم النساء، فقد اقتنع تماماً ببراءة يوسف. ولم يخبرنا القرآن الكريم كيف حكم على امرأة العزيز؛ بل يخبرنا أن الملك اتخذ قراراً سريعاً بإحضار يوسف، وجعله من المقربين. وفي هذا القرار إنصافاً ليوسف - عليه السلام - من جهة، وتعويضاً لما تعرّض له من ظلم واضطهاد من جهة أخرى، خاصةً وأن الملك أراد أن يستخلصه لنفسه، مما أشعر يوسف بموادة وتقدير الملك له، كيف لا، وقد قال له الملك: ﴿ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ {يوسف:54}

ولقد أورد الزمخشري في تفسيره لسورة يوسف عن قتادة: أن هذا دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عملاً من يد سلطان جائر، إذا علم أنه لا سبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بذلك" { 9، ص329}. وهذا موضوع ينبغي فيه الاجتهاد للعلماء والخبراء حسب الظروف وخاصة في عصرنا هذا حيث انتشر الفساد هيكلية.

تعليق على الرؤى الثلاث في سورة يوسف

- 1- الملاحظ أن كل الرؤى رمزية في مضامينها وتعبيرها، ويتطلب فهمها وتفسيرها تأويل الرموز الواردة فيها .
- 2- أن للرؤى دلالات ثقافية مرتبطة بالبيئة الجغرافية. وبدون فهم الثقافة السائدة في تلك البيئة؛ لا يمكن فهم وتأويل الرؤى. إن الرؤيا الأولى ليوسف - عليه السلام - قد تعلق برموز فلكية (الشمس، والقمر، والكواكب)؛ وهي رمز للعلو، وتضمنت تلك الرؤيا موضوع السجود؛ والسجود في عصر يوسفم يكن إلا لعظيم (الله، الملك). والرؤيا الثانية: (لأصحاب يوسف في السجن) تضمنت (الخمير، والخبز، والطير). والرؤيا الثالثة: (للملك) ذات مضمون زراعي وعددي، ووصف لحالة البقرات والسنابل (سبع بقرات سمان مقابل سبع بقرات عجاف، وسبع سنبلات خضر مقابل سبع سنبلات يابسات).
- 3- أن الرؤى ذات قيمة تنبئية؛ أي: القدرة على استكشاف ما سيجري في المستقبل، سواء كان هذا المستقبل قريباً أم بعيداً، وإدراك هذه القيمة ليس شيئاً سهلاً، وميسوراً لأي شخص.
- 4- أن الرؤى قد لا تتحقق إلا بعد مرور سنوات عديدة، كما هو الشأن في رؤيا يوسف. وقد تتحقق في مدة زمنية قصيرة كما هو الشأن في رؤيا الفتيان .
- 5- أن الرؤى تؤثر في الجانب الوجداني في الإنسان؛ فغالباً ما تحيره وتقلقه، وقد تدهشه وتحزنه، كما قد تسره!! فالرؤى قد تحمل بُشراً كما قد تحمل نذيراً؛ وبالتالي فهي تؤثر في أبعاد الإنسان: الوجدانية، والعقلية، والسلوكية وقد تؤثر حتى في صحته الجسمية إن أصابه غم شديد جراء رؤيا مخيفة مثلاً.
- 6- ليس كل ما يراه الإنسان في الأحلام عبارة عن رؤى؛ فقد يكون بعض ما يراه الإنسان في المنام أضغاث أحلام أو حديث نفس أو تحقيق رغبة. وبالرغم من ذلك؛ فإن لهذه الأضغاث وغيرها معان وإن كنا لا نفهما، ولكنها لا تحمل بالضرورة قيمة تنبئية .
- 7- قد تدل الأحلام على صراعات في النفس البشرية، وعلى رغبات لا يستطيع الفرد إشباعها في اليقظة. ولكن الرؤيا غير ذلك؛ إذ أن قيمتها تتمثل في الوضوح وفي التنبؤ أساساً .

أن يوسف - عليه السلام - لم يكن أسير انفعالاته؛ إذ واجه يقدم الجواب مباشرة وعن طيب خاطر، ولم يحاول استغلال الموقف كما أنه لم يحد على صاحبه الذي نساه ثم أتاه لطلب خدمة منه.

لكن يوسف لم يمتثل هذه المرة لطلب الملك، بل ردّ الرسول رداً جميلاً، طالباً منه أن يرجع إلى الملك، ويسأله عن النسوة اللاتي قطعن أبيضهن، وكذّن له لوضعه في السجن حيث لم يشع بضع سنين.

في هذا الطلب، تعبير عن تحجب يوسف على السلطة الحاكمة، التي لم تحاول تحري الحقيقة وإنصاف المظلومين

كان من أهداف يوسف من وراء ذلك: أن يدهج الملك ليتحرى بنفسه ما حدث، حتى تنجلي حقيقة الموقف، وينكشف المجرم، ويبري يوسف ذمته.

وما يستخلص من قول امرأة العزيز: هو أن النفس أمارّة بالسوء أصلاً، أي: أن نوازع الشر جزء من الطبيعة البشرية، وهذه النوازع - حسب قولها - هي التي تغلب عليها، ولا ينبغي من تأثيرها إلا من رحم الله، وتداركه بخبرانه

8- تأتي الرؤيا واضحة، وإن كانت بصفة رمزية. وقد تتكرر نفس الرؤيا عدة مرات، بينما تأتي الأحلام غير واضحة، ويقع فيها خلط، ولذا تسمى بالأضغاث؛ فالأضغاث جمع صِغْث، وهي حزمة من الحشيش التي تخط فيها الأعشاب الطرية بالأعشاب اليابسة؛ وكذلك تكون الأحلام مختلطة في أغلب الأحيان.

يوسفه الفوائد:

بالإضافة إلى ما اتَّصف به يوسف - عليه السلام - من حسن الخلق والخلق، وما آتاه الله من العلم والحكمة؛ فقد برزت صفة القيادة في شخصيته؛ إذ بمجرد ما شعر بتقريب الملك له، ورغبة هذا الأخير في تحميله مسؤولية ما، ومكافأته على صبره، وعلى ما أبداه من الحكمة والمعرفة، تطوع بعرض خدماته لتحمل مسؤولية الخزينة والاقتصاد.

لقد أدرك يوسف أن البلاد ستعرف سبع سنين من الرخاء، تعقبها أزمة اقتصادية تدوم سبع سنوات أيضاً، يسودها القحط والجفاف والمجاعة، مما يستدعي قيادة تتميز بالأمانة والعلم؛ وهاتان خاصتان أساسيتان في القيادة؛ أمانة وعلمٌ خلال سنوات الرخاء؛ حتى لا يحدث الإسراف والتبذير، والمحاباة وخدمة المصالح الشخصية؛ وعلمٌ بفنون الإدارة من تخطيط، وتنظيم، وقيادة، وسهر على مراحل التنفيذ والإنتاج والتقييم الموضوعي للأداء. وكذلك أمانة وعلم وعدل خلال سنوات الأزمة؛ حتى يتحمل الناس عواقبها الوخيمة بالعدل، وتحقيق حسن التوزيع، وترشيد الاستهلاك، والتخطيط للخروج من الأزمة بحشد جميع الموارد وخاصة الموارد البشرية إلى أقصى الحدود، وتشجيع الناس على الإنتاج أكثر من الاستهلاك؛ لتحقيق النمو الاقتصادي.

وهكذا مكن ليوسف - عليه السلام - في الأرض؛ فأصبح يتبوأ منصباً رفيعاً، تحيطه العناية الإلهية في جهوده القائمة على إتقان العمل والإخلاص فيه، والسعي حثيثاً لتحسين فنون الزراعة، وما يرتبط بها من سقي، وتعهّد، ورعاية، وحصاد، وجمع، وتخزين، وتوزيع. ولا بد أن يكون الإنتاج في سنوات الرخاء أعلى من الاستهلاك، ولا بد أن يكون احتياطي الموارد الغذائية كبيراً، ومبنياً على حسابات دقيقة؛ بحيث يغطي هذا الاحتياطي حاجة المجتمع خلال سنوات الأزمة.

ومما يستخلص من هذا الموقف:

أولاً: حاجة التنمية الاقتصادية - وتنمية المجتمع بصفة عامة - إلى قيادة رشيدة، من خصائصها الرئيسية: العلم، والأمانة، وإتقان العمل، وما ينضوي تحتها من قيم فرعية وخصائص سلوكية.

ثانياً: ينبغي أن يكون السلوك الإنتاجي مدروساً لكي يحقق فائضاً في الإنتاج؛ فلا يمكن أن تتحقق تنمية اقتصادية إذا كان الإنتاج مساوياً للاستهلاك، ويزداد الأمر سوءاً إذا كان الإنتاج أقل من الاستهلاك، كما هو الحال في الدول المتخلفة. وقد أفاض مالك بن نبي - مثلاً - في شرح العلاقة بين الحقوق والواجبات، والإنتاج والاستهلاك. [10]

ثالثاً: يتطلب التمكّن والتمكين في الأرض خصائص قيادية ترتكز على قيم مثل الأمانة والصدق والعفو عند المقدرة، وعلى قدرات تكون نتيجة للعلم والتمحيص والابتلاء، والخبرة والممارسة، وعلى نكاه وجداني يقوم أساساً على كبح جماح الانفعالات السلبية كالغيرة والحسد والغضب وحب الانتقام.

رابعاً: تتطلب القيادة المرتبطة بالإيمان والتقوى الاعتقاد الجازم في الحصول على الأجر في الآخرة، وأنه أحسن من كل أجر، بالإضافة إلى الخصائص الأخرى المشار إليها أعلاه.

أن الإيمان بالله - سبحانه وتعالى - واستدرار رحمته منجاةً من الوقوع فريسةً سهلةً لنوازغ الشر؛ الشيء الذي يكون في النفس مقاومةً روحيةً لهذه النوازغ، التي وإن كان لا يقضي عليها تماماً، إلا أنها تضعف بازدياد الإيمان، واستبدال نوازغ الشر بنوازغ الخير والرحمة والمغفرة

يرينا هذا الإدراك مثلاً لصيغة تأثير الجانب الروحي في الجانب الوجداني وفي السلوك بصفة عامة، كما يرينا إدراك المرأة العزيز لعدم فلاح مسعى الخائنين وكيدهم

أورد الزمخشري في تفسيره لسورة يوسف من فتادة: أن هذا دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عملاً من يد سلطان جائر، إذا علم أنه لا سبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بذلك

هذا موضوع ينبغي فيه الاجتهاد للعلماء والخبراء حسب الظروف وخاصة في عصرنا هذا حيث انتشر الفساد هيكلياً

سنوات الجفاف والشدة:

مسّ القحط والجذب مصر والمناطق الأخرى، وبدأت القوافل تتوافد على "خزينة" الملك (الدولة) للحصول على المواد الغذائية - (الحبوب خاصة) - التي تولى يوسف - عليه السلام - الإشراف على توزيعها. وجاء إخوته ضمن من جاء، فعرفهم، ولكن لم يعرفوه، وكيف يعرفونه وهم قد تخلصوا منه، وباعوه بثمان بخس، وتوقعوا له مصيراً سيئاً؟! ولاشك، أن يوسف قد اندهش لرؤية إخوته، ولكنه لم يُبدِ دهشته؛ بل ونجح في التحكم في انفعالاته، وضبط سلوكه كما ينبغي؛ فوَقَّاهم الكيل، وعاملهم بإحسان، وأنزلهم منزلاً حسناً.

يتطلب منّا هذا السلوكوقفة تأمل؛ لنرى أن يوسف الذي ألقى في الجُبِّ، ويوسف الذي تعرض للفتنة، ويوسف الذي سُجن بضع سنين، ويوسف الذي تولى خزائن الأرض، قد أرشد بالوحي خلال كل هذه المراحل من جهة، وأنضج بالتجارب والخبرات المتعددة والمثيرة من جهة أخرى، وهذا ما جعل سلوكه مع إخوته وغيرهم يتسم بالنضج، والرُّشد من الناحية الذهنية، والالتزان الانفعالي من الناحية الوجدانية.

بالإضافة إلى هذا؛ فإن ليوسف هدفاً هاماً، وهو الإتيان بأخيه الشقيق إلى مصر؛ لكي يراه ويطمئن على أبيه. لقد استعمل يوسف الترغيب والترهيب للحصول على هذا الهدف، فقال: ﴿ **انْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ** ﴾ [يوسف:59]. ولا يخفى أن استعمال الترغيب أهم من استعمال الترهيب للحصول على الهدف؛ ولذلك فقد عمد يوسف - عليه السلام - أولاً إلى استقبال إخوته استقبالاً جيداً، وإنزالهم منزلاً طيباً، وجَهَّزهم أحسن تجهيز.

وبعد ذلك عمد إلى الترهيب؛ وذلك بتهديدهم بعدم الكيل لهم، وبعدم الاقتراب منه إذا لم يحضروا أخاهم من أبيهم المرة القادمة. وقد نجحت خطة يوسف - عليه السلام - في إقناع إخوته بضرورة إحضار أخيه الشقيق. وزيادة في الضغط على إخوته، فقد أمر يوسف بإرجاع بضاعتهم لكي يستخدموها حجة عند أبيهم لكي يقتنع بضرورة إرسال شقيق يوسف معهم. وبالفعل، فقد قالوا لأبيهم بأنهم قد مُنعوا من الكيل؛ إلا إذا أرسل معهم أخاهم واعددين إياه بأنهم سيجمونه: ﴿ **فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَنَعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَّكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [يوسف:63]. ولكن أباهم لم يصدّق وعدهم، وكيف يصدّقهم وقد وعدوه من قبل أن يحموا يوسف، ثم ادّعوا بأن الذئب قد أكله؟! وطافت ذكرى يوسف الحزينة بذهن النبي يعقوب - عليه السلام - فذكر نفسه وأبناءه بأن الله هو ﴿ **خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ [يوسف:64].

وعندما فتح الأبناء متاعهم اكتشفوا أن بضاعتهم قد رُدَّت إليهم مع الكيل؛ فأصيبوا بالدهشة، وبشيء من الغضب والحزن على ذلك؛ فراحوا يستخدمون ردّ البضاعة كورقة ضغط نفسي على أبيهم؛ فقالوا: ﴿ **يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَتَزَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ** ﴾ [يوسف:65]. لكن أباهم الذي هزته ذكرى يوسف الحزينة لم يقتنع بسهولة؛ وهذا أمر طَبَعِي؛ لأن تغيير اتجاه شخص ما نحو أشخاص آخرين، كان قد اتخذ موقفاً سلبياً ضدهم، يتطلب جهداً كبيراً للتأثير فيأبعاده العقلية والوجدانية معا لكي يحدث تغيير الاتجاه (الموقف). وبالفعل؛ فإن أباهم لم يقتنع حتى أعطوه عهداً وموثقاً من الله لحماية أحيهم، وعدم التفریط فيه، وأشهدهم الله - تعالى - على ما قالوا، والتزموا به.

وكشأن الآباء المهتمين بأبنائهم؛ راح النبي يعقوب - عليه السلام - يوصي أبناءه بعدم الدخول من باب واحد عند وصولهم إلى مصر؛ بل ينبغي لهم الدخول من أبواب متفرقة، فلماذا أوصاهم أبوهم بذلك؟ وما هي الحاجة التي أخفاها يعقوب في نفسه؟

الملاحظ أن كل الرؤى رمزية في مضامينها وتعابيرها، ويتطلب فهمها وتفسيرها تأويل الرموز الواردة فيها

أن للرؤى دلالات ثقافية مرتبطة بالبيئة الجغرافية. وبدون فهم الثقافة السائدة في تلك البيئة؛ لا يمكن فهم وتأويل الرؤى

أن الرؤى ذات قيمة تنبؤية؛ أي: القدرة على استكشاف ما سيجري في المستقبل، سواء كان هذا المستقبل قريباً أم بعيداً، وإدراك هذه القيمة ليس شيئاً سهلاً، وميسوراً لأي شخص

أن الرؤى قد لا تتحقق إلا بعد مرور سنوات عديدة، كما هو الشأن في رؤيا يوسف. وقد تتحقق في مدة زمنية قصيرة كما هو الشأن في رؤيا القتيان

- أن الرؤى تؤثر في الجانب الوجداني في الإنسان؛ فغالباً ما تحيره وتقلقه، وقد تدعشه وتحزنه، كما قد تسره!!

يقال إن عدد إخوة يوسف هو أحد عشر أخاً، وتفسر نصيحة أبيهم بأن يدخلوا من أبواب متفرقة بخوفه عليهم من الإصابة بعيون الحاسدين. ورغم دخول أبناء يعقوب من أبواب متفرقة، "إلا أنهم أصابهم ما أصابهم من تفرق وافتراح" كما قال الرّمخشري في "تفسيره". ويقول الرّمخشري في تفسيره "الكشاف" عن الإصابة بالعين، إنه: "يجوز أن يُحدّث الله - عزّ وجلّ - عند النظر إلى الشيء والإعجاب به نقصاناً فيه وخلافاً من بعض الوجوه، ويكون ذلك ابتلاءً من الله، وامتحاناً لعباده؛ ليطيّر المحقّقون من أهل الحشو؛ فيقول المحقّق: هذا فعل الله، ويقول الحشويّ: هو أثر العين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عَدَتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ {المدثر: 31}. وعن النبي - صلي الله عليه وسلم - أنه كان يعوّد الحسن والحسين، فيقول: ((أعينكما بكلمات الله التامة، من كل عين لامة، ومن كل شيطان وهامة)) {6، ص333}.

وقد يُردّ على رأي الرّمخشريّ هذا برأي أهل السنة والجماعة، الذين يرون أن العين حقّ، وأن تأثير العين من قبيل ربط الأسباب بالمسببات، كربط الإحراق بالنار، وأن الفاعل الحقيقي هو الله تعالى {11، ص488} ومهما يكن؛ فإن موضوع (الإصابة بالعين) في حاجة إلى مزيد من الدراسات الشرعية والنفسية والثقافية؛ لتوضيح حقيقتها، وكيفية إحداث التأثير في الآخرين، وسبل الوقاية منها، وعلاجها بالرؤية الشرعية مثلاً².

ورغم احتياط النبي يعقوب - عليه السلام - بهدف حماية أبنائه، فقد كان يعلم تماماً بأن ذلك الاحتياط أي -الدخول من أبواب متفرقة- لن يغني عنهم من الله شيئاً؛ فلهذا الحكم، وعليه فليتوكل المتوكلون. وهنا حكمة بالغة تتجلى في إيمان يعقوب - عليه السلام - بضرورة التوكل على الله تعالى، واعتقاده الجازم بأن الحكم بيده تعالى. ورغم اعتقاده الجازم بذلك، فإنه لم يمنعه من اتخاذ الأسباب الضرورية، واعتماد الاحتياطات المناسبة لحماية أبنائه مما قد يصيبهم إن هم دخلوا من باب واحد. وفي هذا الموقف تميّز واضح بين التوكل والتوكل.

لم تكن نصيحة النبي يعقوب - عليه السلام - لأبنائه صادرةً من قلب أبٍ رحيمٍ شفيقٍ على أبنائه فحسب؛ بل إن نصيحته قائمة على علم أيضاً، وهذا العلم مما آتاه الله إيّاه، حيث وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَأِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لَمَّا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ {يوسف: 68}. وتشير الآية الكريمة إلى أن هذا العلم مما جهله أكثر الناس، ولذلك لم يخبر أبنائه لماذا ينبغي لهم الدخول من أبواب متفرقة؛ بل كتم حاجته من وراء ذلك. ولاشك، أن الأبناء قد قبلوا نصيحة أبيهم، وعملوا بها؛ فرح لذلك، وانشرح صدره.

وأقبل إخوة يوسف مع أخيهم غير الشقيق؛ فانفرد يوسف - عليه السلام - بأخيه، فكتشف له عن شخصيته الحقيقية، فقال: ﴿إِنِّي أَنَا أَحْوَكُ فَلَا تَبْتَسِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ {يوسف: 69}. لقد أراد يوسف أن يدخل السرور إلى قلب أخيه، وطرد الحزن منه جزاءً ما كان يرتكبه إخوته الآخرون من حماقات، وكانت لحظات رائعة، سادتها الدهشة والمفاجأة السارة، وفرح اللقاء بعد أحران الفراق. ولكم أن تتصوروا سرور أخوين شقيقتين التقيا بعد عدة سنوات من الحزن وانعدام بارقة أي أمل، ويشاء الله ويمهد الأسباب للقاء الأخوين في مكانٍ لم يخطر لهما من قبل على بال. ولكم أن تتخيلوا دهشة شقيق يوسف عندما يكشف له شقيقه عن شخصيته، وكيف لا يندهش وقد أُخبر من طرف إخوته أن الذئب قد افترس يوسف، وجاءوا بقميصه ملطخاً بالدماء؟! كيف لا يندهش، وقد رأى بأمر عينيه دماً على قميص شقيقه؟! والآن يرى بأمر عينيه يوسف وقد تبوأ مكانة عظيمة في قصر الملك؟! كيف لا يفاجأ، بينما لم يكن طموحه في مجيئه مع إخوته إلى مصر يتعدى الحصول على كيل بعير من الحبوب، والرجوع به إلى أبيه سالماً مع إخوته؟

ليس كل ما يراه الإنسان في الأعلام عبارة عن رؤى؛ فقد يكون بعض ما يراه الإنسان في المنام أضعافاً لأحلام أو حديثه نفس أو تحقيق رغبة.

قد تدل الأعلام على صراعات النفس البشرية، وعلى رغبات لا يستطيع الفرد إشباعها في اليقظة. ولكن الرؤيا خير ذلك؛ إذ أن قيمتها تتمثل في الموضوع وفي التنبؤ أساساً

تأتي الرؤيا واضحة، وإن كانت بصفة رمزية. وقد تتكرر نفس الرؤيا عدة مرات، بينما تأتي الأعلام خير واضحة، ويصح فيها خلط، ولذا تسمى بالأضغاث

أدرك يوسف أن البلاد ستعرفه سبع سنين من الرخاء، تعقبها أزمة اقتصادية تدوم سبع سنوات أيضاً، يسودها القحط والجفاف والمجاعة، مما يستدعي قيادة تتميز بالأمانة والعلم؛ وهاتان خاصتان أساسيتان في القيادة

اتهام بالسرقة

وتتوالى المفاجآت، حيث ينادي المنادي إخوة يوسف، ويتهمهم بالسرقة، فيصابون بالدهشة والتعجب، فيقبلون على المنادي يستفسرون عمّا ضاع، ويتعجب إخوة يوسف أكثر عندما يسمعون أن صوّاع الملك قد سُرق، وأنه قد رُصدت مكافأة لمن يجده، وأن المنادي متحمس جداً للحصول على المكافأة. ونلاحظ هنا قوة الدافعية عند المنادي، وتأثيرها في سلوكه بفعل المكافأة المغربية (حمل بعير). وتحت وقع المفاجأة الشديدة، والاتهام القوي، راح إخوة يوسف يحلفون لدفع التهمة عنهم، قائلين بأنهم ما جاؤوا إلى مصر ليفسدوا في الأرض، أو ليسرقوا، وإنما جاؤوا ليستبدلوا سلعة بسلعة.

ولكن ما هو جزاء إخوة يوسف إن وُجد صوّاع الملك في رحالهم؟ لابد أن يعترفوا بجرمهم، وأن يقبلوا حكم الملك -أو من ينوب عنه-، كيف لا يقبلون بحكم الملك وهم ينكرون أنهم سارقون، **وينفون أنهم مفسدون، أو كاذبون؟**

وبدأ التفتيش، ولتضليل إخوة يوسف بأن الأمر غير مدبر؛ بدأ المنادي في تفتيش أوعية إخوة يوسف غير الأشقاء قبل وعاء أخيه الشقيق، ولكنّ الصوّاع لم يوجد إلا في رُحْل أخيه الشقيق. وبهذا الإجراء الذي اتخذه يوسف؛ تمكّن من أن يضمن بقاء أخيه معه بطريقة قانونية، وقد تطلب هذا الإجراء علماً بالقانون السائد في البلد، وفوق كل ذي علم عليم.

واندهش إخوة يوسف، وأخذتهم المفاجأة؛ فأصيبوا باضطراب شديد ظهر على وجوههم، وفي حركاتهم. وبعد استيعاب الصدمة، تفتّنوا إلى ضرورة الدفاع عن أنفسهم، وتبرير ما حدث بأيّ شكل من الأشكال، فلم يجدوا عنراً ولا مبرراً مقبولاً إلا أن يتهموا أخاهم بالسرقة، مضيفين إلى ذلك اتهام يوسف نفسه بالسرقة؛ وكأن لسان حالهم يقول: إن أخانا غير الشقيق قد سرق مثلما سرق أخوه الشقيق من قبل، بينما نحن الإخوة الآخرون لسنا سارقين؛ فالعيب في الأخوين الشقيقين -يوسف وأخيه- وليس فينا.

ورغم صدور هذا الاتهام الخطير من طرف شبانٍ ثبتت عليهم السرقة؛ فلم يكن في وسع يوسف -عليه السلام- إلا أن يكون حليماً معهم، ولم يظهر ما شعر به بسبب هذا الاتهام، بل أخفى انفعالاته. ورغم ذلك؛ فإنه لم يتمالك نفسه في وصف إخوته بأنهم أشرار: ﴿..**قال أنتم شرٌّ مكانا والله أعلم بما تصفون**﴾ [يوسف:77]، وأنه يترك ما يصفون به يوسف وأخاه لله تعالى الذي يعلم كل شيء. وكان يوسف بهذا القول يريد أن يوقظ الضمير عند إخوته، ويشعرهم بالذنب لما اقترفوه في حق يوسف عند إلقائه في الجُبِّ، وبيعه مثل العبيد، وأكل ثمنه، ثم اتهامه بالسرقة.

ورغم صعوبة الموقف الذي وجد إخوة يوسف أنفسهم فيه أمام حاكم قوي، أقام عليهم الحجة بالسرقة، فقد تذكروا وعدهم لأبيهم بالحفاظ على أخيه؛ فراحوا يستعطفون العزيز -يوسف- أن يأخذ أحدهم مكان أخيه، مبررين استعطافهم من جهةٍ أكبر سنّ أبيهم ﴿**شَيْخاً كَبِيراً**﴾ [يوسف:78] الذي لن يتحمل صدمة ضياع ابنه الثاني، وبمدح العزيز ووصفه بالإحسان من جهةٍ أخرى. ونلاحظ هنا أن حجة إخوة يوسف في استعطافهم للعزيز قائمةٌ أساساً على "تجنيد" وإثارة الجانب الوجداني لديه؛ لعله يلين ويستجيب لاستعطافهم. ولكنّ ردّ العزيز كان منطقيّاً وعقلانياً؛ إذ رفض استعطافهم مبرراً ذلك بإقامة العدل؛ إذ ليس من العدل أن يأخذ شخصاً ما بجريرة شخصٍ آخر، وكيف يقام العدل إذا أُطلق (المجرم) الذي ثبتت عليه (السرقة)، وسُجن (البريء)؟

أجم منطق العزيز وحجته السنة الشبان الذين أصيبوا بإحباط شديد، وفقدوا الأمل في إقناع العزيز

مُكّن ليوسف - عليه السلام - في الأرض؛ فأصبح يتبوأ منصباً رفيعاً، تحيطه العناية الإلهية في حصوله القائمة على إتقان العمل والإخلاص فيه، والسعي حثيثاً لتحسين فنون الزراعة، وما يرتبط بها من سقي، وتعمد، ورعاية، وصاد، وجمع، وتخزين، وتوزيع

حاجة التنمية الاقتصادية - وتنمية المجتمع بصفة عامة - إلى قيادة رشيدة، من خصائصها الرئيسية: العلم، والأمانة، وإتقان العمل، وما ينضوي تحتها من قيم فرعية وخصائص سلوكية

يتطلب التمكن والتمكين في الأرض خصائص قيادية تتركز على قيم مثل الأمانة والصدق والعفو عند المقدرة، وعلى قدرات تكون نتيجة للعلم والتمحيص والابتلاء، والخبرة والممارسة، وعلى ذكاء وجداني

تتطلب القيادة المرتبطة بالإيمان والتقوى الاعتقاد الجازم في الحصول على الأجر في الآخرة، وأنه أحسن من كل أجر، بالإضافة إلى الخصائص الأخرى المشار إليها أعلاه

سلوكه مع إخوته وخبرهم يتسم بالنصح، والرشد من الناحية الذهنية، والاتزان الانفعالي من الناحية الوجدانية.

لاسترجاع أخيه؛ فأخذوا يتناجون فيما بينهم ويتشاورون؛ فالموقف صعبٌ ومحرجٌ بالنسبة إليهم للغاية، سواءً أمام العزيز، أم أمام أبيهم الذي أخذ منهم مؤثماً (عهداً) في عدم التفریط في أخيه. وقد ذكّرهم بهذا المؤثّق أخوهم الأكبر، كما ذكّرهم بتفریطهم في يوسف من قبل؛ إذ أن التفریط في أخيه هذا سيضاف إلى تفریطهم في يوسف من قبل مما سيُفقد مصداقيتهم عند أبيهم. ولذا أصرّ أخوهم الأكبر على البقاء في مدينة العزيز؛ حتى يتلقى إنداً من أبيه بالمغادرة، أو يجعل الله له أمراً، وهو خير الحاكمين. ويطلب منهم أخوهم الأكبر بشيءٍ من الغضب الممزوج بالحزن أن يرجعوا إلى أبيهم، ويرووا له ما حدث بالضبط؛ قولوا لأبيكم: إن ابنك قد سرق ونحن نشهد على ذلك فقد أخرج الصواع من رَحْله أمام أعيننا. وقولوا له: إن لم تصدّقنا فاسأل القافلة التي جنبنا فيها، واسأل أهل المدينة. وقولوا له أيضاً: لقد آتيناك مؤثماً من الله أن نحافظ على أخينا، ولكننا لم نكن نعلم الغيب، ولم نكن ندري بأنه سيسرق صواع الملك، وشرحو له أن هذه الحقائق كلها شهادات على صدقنا، وأنتي قد بقيت هنا في انتظار أوامره؛ التزاماً بالعهد الذي عاهدناه عليه.

فكيف كان ردُّ فعل النبي يعقوب -عليه السلام- أمام هذا الخطب الجلل؟ ها هو ابنه الثاني يضيع منه كما ضاع يوسف من قبل، وسبب الضياع تهمة السرقة، وأي سرقة؟ سرقة صواع الملك الذي أخرج من رَحْله أمام الملأ. ولا شك، أن الخبر طارت به الركبان، وانتقل من فاهٍ إلى فاهٍ، ومن قافلةٍ لقافلةٍ، ومن قبيلةٍ إلى أخرى

ورغم تأكيد أبنائه له بأنهم صادقون؛ فإن النبي يعقوب -عليه السلام- لم يصدّقهم، واتهمهم بأن أنفسهم قد دفعتهم ليدبّروا مكيدةً لأخيه، كما دبّروا مكيدةً ليوسف من قبل. ولكن النبي يعقوب -عليه السلام- لم يجد دليلاً على اتهامهم؛ فاكتفى بالإشارة ملتجئاً إلى الصبر الجميل، متيقناً بأن الله -تعالى- سيجمعه مع ابنائه، كما يقتضي علمه وحكمته.

حزن النبي يعقوب:

لم يجد النبي يعقوب - عليه السلام - بُدّاً من الابتعاد عن أبنائه؛ فقد أصبح لا يطيق الموقف، واستولى عليه حزن شديد (اكتئاب)؛ بل أصيب بصدمة شديدة من الإحباط والاكتئاب أثرت في عينيه؛ فكفَّ بصره، لعجزه عن التعبير الصريح عن ألمه، وتفرغ شحنات غضبه وحزنه جرّاء تصرفات وأقوال أبنائه، وقد أدّى به كبت انفعالاته إلى إصابته بكفّ البصر، وفي هذا دليل واضح على كيفية تأثير الجانب الانفعالي في الجانب الجسمي - الحزن الشديد أدى إلى العمى -. وفي هذه الحالة، إشارة إلى أن كبت الانفعالات السلبية الشديدة قد يؤدي إلى اضطرابات نفسية-جسمية (اكتئاب، عمى، قرحة... الخ)، وليس الكبت الجنسي فقط هو الذي يؤدي إلى الاضطرابات النفسية، مثل العمى الهستيرى، أو الشلل الهستيرى، كما ادّعى ذلك فرويد في (نظرية التحليل النفسي).

وفي الواقع؛ فإن حزن يعقوب -عليه السلام- كان شديداً وطويلاً إلى حدِّ بَالَعٍ فيه بعض المفسرين؛ فقال الرّمحشريُّ في "تفسيره" - مثلاً - يصف حزن النبي يعقوب، وطول مدته:

"الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض؛ فكأنه حدث من الحزن. قيل: ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاماً، وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب. وعن رسول الله -صلي الله عليه وسلم-: أنه سأل جبريل - عليه السلام -: ((ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف؟)) قال: وجدٌ سبعين ثكلى. قال: ((فما كان له من الأجر؟)) قال: مائة شهيد، وما ساء ظنُّه بالله

ليوسف هدفاً هاماً، وهو الإتيان بأخيه الشقيق إلى مصر؛ لكي يراه ويطمئن على أبيه. لقد استعمل يوسف الترخيب والترهيب للحصول على هذا الهدنة

أن استعمال الترخيب أهم من استعمال الترهيب للحصول على الهدنة؛ ولذلك فقد عمد يوسف -عليه السلام- أولاً إلى استقبال إخوته استقبالاً جيداً، وإنزالهم منزلاً طيباً، وجسّهم أحسن تجميز.

بعد ذلك عمد إلى الترهيب؛ وذلك بتهديدهم بعدم الكيل لهم، وبعدهم الاقتراب منه إذا لم يحضروا أخاهم من أبيهم المرة القادمة

عندما فتح الأبناء متاعهم اكتشفتوا أن بضاعتهم قد رُدّت إليهم مع الكيل؛ فأصيبوا بالدهشة، وبشيءٍ من الغضب والحزن على ذلك؛ فراحوا يستخدمون ردّ البضاعة كورقة ضغط نفسي على أبيهم؛

تغيير اتجاه شخص ما نحو أشخاص آخرين، كان قد اتخذ موقفاً سلبيّاً ضدهم، يتطلب جهداً كبيراً للتأثير فيأبعاده العقولية والوجدانية معا لكي يحدث تغيير الاتجاه (الموقف)

ساعةً قطُّ" [6، ص339]. وبعد أن أورد الرَّمْخَشْرِيُّ هذه الرواية دون مناقشة مدى صحتها عقلاً ونقلاً، وخاصةً فيما يتعلق بعدد سنوات الحزن، انتقل إلى مناقشة الحالة النفسية للنبي يعقوب؛ فقال: "إِنْ قَلَّتْ: كيف جاز لنبيِّ الله أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ؟ قلتُ: الإنسان محبوبٌ على ألا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن، ولذلك حُمد صبره، وأن يضبط نفسه؛ حتى لا يخرج إلى ما لا يحسن. ولقد بكى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ولده إبراهيم، وقال: ((القلب يجزع، والعين تدمع، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنما عليك يا إبراهيم لمحزون)). وإنما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنباح، ولطم الصدور والوجوه، وتمزيق الثياب" [6، ص497]. ومما جاء في "الكشاف" أيضاً بخصوص موقف الرسول -صلي الله عليه وسلم- من الانفعالات: أنه قيل له - عليه الصلاة والسلام -: تبكي وقد نهيتنا عن البكاء؟ قال: ((ما نهيتكم عن البكاء، وإنما نهيتكم عن صوتين أحمقَيْن: صوت عند الفرح، وصوت عند الترح)) [6، ص498].

وقد نطقن أبناء يعقوب لمعاناة أبيهم من حزنٍ شديدٍ، ولما قد ينجرُّ عن ذلك من اضطرابات؛ بل ومن هلاك: ﴿ قَالُوا تَالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ [يوسف:85]. فما هو جواب يعقوب -عليه السلام- على تعليق أبنائه؟ لم يرد النبي يعقوب -عليه السلام- أن يشكو حزنه وألمه الشديد لأبنائه، مقتصراً في ذلك على الله -تعالى-؛ ذلك لأنه قد علم من الله -تعالى- ما لم يكن أبنائه يعلمون، فماذا علم يعقوب -عليه السلام- من الله تعالى؟

أمر يعقوب - عليه السلام - أبناءه أن يذهبوا ليتحسسوا أخبار يوسف وأخيه، مما يدل على اعتقاده الجازم بأن يوسف لا يزال حياً، وأن الله - تعالى - سيجمعه معه ابنه. ولم يكتف النبي يعقوب -عليه السلام- بإصدار الأمر؛ بل أوصى أبنائه ألا يصيبهم اليأس في البحث عن يوسف وأخيه، والعثور عليهما؛ إذ ليس من صفات المؤمنين اليأس من رَوْحِ الله؛ فإله رحيم كريم. وهنا يفتح النبي يعقوب -عليه السلام- أمام أبنائه باب التناؤل بدلاً من التشاؤم، وطريق الخير بدلاً من طريق الشر، وسبيل الأخذ بالعزيمة والأسباب بدلاً من التخاذل، والاستسلام، والهزيمة والتواكل، رغم ما كان يعانيه.

وجهاز أبناء يعقوب -عليه السلام- بضاعتهم ليقصدوا عزيز مصر مرةً أخرى للمقايضة، والحصول على صدقاته، ودخلوا على العزيز على خجلٍ واستحياء، وهم يشكون إليه الضَّرَّ الذي مسَّهم وأهلهم جرَّاء الجذب والقحط، وعرضوا عليه بضاعتهم، راجين منه أن يتصدَّق عليهم، وهم يدعون الله له أن يجزيه خير جزاء.

المفاجأة

حان الوقت الذي ينبغي أن يكشف فيه العزيز عن سرِّه لأبناء يعقوب -عليه السلام- ففاجأهم بقوله: ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ [يوسف:89]. لم تكن المفاجأة في سؤال العزيز عن يوسف وأخيه فقط؛ بل في صيغة السؤال؛ حيث وجَّه إليهم سؤالاً استنكارياً، قرن العزيز فيه اسم يوسف بأخيه الشقيق من جهة، ووصف سلوكهم بالجهل من جهة أخرى. ولعل صيغة السؤال ومؤشرات أخرى -قد تكون غير لفظية- هي التي نَبَّهت أبناء يعقوب -عليه السلام- إلى أنهم بحضرة أخيهم يوسف.

ورغم المفاجأة الشديدة التي صعقتهم، فقد راحوا يتأملون بتمعن وجه العزيز، ويتبادلون النظرات ويتهامون، و﴿ قَالُوا أَلَيْكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ﴾ [يوسف:90]!

إن موضوع (الإصابة بالعين) في حاجة إلى مزيد من الدراسات الشرعية والنفسية والثقافية؛ لتوضيح حقيقتها، وكيفية إبداء التأثير في الآخرين، وسبل الوقاية منها، وعلاجها بالرقبة الشرعية مثلاً

تتوالى المفاجآت، حيث ينادي المنادي إخوة يوسف، ويتهمهم بالسرق، فيصابون بالدهشة والتعجب، فيقبلون على المنادي يستفسرون حملاً ضاع، ويتعجب إخوة يوسف أكثر عندما يسمعون أن صوامع الملك قد سُرقت،

كان لسان حالهم يقول: إن أخانا خير الشقيق قد سرق مثلما سرق أخوه الشقيق من قبل، بينما نحن الإخوة الآخرون لسنا سارقين؛ فالعيب في الآخرين الشقيقتين - يوسف وأخيه- وليس فينا

يطلب منهم أخوهم الأكبر بشيءٍ من الغضب الممزوج بالحزن أن يرجعوا إلى أبيهم، ويرووا له ما حدث بالضبط؛ قولوا لأبيكم: إن ابنك قد سرق ونحن نشهد على ذلك فقد أخرج الصوامع من رَحْله أمام أعيننا

ولمراقب هذا المشهد أن يتصور مدى الانفعال الشديد الذي أصاب إخوة يوسف جزاء المفاجأة، وجزءاً انكشاف الحقيقة أمامهم، ولا شك أن أسنتهم قد شلت للحظات، وانسحب الدم بسرعة من وجوههم الشاحبة، ودقت قلوبهم بسرعة فائقة، وارتجفت أوصالهم فرقاً وخجلاً من فعلهم الشنيع مع يوسف، وترقباً للخطر الذي أحرق بهم؛ فطأطأوا رؤوسهم خوفاً وخجلاً.

احتفظ العزيز بهدونه المعتاد، وأكد لهم أنه هو يوسف ومعه أخوه، شاكرًا نعم الله عليهما، مذكراً إياهم بأن التقوى والصبر هما وسيلتان للحصول على الأجر والثواب من عند الله، وتتبعي الإشارة هنا إلى اقتران التقوى بالصبر، مما يدل على الارتباط القوي بين الصفتين، وتأثيرهما في السلوك عند ارتباطهما.

ويدلنا هذا الارتباط على أن الصبر الحقيقي هو القائم على التقوى والإحسان، وليس الصبر القائم على الانهزام النفسي، والإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنك تعتقد اعتقاداً جازماً بأنه يراك. وإذا كنت في موقف الابتلاء والامتحان؛ فإنك تعتقد جازماً بأنه يراك ويرعاك. ويعضد هذه الحقيقة قوله

تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: 2-3]

ويدلنا أيضاً هذا الارتباط بين التقوى والصبر على كيفية تأثير الجانب الروحي (التقوى) في الجانب السلوكي (الصبر). وقد تجلى تقوى يوسف في سلوكه مع امرأة العزيز، ونسوة المدينة، وصاحبيه في السجن، وفي تأويله لرؤيا الملك، وفي تسييره لشؤون اقتصاد البلد خلال سنوات الرخاء، وخلال سنوات الجفاف والكساد الاقتصادي. وقد تجلى ذلك أيضاً في سلوك يوسف مع إخوته الذين كانوا في موقف ضعف شديد؛ بل وفي موقف مخجل ومخز، لم يكن أمامهم فيه بُدٌّ إلا الاعتراف بخطئهم، والإقرار بأن الله -تعالى- قد فضل يوسف عليهم، وأن هذا الفضل والإيثار ليس من طرف أبيهم؛ بل هو من فضله سبحانه وتعالى على يوسف، الذي حباه -تعالى- بأجمل الصفات والسمات الخُلُقِيَّةِ والخُلُقِيَّةِ؛ إعداداً له لمواقف صعبة، ومواقف قيادية عالية، ليست المسؤولية فيها هينة.

لم يعمد يوسف إلى تجريح شعور إخوته، كما لم يستغل الضعف الشديد الذي كانوا عليه أمامه لإهانتهم؛ بل عمد إلى رفع اللوم عنهم، والدعاء بأن يغفر الله لهم زلاتهم، وهو أرحم الراحمين. فانظر كيف قابل القائد العظيم الخطأ بالعفو، و"العفو عند المقدرة"، وكيف بدّل انفعالاتهم السلبية الشديدة -خوف وخجل- بالدعاء والاستغفار لهم؛ لتطمئن قلوبهم، وتسكن جوارحهم، مذكراً إياهم برحمة الله، وهو أرحم الراحمين.

وبعد أن سكن روعهم، ونالوا قسطاً من الراحة، التمس يوسف من إخوته أن يذهبوا بقميصه إلى أبيهم، ويرموه على وجهه؛ ليرتد إليه بصره، كما التمس منهم أن يحضروا أهلهم أجمعين؛ ليكرمهم ويقربهم إليه، لما في ذلك من صلة للرحم، ولنا وقفة هنا مع قميص يوسف عليه السلام.

قميص يوسف وريحه:

ما هي العلاقة بين قميص يوسف واسترداد البصر؟ قد يقال: إن القضية كلها تتعلق بمعجزة، وعليه؛ فلا داعي للبحث: لماذا شُفي بصر النبي يعقوب -عليه السلام- بعد إلقاء قميص يوسف -عليه السلام- على وجهه.

ولكنّ التفسير بالمعجزة وتصديق المعجزات لا يمنع المرء من البحث والاستكشاف؛ فقد حاول مثلاً مختص في طب العيون بمصر أن يجيب عن هذا السؤال، من خلال إجراء بحث تجريبي؛ لاستكشاف تأثير العرق في علاج بعض أمراض العيون، فعزا استرجاع البصر إلى عرق يوسف، الذي كان جافاً على

لم يجد النبي يعقوب - عليه السلام - بُدّاً من الابتعاد عن أبنائه؛ فقد أصبح لا يطيق الموقف، واستولى عليه حزن شديد (اكتئاب)؛ بل أصيب بصدمة شديدة من الإحباط والاكتئاب أثرت في عينيهِ؛ فَوَقَّعَ بصره، لعجزه عن التعبير الصريح عن ألمه، وتفريغ شحنات غضبه وحزنه

في هذا دليل واضح على كيفية تأثير الجانب الانفعالي في الجانب الجسدي - الحزن الشديد أدى إلى العمى - وفي هذه الحالة، إشارة إلى أن كِبَرُ الانفعالات السلبية الشديدة قد يؤدي إلى اضطرابات نفسية -جسمية

ليس الكِبَرُ الجنسي فقط هو الذي يؤدي إلى الاضطرابات النفسية، مثل العمى المستيري، أو الشلل المستيري، كما ادّعى ذلك فرويد في (نظرية التحليل النفسي).

ليس من صفات المؤمنين اليأس من رَوْحِ اللَّهِ؛ فَاللَّهُ رَحِيمٌ كَرِيمٌ. وهنا يفتح النبي يعقوب -عليه السلام- أمام أبنائه باب التفاوض بدلاً من التفاوض، وطريق الخير بدلاً من طريق الشر، وسبيل الأخذ بالعزيمة والأسباب بدلاً من التخاذل، والاستسلام، والهزيمة والتواكل، رغم ما كان يعانيه

القميص، ولقد وجد هذا الطبيب من خلال بحث تجريبي أجراه أن العرق يشفي من بعض أمراض العيون.[12] وينبغي أن تخضع مثل هذه البحوث وإن كانت تجريبية أو شبه تجريبية إلى خصائص القياس النفسي كالثبات والصدق للتأكد من صدق نتائجها، وإمكانية تكرارها.

هذا تصورٌ للعلاقة التي قد تكون بين القميص واسترداد البصر، ومنهجٌ في البحث العلمي قائمٌ على التجريب. ولكن من الممكن تفسير هذه العلاقة تفسيراً آخر. لاشك، أن العرق الجاف في قميص يوسف يحمل رائحةً خاصةً به، يعرفها النبي يعقوب -عليه السلام- تمام المعرفة، وكيف لا يعرفها وقد تعود ضمّ يوسف إلى صدره؟! ثم إن الشخص الكفيف البصر غالباً ما تكون حاسة الشم عند مرهفة، وكذلك الحواس الأخرى. وعندما شمّ النبي يعقوب -عليه السلام- رائحةً القميص، أدرك أن القميص قميص يوسف، وأن الرائحة رائحته؛ فهو إذاً ما يزال حياً بالتأكيد، وأنه قد أرسل قميصه إليه كرسالة تُرجع إليه أمله بقرب لقائه معه.

ولاشك، أن هذه الرسالة كانت بمثابة "صدمة" إيجابية؛ أي أنها صدمةٌ في الاتجاه المعاكس للاكتئاب الشديد الذي أصيب به النبي يعقوب -عليه السلام- الذي صُدم بفقدان أعزّ ولدين لديه، وصدّم -دون شك- جراء سلوك أبنائه إذ قد أصيب بخيبة أملٍ شديدةٍ جرّاء سلوكهم الذي حركته انفعالات سلبية شديدة، تمثلت في الغيرة من يوسف، وكيدهم له، وفي حقدهم على أبيهم؛ اعتقاداً منهم بأنه كان يفضل يوسف عليهم.

وقد حاول بعض المفسرين تفسير تأثير القميص في بصر النبي يعقوب بعوامل أخرى، حيث أورد الألويسي مثلاً عدة روايات، مفادها أن هذا القميص هو القميص المتوارث عن إبراهيم -عليه السلام- والذي كان في تعويد يوسف، وأنه من فُصص الجنة، وكان لا يقع على عاهة من عاهات الدنيا إلا أبرأها بإذن الله تعالى. أو أنه كان القميص الذي فُذ من دُبر [13، ص52]. وأورد الألويسي أيضاً: أن عودة البصر إلى النبي يعقوب "ليس إلا من خرق العادة، وليس الخارق بدءاً في هذه القصة" [13، ص55]. وروى الألويسي تفسير ابن عباس الذي يتمثل في أن الله -تعالى- أشمّ النبي يعقوب ما عبق بالقميص من ريح يوسف -عليه السلام- من مسيرة ثمانية أيام، وفي روايةٍ عن الحسن: من مسيرة ثلاثين يوماً، وقيل: عشر ليالٍ [13، ص53]. وروى بعضهم - كما أورد الألويسي ذلك أيضاً - أن الريح استأذنت في إيصال عرق يوسف -عليه السلام- فأذن الله تعالى لها، وقال مجاهد: "صفت الريح القميص؛ فراحت روح الجنة في الدنيا، واتصلت بيعقوب -عليه السلام- فوجد ريح الجنة، فعلم أنه ليس في الدنيا من ريحها إلا ما كان من ذلك القميص؛ فقال ما قال" [13، ص53]. ومما يلاحظ هنا أن الألويسي نفسه قد أورد تفسيراً نفسياً لطيفاً لعودة بصر النبي يعقوب -عليه السلام- حيث قال: " إنه -عليه السلام- انتعش حتى قوي قلبه وحرارته الغريزية؛ فأوصل نوره إلى الدماغ، وأداه إلى البصر، ومن هذا الباب استشفاء العشاق بما يُهَبُّ عليهم من المعشوق، كما قال الشاعر:

وَإِنِّي لَأَسْتَشْفِي بِكُلِّ غَمَامَةٍ ♦♦♦ يَهْبُ بِهَا مِنْ نَحْوِ أَرْضِكَ رِيحٌ

وقال آخر:

أَلَا يَا نَسِيمَ الصُّبْحِ مَا لَكَ كَلَمًا تَقَرَّبْتَ مِنَّا فَأَنَا نَشْرُكَ طِيبًا
كَأَنَّ سُلَيْمَى بُيِّنَتْ بِسِقَامِنَا فَأَعْطَتْكَ رِيَّاهَا فَجِنَّتْ طِيبًا

رغم المفاجأة الشديدة التي صعقتهم، فقد راحوا يتأملون بتمعن وجه العزيز، ويتبادلون النظرات ويتهايمسون، و﴿ قَالُوا أَلَيْسَ لَأَنْتَ يَوْسُفَ﴾

احتفظ العزيز بصدوره المعتاد، وأكد لهم أنه هو يوسف ومعه أخوه، شاكرًا نعم الله عليهما، مذكرا إياهم بأن التقوى والصبر هما وسيلتان للحصول على الأجر والثواب من عند الله

أن الصبر الحقيقي هو القائم على التقوى والإحسان، وليس الصبر القائم على الانصياع النفسي، والإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه تعبد اعتقاداً جازماً بأنه يراك.

لم يعمد يوسف إلى تجريح شعور إخوته، كما لم يستغل الضعف الشديد الذي كانوا عليه أمامه لإهانتهم؛ بل عمد إلى رفع اللوم عنهم، والدعاء بأن يغفر الله لهم ذللتهم، وهو أرحم الراحمين

أن العلاج لحزن النبي يعقوب -عليه السلام- كان علاجاً (نفسياً) -نفسولوجياً)، تمثل في صدمة نفسية قوية عند إلقاء قميص يوسف على وجه يعقوب -عليه السلام- وفي شمه لرائحة يوسف من القميص

وأورد الألويسي أيضاً تفسيراً طبياً آخر للظاهرة- وإن كان لا يتفق معه- حيث قال: "يمكن أن يقال: لعل يوسف- عليه السلام- علم أن أباه ما عرا بصره ما عراه إلا من كثرة البكاء وضيق القلب؛ فإذا أُلقي عليه؛ فلا بد أن يشرح صدره، وأن يحصل في قلبه الفرح الشديد، وذلك يقوى الروح، ويزيل الضعف عن القوى؛ فحينئذ يقوى بصره، ويزول عنه ذلك النقصان، فهذا القدر ما يكفي معرفته بالعقل؛ فإن القوانين الطبية تدل على صحته، وأنا لا أرى ذلك" [13، ص53]

لم يناقش الألويسي التفسيرات المختلفة التي أوردها، ولم يتعرّض إلى مدى موافقتها للمنطق أو للتجربة، بل اعتبر أغلبها- إذا استثنينا التفسير الأخير الذي لم يتفق معه- من باب الخوارق. والسؤال المطروح: إن كان الأمر كما أوردت ذلك بعض التفسيرات: لماذا لم تصل رائحة يوسف إلى النبي يعقوب- عليه السلام- من قبل، عندما كان يوسف في الجُبِّ، أو في السجن، أو حتى بعد خروجه من السجن؟ والسؤال الآخر الذي قد يُطرح: لماذا أغفل المفسرون ما ورد في الآية من ضرورة إلقاء القميص على وجه النبي يعقوب ليرتد بصيراً؟

وقد يطرح هنا سؤال مفاده: كيف عرف يوسف أن إلقاء قميصه على وجه أبيه سيُرجع إليه البصر؟ والجواب: أن ذلك قد يكون بالوحي، كما قد يكون نتيجة الخبرات الطبية والنفسية المعروفة آنذاك. ومهما يكن؛ فإننا نطرح تصوراً نفسياً وهو أن العلاج لحزن النبي يعقوب- عليه السلام- كان علاجاً (نفسياً- فسيولوجياً)، تمثل في صدمة نفسية قوية عند إلقاء قميص يوسف على وجه يعقوب- عليه السلام- وفي شمه لرائحة يوسف من القميص. ولنتذكر أن إخوة يوسف كانوا قد أحضروا قميصه إلى أبيه وهو ملطخ بالدماء الكاذبة.

وقد يسند هذا الطرح ما جاء في تفسير الألويسي أيضاً: أن أحد إخوة يوسف أصر على أن يكون هو حامل قميص يوسف إلى أبيه، حيث احتج بقوله: "قد علمتم أنني ذهبت إلى أبي بقميص التَّرحَة، فدعوني أذهب إليه بقميص التَّرحَة. فتركوه" [13، ص54]

وبعد هذه المناقشة البسيطة الهدفة إلى شحن الذهن للبحث والاجتهاد العلمي، قد يُكتفى بالقول بأن الموضوع كله لم يكن إلا معجزةً من الله- تعالى-، وهذا لا شك فيه.

والظاهر من النص القرآني، أن النبي يعقوب- عليه السلام- كان ذا حاسة شمٍ مرهفة جداً؛ إذ شم رائحة يوسف قبل إلقاء القميص على وجهه، حيث جاء في هذا المعنى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ أُولَآءِ أَنْ تُفِئِدُونُ﴾ [يوسف:94]. ولا عجب أن تكون لدى بعض الأشخاص- وخاصة مكفوفي البصر والسمع- حاسة الشم قوية، خاصةً في بيئة جوها غير ملوث؛ حيث يكون انتشار الروائح أسرع وأشمل، وهذا معروف بالملاحظة. وعلى كلٍّ؛ فإن هذه الاجتهادات لا تنفي وجه المعجزة في هذا الشأن، وأن الله على كل شيء قدير.

ولكن جلساء يعقوب شككوا في إحساسه، واتهموه بالضلال، غير أن مجيء البشير وإلقاء القميص على وجه النبي يعقوب- عليه السلام- وارتداد بصره إليه أدهشهم؛ فأخذوا يحملقون فيه، وهم لا يكادون يصدّقون ما يرونه بأعينهم. أما سرور النبي يعقوب- عليه السلام- بالبُشرى فلا يمكن قياسه إلا قياساً كيفياً، تجلّى في استرداد البصر بعد سنين طويلة من البكاء والحزن حتى ابيضت عيناه. وهذا يدلنا على أن الأنبياء السارة والبشائر العظيمة قد تفعل في الجسم ونفسية الإنسان ما لا يمكن تصوره، من ردود

أما سرور النبي يعقوب- عليه السلام- بالبُشرى فلا يمكن قياسه إلا قياساً كيفياً، تجلّى في استرداد البصر بعد سنين طويلة من البكاء والحزن حتى ابيضت عيناه

أن الأنبياء السارة والبشائر العظيمة قد تفعل في الجسم ونفسية الإنسان ما لا يمكن تصوره، من ردود الأفعال، وأنماط السلوك المختلفة كاسترداد البصر بعد العمى، واسترداد النطق بعد البكم، والحركة بعد الشلل إذا كانت أسباب هذه العاهات نفسية وليست جسدية

إذا كان الاعتراف في القانون هو سيد الأدلة؛ فإنه من الناحية النفسية يُلخّص النفس البشرية من الصراع الذي قد تقع فيه، ومن الشعور الشديد بالذنب الذي يعذبها أشد العذاب، قد يتجاوز أي نوع من أنواع التعذيب الذي قد يتعرض له المذنب

الأفعال، وأنماط السلوك المختلفة كاسترجاع البصر بعد العمى، واسترداد النطق بعد البكم، والحركة بعد الشلل إذا كانت أسباب هذه العاهات نفسية وليست جسمية.

ولكن سرور النبي يعقوب - عليه السلام - لم يمنعه من تذكير أبنائه بما قال لهم سابقاً، بأنه قد يعلم من الله ما لا يعلمون، ولم يكن ذلك - بالتأكيد - إلا بالوحي. وأمام الدليل الذي قام أمام أعينهم؛ لم يتمالك أبناء يعقوب إلا الاعتراف بذنوبهم وأخطائهم؛ فترجوا أباهم بحرارة أن يستغفر الله لهم. ولك عزيزي القارئ أن تتصور مدى الشعور بالذنب الذي أحس به أبناء يعقوب جزاء جريمتهم. وقد تجلّى شعورهم هذا في الكلمات التي استعملوها؛ حيث قالوا: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف: 97]. فاعترفوا بالشعور بالذنب وبالآخطاء والذنوب التي ارتكبوها. ولولا هذا الشعور ما طلبوا من أبيهم أن يستغفر الله لهم، لكن طلبهم هذا وطلبهم من يوسف ذلك من قبل - ولا شك - كان سبباً للتخلص من الشعور الشديد بالذنب والخجل.

وإذا كان الاعتراف في القانون هو سيد الأدلة؛ فإنه من الناحية النفسية يخلص النفس البشرية من الصراع الذي قد تقع فيه، ومن الشعور الشديد بالذنب الذي يعذبها أشد العذاب، قد يتجاوز أي نوع من أنواع التعذيب الذي قد يتعرض له المذنب لو أقرّ واعترف بذنبه، وإذا كان بعض المذنبين يعترفون بذنوبهم؛ للاستفادة من الظروف المخففة نتيجة الاعتراف، فإن بعضهم يعترفون بذنوبهم لإراحة ضمائرهم - أولاً وقبل كل شيء - من العذاب النفسي الذي يعانونه.

تحقق رؤياً يوسف:

حزم النبي يعقوب - عليه السلام - أمتعته القليلة فوق جماله الهزيلة، ويمّم وجهه شطر مصر مع أبنائه وحرمه؛ للالتقاء بيوسف وأخيه. ويصلون إلى مصر منهوكي القوى بعد سفرٍ مُضنٍّ عبر صحارٍ وأراضٍ جرداءٍ مقفرة.

وصل خبر وصولهم إلى يوسف، فخرج مع أخيه وحاشيته لاستقبال أهله أحسن استقبال، وأجلس أبويه على أريكتين فخمتين، ولم يتمالك النبي يعقوب - عليه السلام - وحرمه وأبنائه أنفسهم دون السجود للنبي يوسف - عليه السلام - لما رآه من عظمة المُلْك، وجلال الموقف، وروعة المكان، وبيدع الغنون، وحرارة الاستقبال. كما لم يتمالك يوسف - عليه السلام - نفسه من التعبير عن سروره، وشكره لله - تعالى - على ما حباه به من التفضيل، والمنزلة الرفيعة، والدرجة العالية؛ فذكّر أباه برؤياه، مملحاً إلى تأويلها بالموقف الذي وجدوا أنفسهم جميعاً فيه، وهل هناك أحسن من وقوع الرؤيا كحقيقة تُرى بعد أن كانت نبوءة في عالم الغيب؟! وراح يوسف يعدّد نعم الله - تعالى - عليه وعلى أهله، والتي تمثلت في:

• تحقّق رؤياه التي رآها في طفولته.

• إخراجه من السجن بعد أن كادت له امرأة العزيز.

• مجيء أهله من البدو إلى الحضرة، واجتماعه بهم.

• فشل الشيطان في الإيقاع والتفريق بينه وبين إخوته.

ولم يُغفل النبي يوسف - عليه السلام - بعد الحمد والشكر عن الدعاء بحسن الخاتمة؛ حتى يتوفاه الله مسلماً، ويلحقه بالصالحين من الأنبياء والشهداء، وحسن أولئك رفيقاً

كل هذه الأحداث التي شكّلت قصة يوسف - عليه السلام - والابتلاء الذي مرّ به خلال مراحل حياته المختلفة؛ في طفولته عندما أُلقي في الجُبِّ، وفي شبابه عندما افتتنّت به امرأة العزيز، وكادت أن توقعه

إذا كان بعض المذنبين يعترفون بذنوبهم؛ للاستفادة من الظروف المخففة نتيجة الاعتراف، فإن بعضهم يعترفون بذنوبهم لإراحة ضمائرهم - أولاً وقبل كل شيء - من العذاب النفسي الذي يعانونه.

لا شك أن السنوات التي قضاه يوسف - عليه السلام - في الحكم والإدارة وخاصة أثناء إدارة أزمة الجفاف والكساد قد مكّنته يوسف من إتقان العدل والقسط بين الناس، ومهادنة الفساد والظلم والعدوان، والامبالاة

هذه الأحداث كانت من أنباء الغيب التي لم يطّلع عليها النبي محمد - ﷺ - قبل الوحي، الذي شكّل المصدر المعرفي الوحيد لنبينا - ﷺ - وإلا لكانت الإسرائيليات قد طغى على معارفه، وشوّمت قصه ورواياته

في حباتها، ووضعه في السجن لرفضه الرضوخ لشهواتها، وفي رجولته عندما تولى تسيير اقتصاد مصر خلال سبع سنوات من الرخاء، ثم خلال سبع سنوات أخرى من الكساد الاقتصادي، عبارة عن دروسٍ وعبرٍ لمن أراد أن يعتبر.

ولا شك أن السنوات التي قضاها يوسف -عليه السلام- في الحكم والإدارة وخاصة أثناء إدارة أزمة الجفاف والكساد قد مكّنت يوسف من إقامة العدل والقسط بين الناس، ومحاربة الفساد والمحاباة، والظلم والعدوان، واللامبالاة. لقد كانت سنوات لإرساء القيم الإيجابية، وقلع جذور الفساد والممارسات السلبية، وسنين لإعلاء كلمة الله، والإحسان إلى عباده.

هذه الأحداث كانت من أبناء الغيب التي لم يطّلع عليها النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- قبل الوحي، الذي شكل المصدر المعرفي الوحيد لنبينا -صلى الله عليه وسلم- وإلا لكانت الإسرائيليات قد طغت على معارفه، وشوّهت قصصه ورواياته

وبعد نهاية هذه القصة الحافلة بالعبر والقيم والدروس، تأتينا في آخر في سورة يوسف قضية سلوكية هامة، تكررت كثيراً في القرآن الكريم. وهي التأكيد على أن أكثر الناس ليسوا بمؤمنين، وأن أكثرهم لا يشكرون، وأن أكثرهم لا يعلمون. وقد تكرر هذا التأكيد عدة مرات في سور القرآن الكريم. ويدعم هذا التكرار ما يُلاحظ عند أغلبية سلوك الناس في هذه القضايا.

وقد جاء هذا التأكيد في وصف موقف أغلبية الناس، ولو حرص النبي على إيمانهم، وقام بدعوتهم على أحسن ما يرام.

إن قصة يوسف من البداية إلى النهاية عبرة لمن أراد أن يعتبر من أولي الألباب، ولم تكن هذه القصة مفترها من النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي كان أميناً وصادقاً. ولو كان من الذين اطلعوا على قصص التوراة والإنجيل؛ لجاءت روايته: إما مفترهاً كما افترى بنو إسرائيل وغيرهم على أنبيائهم، وإما مشوّهة يغلب عليها الخيال الجامح والبعيد عن حقيقة الأحداث التي وقعت فعلاً ليوسف -عليه السلام- في مراحل عمره المختلفة، وعن حقيقة الأحداث التي حدثت في تلك الحقب التاريخية من رخاء وجفاف وكساد.

ولعل هذه الرواية الصادقة التي صدرت عن مصدر معرفي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تصديقٌ للوحي الذي صدر من رب العالمين للأنبياء والرسل -عليهم السلام- قبل نبينا -صلى الله عليه وسلم- عبر مراحل التاريخ

وليس الهدف الخالد لهذا الوحي إلا إرساء دعائم الهدى والرحمة للمؤمنين، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

خلاصة:

ماذا يُستخلص من قصة يوسف -عليه السلام- في القرآن الكريم؟

القصة والسورة - بصفة عامة - غنية بالعظات والعبر، كما أنها غنية بالسنن والمواضيع النفسية وغيرها، الجديرة بالبحث العلمي، مثل موضوع الرؤى، والانفعالات السلبية مثل الغيرة والحسد، وعوامل الحزن والاكتئاب، ودور العامل الروحي في علاج الحزن والاكتئاب، وعلاج الاضطرابات (النفسية-الجسمية) علاجاً نفسياً وروحياً.

وفيما يأتي بعض ما يمكن أن يُستخلص من هذه القصة باختصار:

1- ابتلاء الأنبياء والأخيار، واختبارهم في مواقف متباينة، كأن يكون الابتلاء مرةً في مواقف الشدة كالضعف والحزن، ومرةً أخرى في مواقف الرخاء والقوة والسلطة مثلاً .

لعل هذه الرواية الصادقة التي صدرت عن مصدر معرفي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تصديقٌ للوحي الذي صدر من رب العالمين للأنبياء والرسل -عليهم السلام- قبل نبينا -صلى الله عليه وسلم- عبر مراحل التاريخ

ابتلاء الأنبياء والأخيار، واختبارهم في مواقف متباينة، كأن يكون الابتلاء مرةً في مواقف الشدة كالضعف والحزن، ومرةً أخرى في مواقف الرخاء والقوة والسلطة مثلاً

تعرض الأنبياء والأخيار إلى الظلم من ذوي القربى، وذوي الجاه والسلطة، وأن هذا التعرض قد يقع جزأً سنن التدافع بين الأفراد والمجتمعات

الانفعالات والجانب الوجداني بصفة عامة جزءاً أساساً في الطبيعة البشرية، وتأثيرها ملاحظ حتى عند أبناء الأنبياء والأخيار أنفسهم (مثل يعقوب عليه السلام).

لا يدل وقوع الظلم على الأخيار والأنبياء وطول مدته على انتصار الظلم على العدل، والباطل على الحق؛ فإن الله تعالى يُفصل ولا يُفصل

- 2- تعرّض الأنبياء والأخيار إلى الظلم من ذوي القربى، وذوي الجاه والسلطة، وأن هذا التعرّض قد يقع جزءاً سنن التدافع بين الأفراد والمجتمعات .
- 3- لا يعني طول الابتلاء اليأس من روح الله تعالى .
- 4- الانفعالات والجانب الوجداني بصفة عامة جزءٌ أساسٌ في الطبيعة البشرية، وتأثيرها ملاحظ حتى عند أبناء الأنبياء والأنبياء أنفسهم (مثل يعقوب عليه السلام).
- 5- تأثير الجانب الوجداني في السلوك، سواء كان هذا السلوك نشاطاً ذهنياً أم جسماً. وقد يصل هذا التأثير إلى حدّ تعطيل بعض وظائف الأعضاء .
- 6- لا يدلُّ وقوع الظلم على الأخيار والأنبياء وطول مدته على انتصار الظلم على العدل، والباطل على الحق؛ فإن الله تعالى يُمهّل ولا يُهمّل .
- 7- انتصار الحق على الباطل، والعدل على الجور، والخير على الشر، مهما طال الزمان، وساد الظلم والطغيان .
- 8- العفو عند المقدرة من عوامل استتباب الأمن والعدل .
- 9- القيادة الصالحة والفعالة شرطٌ أساسٌ لإدارة شؤون البلاد والعباد في الشدة والرخاء، ولتحقيق العدل والنماء .
- 10- انطباق سنن الطبيعة البشرية، وقوانين التدافع بين الناس على الأنبياء والأخيار، وإن كان الوحي يوجّه الأنبياء والرسل ويعصمهم.
- 11- أكثر الناس لا يشكرون نعم الله -تعالى- وفضائله عليهم؛ فكيف يشكرون غيرهم من الناس إن كانوا لله لا يشكرون؟!!

انتصار الحق على الباطل،
والعدل على الجور، والخير على
الشر، مهما طال الزمان، وساد
الظلم والطغيان

القيادة الصالحة والفعالة شرطاً
أساساً لإدارة شؤون البلاد
والعباد في الشدة والرخاء،
ولتحقيق العدل والنماء

" نفسانيات "

مجلة محكمة في علوم وطب النفس

على المتجر الإلكتروني

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=24&controller=category&id_lang=3

على شبكة العلوم النفسية العربية

<http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm>

على الفايس بوك

<https://www.facebook.com/Ajps/>

بوستر المجلة العربية " نفسانيات "

<http://www.arabpsynet.com/AFP-PubBr/APF.NafssaniatPubBr.pdf>

العدد 2: من الكتاب السنوي الثامن للشبكة " 22 عاماً من الكدح ... 19 عاماً من المنجزات "

الإنجاز الثاني: مجلات ودوريات في علوم وطب النفس

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetPart2.pdf>

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=290&controller=product&id_lang=3

دليل الأعداد السابقة - فهرس و ملخصات "

الجزء الأول: http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=238&controller=product&id_lang=3

الجزء الثاني: http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=240&controller=product&id_lang=3

الجزء الثالث: http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=240&controller=product&id_lang=3

الجزء الرابع : http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=241&controller=product&id_lang=3

الأخطاء الشائعة في صياغة مشكلات البحث وفرضياتها

ندوة دولية حول الأخطاء المنهجية الشائعة في بحوث علم النفس وعلوم التربية
جامعة قاصدي مرباح - ورقلة - 23-24 فبراير 2015



mustafait@hotmail.com

أ.د. مصطفى محشوي - أستاذ علم النفس والإدارة - الجامعة العربية المفتوحة - الكويت

مقدمة

تشكل الأخطاء الشائعة في صياغة مشكلات البحوث وفرضياتها حاجسا مؤرقا لكل من يهتم بالبحث العلمي بمفهومه الواسع؛ والذي يشمل رسائل وأطروحات الماجستير والدكتوراه، والبحوث النظرية والتطبيقية التي تجرى في الجامعات ومراكز البحوث سواء كان ذلك في البلدان العربية أم غيرها؛ ذلك لأن ارتكاب هذه الأخطاء وعدم تصويبها يؤدي إلى هدر الطاقات، وإلى تواتر هذه الأخطاء وانتشارها. موضوع هذه الدراسة يركز أساساً على "الأخطاء الشائعة" في صياغة مشكلات البحوث وفرضياتها وخاصة في بعض رسائل الماجستير والدكتوراه التي من المفروض أن تتبع قواعد صارمة في اتباع المنهجية العلمية.

فما هي الأخطاء الشائعة في صياغة مشكلات البحث وفرضياته خاصة في بحوث الماجستير والدكتوراه والمقالات العلمية؟

لا شك، أن هناك عوامل عديدة تسهم في ارتكاب هذه الأخطاء، ومن أهم هذه العوامل التي يمكن رصدها في إطار البحوث الجامعية وغيرها خاصة التي تجرى بالجزائر ما يلي:

1- ضعف تكوين الطلاب الجامعيين في منهجية البحث العلمي والتحليل الإحصائي وما يرتبط بذلك وخاصة فيما يتعلق بتدريب الطلاب على المنهجية العلمية وكيفية إعداد وكتابة البحوث عند إعدادها في إطار المواد أو المقررات المختلفة، وينعكس هذا الضعف بصفة سلبية على الدراسات والبحوث العلمية التي يكلف بها الباحثون المبتدئون في المراحل اللاحقة، ويرتبط هذا العامل بالعامل التالي.

2- ضعف الإشراف الأكاديمي على الطلاب الباحثين من طرف أعضاء الهيئة التدريسية إما لكثرة الطلاب الذين يشرف عليهم الأستاذ (المشرف) الواحد، وإما لضعف عضو المشرف نفسه في منهجية البحث العلمي، وإما لعدم وجود حوافز كافية للاهتمام بالإشراف على البحوث، وانشغال بعض المشرفين بالتدريس والساعات الإضافية وأنشطة أخرى (إدارية وغيرها) تستهلك أوقاتهم وجهودهم، وإما لاجتماع بعض أو كل هذه العوامل.

3- عدم بذل الجهد الكافي من الباحثين المبتدئين لصياغة مشكلة البحث صياغة دقيقة بالرجوع إلى الدراسات الحديثة في مجال التخصص، والاستعانة بمراجعتها لصياغة المشكلة بدقة، وربط ذلك بالفرضيات. ولعل هذا راجع في جانب منه إلى ضعف الإشراف الأكاديمي من جهة، والكسل عند بعض الباحثين المبتدئين، وإلى عدم معرفة اللغة الإنجليزية التي تنشر بها أحدث الدراسات في شتى

تشكل الأخطاء الشائعة في صياغة مشكلات البحوث وفرضياتها حاجسا مؤرقا لكل من يهتم بالبحث العلمي بمفهومه الواسع؛ والذي يشمل رسائل وأطروحات الماجستير والدكتوراه، والبحوث النظرية والتطبيقية التي تجرى في الجامعات ومراكز البحوث سواء كان ذلك في البلدان العربية أم غيرها

ما هي الأخطاء الشائعة في صياغة مشكلات البحث وفرضياته خاصة في بحوث الماجستير والدكتوراه والمقالات العلمية؟

ضعف تكوين الطلاب الجامعيين في منهجية البحث العلمي والتحليل الإحصائي وما يرتبط بذلك وخاصة فيما يتعلق بتدريب الطلاب على المنهجية العلمية وكيفية إعداد وكتابة البحوث عند إعدادها في إطار المواد أو المقررات المختلفة

المجالات، وإلى عدم تفرغ الباحث المبتدئ نفسه للبحث العلمي تفرغاً كاملاً.

وإسهاماً في مساعدة الباحثين المبتدئين على صياغة مشكلات البحث صياغة دقيقة، وعلى فهم العلاقة المثينة بين "مشكلة البحث" وفرضية البحث أو فرضياته، وعلى تفادي الأخطاء الشائعة في صياغة "مشكلة البحث" وفرضيته أو فرضياته فإننا نعتد في ذلك على ماورد في دليل الجمعية الأمريكية لعلم النفس (2011) ومراجع أخرى تذكر في السياق وفي قائمة المراجع والمصادر.

تري الجمعية الأمريكية لعلم النفس (2011) أن مقدمة الدراسة ينبغي أن تتضمن مشكلة البحث، كما ينبغي أن تتضمن تقديم هذه المشكلة بدقة بالإضافة إلى وصف استراتيجية (طريقة) البحث. وصياغة المشكلة بدقة، ينبغي طرح الأسئلة التالية قبل كتابة المشكلة والاهتمام بها والإجابة عنها ولو مبدئياً:

(1) لماذا المشكلة المطروحة مهمة؟ ولماذا تحتاج بحثاً جديداً؟

(2) كيف ترتبط المشكلة بالدراسات السابقة في مجال التخصص أو الميدان أو الموضوع؟

(3) ماهي الفرضيات الأساسية والفرعية؟ وماهي أهداف الدراسة؟ وكيف ترتبط هذه الفرضية أو

الفرضيات بنظرية ما إن وجدت؟

(4) كيف ترتبط الفرضيات بتصميم البحث؟

(5) ماهي النتائج النظرية والتطبيقية للبحث؟

ينبغي في البحوث الأساسية (النظرية) أن يبين الباحث عند الحديث عن أهمية المشكلة الحاجة إلى حل أي تناقض في نتائج الدراسات السابقة أو (و) التوسع في المجال الذي يتناوله تصور نظري ما. أما في البحث التطبيقي فقد يتطلب الأمر توضيح الحاجة إلى إيجاد حل لمشكلة سلوكية ما أو علاج اضطراب نفسي ما.

وعند تقديم مشكلة البحث ينبغي أن تقدم مختلف الآراء المتناقضة (المختلفة) حولها بكل موضوعية مع

تبيان هدف دراسة المشكلة المطروحة بناء على مراجعة الدراسات السابقة التي تعرض عند صياغة المشكلة.

ويصف (أونجل، 1983، ص: 23) عملية البحث العلمي بأنها: (عمل هادف لحل المشكلات إذ هناك

مشكلة بحث عندما يشعر الباحث بأن التفسير الحالي لظاهرة ما غير مرضٍ وقد يتطلب تحديد مشكلة

البحث معرفة كاملة بالدراسات السابقة التي تترجم إلى نظريات. والقيام بالبحث هو توسيع لهذه المعرفة

بطريقة منظمة).

وكما يرى (أونجل 1983، ص: 23) نفسه، فإن بيان المشكلة وصياغتها صياغة واضحة ودقيقة هو

بيان موجز للنظرية أو النظريات التي تفسر ظاهرة ما، وبيان تفصيلي لسبب عدم ملاءمة أو عدم تناسق

أو تناقض هذا التفسير. ويقدم الباحثون أفكاراً أو تصورات للوصول إلى تفسيرات أفضل، وعندما يتم

التعبير عن هذه الأفكار من أجل الاختبار (اختبارها) فإنها تسمى فرضيات.

ولاشك أن هناك جدلاً كبيراً بين الباحثين وفلاسفة المعرفة حول كيفية فحص الفرضيات وبناء

النظريات وإخضاع هذه الأخيرة للفحص Verification وللتفنيد Refutation وللدحض Falsification أو

للقبول Acceptance.

وأي نظرية غير قابلة للفحص الذي قد يؤدي إلى التفنيد أو الدحض فإنها لا تسمى نظرية علمية

بالمفهوم الإمبريقي، وقبولها لا معنى له ولا قيمة من الناحية العلمية خاصة عند أنصار المذهب التفنيدي

المنهجي. ويمكن لمن أراد البحث والتعمق في هذا الموضوع الرجوع إلى كتاب كارل بوبر (منطق

الاكتشاف العلمي، 1959 باللغة الانجليزية)، وأعمال (لاكتوس) المترجمة إلى اللغة العربية من طرف

أسعد سنة 2011. وبالطبع هناك من يعارض هذا المذهب بشدة. وقد استعرض (لاكتوس، 2011)

المذاهب المختلفة في تاريخ المعرفة وفلسفتها.

ضعف الإشراف الأكاديمي على الطلاب الباحثين من طرف أعضاء الهيئة التدريسية إما لكثرة الطلاب الذين يشرف عليهم الأستاذ (المشرف) الواحد، وإما لضعف عضو المشرف نفسه في منهجية البحث العلمي، وإما لعدم وجود حوافز كافية للاهتمام بالإشراف على البحوث

عدم بذل الجهد الكافي من الباحثين المبتدئين لصياغة مشكلة البحث صياغة دقيقة بالرجوع إلى الدراسات الحديثة في مجال التخصص، والاستعانة بمراجعتها لصياغة المشكلة بدقة، وربط ذلك بالفرضيات

تري الجمعية الأمريكية لعلم النفس (2011) أن مقدمة الدراسة ينبغي أن تتضمن مشكلة البحث، كما ينبغي أن تتضمن تقديم هذه المشكلة بدقة بالإضافة إلى وصف استراتيجية (طريقة) البحث

لماذا المشكلة المطروحة مهمة؟ ولماذا تحتاج بحثاً جديداً؟ (2) كيف ترتبط المشكلة بالدراسات السابقة في مجال التخصص أو الميدان أو الموضوع؟

تحديد المفاهيم:

نكتفي في هذه الدراسة بعرض أهم المفاهيم التي ترتبط بمشكلة الدراسة وهي الأخطاء الشائعة في صياغة مشكلة البحث وفرضياته.

مشكلة البحث:

أي سؤال يراد الإجابة عنه أو أي افتراض أو فكرة يراد بحثها: تأكيدها أو تحديدها أو تفنيدها أو دحضها يمكن أن يعتبر "مشكلة بحث" علمي إذا اتبعت المنهجية العلمية للوصول إلى إجابة أو إجابات عن هذه "المشكلة".

وليس من السهل كما يتبادر إلى ذهن بعض الباحثين صياغة مشكلة علمية قابلة للفحص؛ للتفنيد والتشكيك وللدحض أو للتأكيد؛ إذ هناك "مشكلات" صعبة جداً بشكل لا يمكن الإجابة عنها بالأدوات المتوفرة، كما أن بعض "المشكلات" قد قتلت بحثاً وبالتالي أصبحت الإجابة عنها معروفة ولا تحتاج إلى مزيد من الجهد والوقت وصرف الأموال دون طائل.

ويلاحظ أن أغلب الباحثين يصرفون وقتاً طويلاً قبل التوصل إلى صياغة مشكلة بحثية وتحديدها تحديداً دقيقاً على ضوء ما يتوافر من معرفة علمية وأدوات ومنهجية علمية مما يتطلب القيام بجهد كبير للاطلاع على كيفية طرح نفس المشكلة من باحثين سابقين وكيف قاموا بدراستها وما هي نتائج بحثهم. ولذا نرى حيرة الباحثين خاصة المبتدئين منهم في المرحلة الأولى من البحث قبل وبعد تسجيل أطروحة الماجستير أو الدكتوراه مثلاً.

ويعتبر الباحثون مثل (كومار) (Kumar, 1996) أن تحديد "مشكلة بحث" ما هي أول وأهم خطوة في عملية البحث العلمي، ويشبهها بتحديد وجهة السفر قبل الانطلاق، إذ هي التي تحدد خطة البحث ونوعيتها، وهي التي تحدد تصميم البحث وأسلوب المعاينة وأدوات البحث والتحليل. ويقودنا هذا التشبيه إلى القول بأن تحديد المشكلة وبالتالي تشخيصها يشكل نصف الحل.

فرضية البحث:

توجد عدة تعاريف لمفهوم الفرضية؛ فبينما يعتبرها بعض الباحثين مثل (كومار، 1996) أنها عبارة عن "تخمين" في ذهن باحث ما، فإن باحثين آخرين يرون أن الفرضية أكثر من مجرد تخمين بل قد تكون جواباً مؤقتاً عن سؤال ما أو حلاً مؤقتاً لمشكلة ما. وقد أكد هذا المعنى (أونجل، 1983) بأنه يمكن النظر إلى الفرضية على أنها تحديد أدق للمشكلة حيث يستدعي تحديد مشكلات البحث وضع بيانات مؤقتة لحلولها الممكنة، وتدعى هذه البيانات بالفرضية (أونجل، 1983، ص: 85).

ويرى (المنيزل، 2000، ص: 24-25) أن البحث العلمي "مصمم للإجابة عن سؤال محدد، وأن الإجابة عن هذا السؤال هي ما يدعى بالفرضية". ويرى أيضاً أن اختبار الفرضيات "عبارة عن العملية التي نقرر من خلالها فيما إذا دعمت الفرضية من خلال نتائج البحث". أما (أونجل، 1983) فيرى أن الفرضية من الناحية الجوهرية هي بيان للعلاقة بين مفهومين.

ويرى عدة باحثين مثل (أونجل، 1983) أن فرضية البحث أهم نقطة في عملية البحث؛ فهي التي تحدد نوع البيانات، وكيفية جمعها أي تصميم البحث، وتعتبر بمثابة الجسر الذي يوصل بين العالمين: النظري والتطبيقي أي بين النظريات والحقائق. وهي أي الفرضية تساعدنا على معرفة: أين نبحت كما أنها تساعد الآخرين على معرفة كيف نفكر؟ وتكمن أهمية "الفرضية" في قدرتها على تحديد اتجاه البحث، ودقته وتركيزه (كومار، 1996).

كيفية ترتبط الفرضيات بتصميم البحث؟

(5) ماهي النتائج النظرية والتطبيقية للبحث؟

هناك جداً كبيراً بين الباحثين وفلاسفة المعرفة حول كيفية فحص الفرضيات وبناء النظريات وإخضاع هذه الأخيرة للفحص Verification والتفنيد Refutation وللدحض Falsification أو القبول Acceptance

أي نظرية غير قابلة للفحص الذي قد يؤدي إلى التفنيد أو الدحض فإنها لا تسمى نظرية علمية بالمفهوم الإمبريقي، وقبولها لا معنى له ولا قيمة من الناحية العلمية خاصة عند أنصار المذهب التفنيدي المنهجي

أي سؤال يراد الإجابة عنه أو أي افتراض أو فكرة يراد بحثها: تأكيدها أو تحديدها أو تفنيدها أو دحضها يمكن أن يعتبر "مشكلة بحث" علمي إذا اتبعت المنهجية العلمية للوصول إلى إجابة أو إجابات عن هذه "المشكلة"

إن الخطوة الأولى كما يؤكد ذلك (أونجل، 1983)، في صياغة الفرضيات يكون في تقويم المعرفة الحالية في مجال معين وعدم القناعة بهذه المعرفة، والخطوة الثانية هي صياغة الفرضية حسب فهم الباحث ومن خلال تصور علاقة بين متغيرين: س، ص.

ويرى أونجل (1983) أننا حين ندرس ظاهرة ما فإنه يكون لدينا تفسيران: الأول تفسير النظرية الحالية التي نرى أنها غير كافية أو ناقصة والثاني تفسير من عندنا معتقدين أن هذا التفسير هو الأفضل مقارنة بالتفسير الأول.

وتتمثل الخطوة التالية في البحث عن الدليل من خلال جمع البيانات وتحليلها ومناقشتها لاتخاذ قرار الاحتفاظ إما بالفرضية النظرية (فرضية البحث) وإما بالفرضية الصفرية.

وإذا استخدمنا الإحصاء لاختبار الفرضية فلا بد أن يكون مستوى الدلالة قوياً؛ أي لا ينبغي أن يكون أقل من 0.05، وأن احتمال الخطأ لا ينبغي أن يتجاوز 0.05.

واتفق مع (كومار، 1996) أن الباحث قد ينطلق من فرضية أو فرضيات محددة. ولكن الانطلاق من فرضية أو فرضيات محددة ليس هو الأسلوب الوحيد لإجراء البحوث العلمية؛ إذ قد يقوم الباحث بطرح سؤال أو أسئلة تكون محور دراسته وبالتالي ينهي بحثه بتشكيل فرضيات بناءً على النتائج المحصل عليها؛ أي أن يكون أحد أهداف دراسته هو "توليد الفروض" مما يشكل أرضية لبحوث أخرى.

أهم خصائص الفرضية كما يلخصها (كومار، 1996) ما يلي:

(1) ينبغي أن تكون بسيطة ومحددة وواضحة.

(2) ينبغي أن تكون قابلة للفحص بمناهج وأدوات متوافرة أو يمكن توافرها.

(3) ينبغي أن تكون ذات علاقة بالمعرفة المتوافرة وأنها ستضيف شيئاً لهذه المعرفة لأن هذه بالإضافة

من أهم وظائف البحث العلمي كما يؤكد على ذلك كل الباحثين.

(4) ينبغي أن تكون إجرائية أي ينبغي أن تصاغ بطريقة قابلة للقياس ذلك لأن عدم خضوع الفرضية

للقياس فإنها لا تكون قابلة للاختبار وبالتالي لا يمكن استخلاص نتيجة أو نتائج (كومار، 1996).

أنواع الفرضيات:

يتفق معظم الباحثين مثل (لين، 1976) و(أونجل، 1983) و(كومار، 2000) أن هناك نوعين من

الفرضيات:

1- الفرضية الصفرية:

وهي الفرضية التي تنفي وجود فروق جوهرية بين مجموعتين أو أكثر، أو تنفي وجود ارتباط (علاقة)

بين متغيرين.

ومثال ذلك:

- لا توجد علاقة بين الذكاء والتحصيل الدراسي لدى التلاميذ في المرحلة الابتدائية.

- لا توجد فروق جوهرية بين متوسطي درجات التلاميذ المبدعين وغير المبدعين.

يستحسن للباحث أن يحدد مستوى الدلالة أو درجة الثقة التي سيختبر فيه الفرضية الصفرية؛ وذلك

بتحديد نسبة ألفا أو احتمال الخطأ عند 0.05 أو 0.01 علماً بأن أي احتمال خطأ يتجاوز 0.05 غير

مقبول في الدراسات النفسية والتربوية والاجتماعية. واختبار الفرضيات التي تقوم على التحليل الإحصائي

هناك "مشكلات" صعبة جداً بشكل لا يمكن الإجابة عنها بالأدوات المتوافرة، كما أن بعض "المشكلات" قد تقتل بحثاً وبالتالي أصبحت الإجابة عنها معروفة ولا تحتاج إلى مزيد من الجهد والوقت وصرف الأموال دون طائل

أن تحديد "مشكلة بحث" ما هي أول وأهم خطوة في عملية البحث العلمي، ويشبهها بتحديد وجهة السفر قبل الانطلاق

يمكن النظر إلى الفرضية على أنها تحديد أدق للمشكلة حيث يستدعي تحديد مشكلات البحث وضع بيانات مؤقتة لحلها الممكنة، وتدعى هذه البيانات بالفرضية

أن البحث العلمي "مصمم للإجابة عن سؤال محدد، وأن الإجابة عن هذا السؤال هي ما يدعى بالفرضية

أن فرضية البحث أهم نقطة هي عملية البحث؛ فهي التي تحدد نوع البيانات، وكيفية جمعها أي تصميم البحث، وتعتبر بمثابة الجسر الذي يوصل بين العالمين: النظري والتطبيقي أي بين النظريات والحقائق

حين ندرس ظاهرة ما فإنه يكون لدينا تفسيران: الأول تفسير النظرية الحالية التي نرى أنها غير كافية أو ناقصة والثاني تفسير من عندنا معتقدين أن هذا التفسير هو الأفضل مقارنة بالتفسير الأول.

إذا استخدمنا الإحصاء لاختبار الفرضية فلا بد أن يكون مستوى الدلالة قوياً؟ أي لا ينبغي أن يكون أقل من 0.95، وأن احتمال الخطأ لا ينبغي أن يتجاوز 0.05

الانطلاق من فرضية أو فرضيات محددة ليس هو الأسلوب الوحيد لإجراء البحوث العلمية؛ إذ قد يقوم الباحث بطرح سؤال أو أسئلة تكون محور دراسته

فإن معظم الباحثين يعتمدون إلى اخضاع "الفرضية الصفريّة" للاختبار وليس الفرضية البديلة أو فرضية البحث. ولذا تسمى الفرضية الصفريّة بالفرضية الإحصائية.

وعليه، فإذا وجد الباحث أن الفروق بين مجموعتين أو أكثر ذات دلالة جوهرية فإنه يرفض الفرضية الصفريّة مما يؤدي إلى تأكيد الفرضية البديلة التي هي فرضية البحث. أما إذا لم يجد الباحث فروقا جوهرية بين مجموعتين أو أكثر أو بين متغيرين فإنه يعجز في هذه الحالة عن رفض الفرضية الصفريّة كما يعجز عن دعم الفرضية البديلة. ولكن هذا لا ينبغي أن يؤدي بالباحث إلى قبول الفرضية الصفريّة ورفض الفرضية البديلة كما يسارع إلى ذلك بعض الباحثين المبتدئين مما يعتبر من الأخطاء الشائعة التي سنقف عندها عندما نستعرض الأخطاء الشائعة أثناء اختبار "الفرضية الصفريّة".

وبينما تؤكد الجمعية الأمريكية لعلم النفس (2011) أن علماء النفس (خاصة الأمريكيين منهم) يعتمدون كثيراً على استعمال "الفرضية الصفريّة" إلا أن الفرضية الصفريّة لا ينبغي أن تكون إلا إحدى الوسائل التي ينبغي أن تورد نتائج تحليلها؛ إذ ينبغي بالإضافة إلى إيراد النتائج الخاصة بالفرضية الصفريّة إيراد معلومات أخرى مثل تأثير حجم العينة في النتائج، ومستويات الدلالة (درجات الثقة واحتمال الخطأ).

2- الفرضية البديلة أو البحثية:

وهي الفرضية التي تنتبأ بالنتيجة، ويفترض فيها الباحث وجود علاقة بين متغيرين أو أكثر، كما قد يفترض وجود فروق بين مجموعتين أو أكثر في متغير ما. وتنقسم الفرضية البديلة إلى نوعين:
أ- الفرضية البديلة ذات الاتجاه:

وهي الفرضية التي يحدد فيها الباحث وجود جوهرية بين متغيرين أو مجموعتين لصالح متغير ما أو مجموعة ما؛ كالقول مثلاً: أداء الطلاب الأذكاء في الرياضيات أعلى من الطلاب الأقل ذكاءً، وكالقول: توجد فروق جوهرية في التحصيل الدراسي بين مجموعة الطلاب الذين يتغيّبون ومجموعة الطلاب الذين لا يتغيّبون عن الدراسة وذلك لصالح المجموعة الثانية.

ب- الفرضية البديلة عديمة الاتجاه:

وهي الفرضية التي تصاغ بشكل لا يحدد فيه الباحث اتجاه العلاقة بين متغيرين ما فيما إذا كان (الاتجاه) سلبياً أم إيجابياً كما لا يحدد الفرق بين مجموعتين أ، ب لصالح أي مجموعة سيكون. ومثال ذلك:

- توجد فروق جوهرية في الأداء بين الموظفين المدربين والموظفين غير المدربين.

- توجد علاقة بين الطلاق والمستوى التعليمي للزوجين.

العلاقة بين مشكلة البحث والفرضية:

يمكن أيضاً النظر إلى الفرضية على أنها تحديد أدق للمشكلة حيث يستدعي تحديد مشكلات البحث وضع بيانات مؤقته لحلها الممكنة، وتدعي هذه البيانات بالفرضية (أونجل 1983، ص: 85). ولكن، وكما يقول بعض الباحثين مثل (أونجل، 1983)، وكما ألاحظ شخصياً في كثير من رسائل الماجستير والدكتوراه التي تعد بالجامعات الجزائرية، هناك خلط بين مشكلات البحث وفرضيات البحث.

يشرح بعض الباحثين مثل (أونجل، 1983) الاختلاف الموجود بين المفهومين بالقول إن مشكلة البحث تهتم بمعرفة فيما إذا توجد علاقة بين المتغيرين: (أ) و(ب) أم لا، بينما تقوم فرضية البحث على

تصور وجود علاقة بين المتغيرين: (أ) و (ب)؛ أي أن المشكلة تبحث في قضية أساسية قبل صياغة الفرضية، وتتمثل هذه القضية في التساؤل فيما إذا كانت هناك أصلاً علاقة بين متغيرين. وللتذكير، فإن نوعية العلاقة بين المتغيرات قد تكون إما علاقة سببية وإما ارتباطية أو لا علاقة.

فإذا أخذنا العلاقة بين الذكاء والتحصيل الدراسي مثلاً، فإن مشكلة البحث في هذه الحالة قد تصاغ بطرح السؤال التالي: هل هناك علاقة بين الذكاء والتحصيل الدراسي؟

للإجابة عن هذا السؤال، من الممكن أن نقوم ببحث استطلاعي ونجمع البيانات اللازمة ونحللها ثم ننتهي إلى الجواب عن السؤال: بتأكيد وجود علاقة بين المتغيرين. أما إن أردنا صياغة فرضية في نفس الموضوع، فإننا نصوغها بالشكل التالي: توجد علاقة بين الذكاء والتحصيل الدراسي، أو توجد علاقة طردية بين المتغيرين.

وفي الواقع، فإنه لا يمكن المجازفة بمثل هذه الصياغة (وجود علاقة بين متغيرين) إلا إذا كان هناك تراكم معرفي سابق وإلا سيكون الأمر بمثابة تخمين يحتاج لبحوث كثيرة لتأكيدته وتثبيته كمنظريته.

ولصياغة المشكلة بصفة أدق، وللتفريق بينهما وبين الفرضية فإن (أونجل، 1983) يرى أن "مشكلة البحث" هي عدم كفاية المعرفة الحالية، والفرضية هي محاولة لتحسينها. ويضرب مثلاً لذلك، بطرح السؤال التالي حول المعرفة: ما هو العيب في معرفتنا؟ وكيف نفكر في الحصول على معرفة تتطوي على صحة أو دقة أكثر؟ وببساطة أكثر: لماذا لا نوافق على شيء ما أو حل ما؟ وما هو حلنا أو بديلنا؟

ويمكن التمييز أيضاً بين مشكلة البحث والفرضية بالقول إن صياغة مشكلة البحث تنطلق من الملاحظة والخبرة الشخصية والتراكم المعرفي الذي لم يصل إلى حد صياغته في نظرية، بينما ينطلق الباحثون عادة في صياغة الفرضيات من نظريات قائمة فعلاً أو من تراكم معرفي في مجال محدد.

العلاقة بين الفرضية النظرية والفرضية الصفيرية:

تصور الفرضيات النظرية المستنبطة من إطار نظري (نظرية ما) وجود علاقة بين متغيرين أو أكثر. على سبيل المثال: كلما ازداد (س) ازداد (ص)، وقد تكون هذه علاقة في شكل تباين مشترك أو في شكل علاقة سببية.

- مثال "العلاقة السببية": ازدياد الغضب بارتفاع هرمون الأدرينالين في الدم.

- مثال "التباين المشترك": كلما انخفض مستوى ذكاء الطفل كلما انخفض تحصيله الدراسي.

ولكن لاختبار أي فرضية لا بد أن تكون قابلة للرفض أو الدحض أو للتأكيد.

بصفة عامة هناك طريقتان لاختبار فرضية البحث:

(1) طريقة مباشرة (اختبار مباشر):

وتشمل في جمع ملاحظات إمبريقية تبين بدرجة ثقة عالية أن الفرضية غير صحيحة. وإذا تأكدنا من أن درجة الثقة المعتمدة في بحثنا عالية وأن احتمال الخطأ منخفض، فإن هذا يدل على أن هناك احتمالاً كبيراً لتكون الفرضية خاطئة.

(2) طريقة غير مباشرة (اختبار غير مباشر):

وتقوم على استعمال الفرضيات الصفيرية والتي تناقض الفرضية النظرية حيث إن هذه الأخيرة تتصور وجود علاقة بين متغيرين س، ص مثلاً بينما تقوم الفرضية الصفيرية على نفي هذه العلاقة أي عدم وجود علاقة بين س، ص.

أهم خصائص الفرضية كما يلخصها (كومار، 1996) ما يلي:

- (1) ينبغي أن تكون بسيطة ومحددة وواضحة.
- (2) ينبغي أن تكون قابلة للنقص بمناهج وأدوات متوافرة أو يمكن توافرها

الفرضية الصفيرية: وهي الفرضية التي تنفي وجود فروق جوهرية بين مجموعتين أو أكثر، أو تنفي وجود ارتباط (علاقة) بين متغيرين

إذا وجد الباحث أن الفروق بين مجموعتين أو أكثر ذات دلالة جوهرية فإنه يرفض الفرضية الصفيرية مما يؤدي إلى تأكيد الفرضية البديلة التي هي فرضية البحث

ينبغي بالإضافة إلى إبراز النتائج الخاصة بالفرضية الصفيرية إبراز معلومات أخرى مثل تأثير حجم العينة في النتائج، ومستويات الدلالة (درجات الثقة واحتمال الخطأ).

وأكد (لين، 1976، ص:15) أن النظرية تخدم من الناحية العلمية هدفاً مهماً يتمثل في: "شرح العلاقات بين أنشطة تقع تحت الملاحظة". وهذه الأنشطة قد تكون أي سلوك نفسي أو اجتماعي أو اقتصادي. ومن المفترض منطقياً وعلمياً - أننا إذا انطلقنا من نظريات علمية واشتققنا منها فرضيات بطريقة صحيحة - أن نؤكد هذا الفرضيات بالبحث الإمبريقي وبالتالي ندعم النظريات العلمية القائمة. ولكن هذا لا يعني عدم التشكيك فيها مطلقاً (انظر الشكل رقم 1 في الملحق).

ونظراً لأن هذا البحث يتعلق بالأخطاء الشائعة في صياغة مشكلات البحوث العلمية وفرضياتها في ميادين علم النفس، فإننا نصوغ الأسئلة التالية بهدف الإجابة عنها من خلال مراجعة الدراسات السابقة، ومن خلال الاطلاع على نماذج لكيفية صياغة مشكلات البحث وفرضياتها في بعض رسائل الماجستير والدكتوراه في بعض الجامعات الجزائرية.

أسئلة الدراسة:

نظراً لتشعب الموضوع وعلاقته بمناهج البحث بصفة عامة، فإننا نكتفي في هذه الدراسة بالتركيز على الأخطاء الشائعة عند صياغة مشكلة البحث وفرضياته في العلوم الاجتماعية وخاصة في علم النفس؛ فنتساءل:

- 1- ما هي أهم الأخطاء الشائعة عند صياغة مشكلة البحث؟
- 2- ماهي أهم الأخطاء الشائعة عند صياغة فرضية أو فرضيات البحث؟
- 3- كيف يتم تقادي هذه الأخطاء بهدف تطوير جودة البحث العلمي؟

(أ) الأخطاء الشائعة عند صياغة مشكلات البحث:

من الأخطاء الشائعة عند صياغة مشكلات البحث ما يلي:

- (1) عدم تحديد المشكلة تحديداً دقيقاً على ضوء ملاحظة دقيقة أو على ضوء القيام بمراجعة الدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع. وعادة ما يكون هذا بسبب عدم بذل الجهد في الاطلاع على جوانب المشكلة من خلال الدراسات السابقة؛ فيعمد الباحث إلى صياغة المشكلة صياغة عامة تفقر للتحديد مما لا يشكل أي إضافة علمية من خلال البحث حيث يصبح البحث تجميعياً وليس إضافة أو إبداعاً أو تجديداً في مجال البحث العلمي. وهذا ما أسماه بالبحث الأقي أو "النزعة الصغرية" بدلاً من القيام ببحث متعمق "عمودي" وقد يكون هذا لعدة أسباب من أهمها عدم معرفة كثير من الباحثين في الجزائر للغة الإنجليزية.
- (2) تكرار دراسة المشكلة؛ حيث يعتمد بعض الباحثين المبتدئين وغالباً ما يكون ذلك لعدم مراجعة الدراسات السابقة بتكرار دراسة مشكلة قد درست من قبل من طرف باحثين آخرين، ودون إشارة لذلك. ورغم ذلك يؤكدون أن المشكلة لم تدرس من قبل بينما هم في الواقع لم يطلعوا على الدراسات السابقة بشكل كافٍ لعدة أسباب لا مجال لذكرها هنا. فقد لاحظت مثلاً أن إحدى الباحثات تجري بحثاً حول "التحفيز والدافعية"، وأشارت إلى بعض الدراسات التي أجريت حول الموضوع في الجزائر بينما لم تشر إلى رسائل ماجستير أجريت في جامعة الجزائر مثلاً ذات علاقة بالموضوع. وقد يرجع هذا إلى عدم توثيق هذه البحوث، ووضعها في متناول الباحثين، وعدم وجود نظام لكشف الغش في البحث باللغة العربية كما هو موجود باللغة الانجليزية مثلاً.
- (3) عدم ربط تحديد المشكلة بأهمية الدراسة من الناحية النظرية والعملية وبأهداف الدراسة مما يفقد مشكلة البحث أهميتها وقيمتها العلمية والعملية.

الفرضية البديلة أو البهنية: وهي الفرضية التي تنبأ بالنتيجة، ويفترض فيها الباحث وجود علاقة بين متغيرين أو أكثر، كما قد يفترض وجود فروق بين مجموعتين أو أكثر في متغير ما

الفرضية البديلة ذات الاتجاه: وهي الفرضية التي يحدد فيها الباحث وجود جوهرية بين متغيرين أو مجموعتين لصالح متغير ما أو مجموعة ما

الفرضية البديلة عديمة الاتجاه: وهي الفرضية التي تصاغ بشكل لا يحدد فيه الباحث اتجاه العلاقة بين متغيرين ما فيما إذا كان (الاتجاه) سلبياً أو ايجابياً كما لا يحدد الفرق بين مجموعتين أ، ب لصالح أي مجموعة سيكون

أن "مشكلة البحث" هي عدم كفاية المعرفة الحالية، والفرضية هي محاولة لتحسينها

(4) عدم ربط مشكلة الدراسة وما تتطلبه من خطوات بجدول زمني لكل مرحلة من مراحل البحث مما يجعل بعض الباحثين يتيهون في المرحلة الأولى من مراحل البحث ويضيعون وقتاً طويلاً مما لا يترك لهم فسحة من الوقت للقيام بالمرحلة الباقية بجودة مقبولة وفي الوقت المحدد لها. وأذكر في هذا المجال أنني وضعت جدولاً زمنياً في إحدى الدراسات التي أجريتها مع باحثين جزائريين، وعندما وصلنا إلى مرحلة جمع البيانات طلب مني أحد الأعضاء تمديد فترة جمع البيانات لمدة ستة شهور أخرى، أو عدم تحديد فترة جمع البيانات.

(5) غموض العبارات المستعملة لتحديد المشكلة المطروحة، وعدم تحديد المفاهيم المستعملة، وعدم تحديد الإطار النظري لهذه المفاهيم إن وجد، وعدم تقديم تعاريف إجرائية (قابلة للقياس) للمفاهيم التي تتضمنها المشكلة أو الاكتفاء بتقديم تعاريف عامة غير مرتبطة بأهداف الدراسة وأدوات القياس المستعملة.

(6) عدم انبثاق "مشكلة البحث" عن رغبة الباحث ومن حبه لمجال معين يريد البحث والتعمق فيه. ولكن قد تفرض عليه "مشكلة البحث" من جهة رسمية أو غير رسمية مما يفقد الباحث الحافز الداخلي للقيام بالبحث وبذل الجهد والإبداع فيه، وإنهائه في آجال معقولة.

ونلاحظ هنا أن مشكلات البحث العلمي التي تطرح من طرف بعض الباحثين في الجامعات الجزائرية لا تشكل إضافة نوعية إما لأنها تكرر لبحوث سابقة في نفس الموضوع، وإما لأنها مواضيع متشابهة تجرى في عدة جامعات في نفس الوقت دون أن يدري الباحثون المعنيون أنهم يقومون بنفس البحوث إلى حد أنني اطلعت مؤخراً على بحثين (ماجستير) من جامعتين مختلفتين يحملان نفس العنوان. ولو أن هناك تعاوناً أو تنسيقاً بين الباحثين في هذا المجال لكانت المشكلة أهون لأنها قد تفيد في مقارنة النتائج وتلاقح الأفكار وتطوير البحث العلمي، وتراكم المعرفة.

وعلاوة على ما ذكر أعلاه، يمكننا أن نضيف الأخطاء التالية:

● غموض المشكلة: وقد يكون هذا الغموض بسبب اللغة المستعملة من طرف الباحث، أو بسبب عدم فهم المشكلة من طرف الباحث نفسه.

● عدم الربط بين صياغة المشكلة ومراجعة الدراسات السابقة بسبب نقص المراجع العلمية في مجال معين أو بسبب عدم معرفة الباحث للغة الإنجليزية التي تعتبر لغة البحث في علم النفس في هذا العصر. ولتفادي الأخطاء المذكورة أعلاه، ينبغي للباحثين وخاصة المبتدئين منهم اتباع الخطوات التالية التي لخصها (كومار، 1996) بهدف صياغة مشكلة بحث ذات أهمية علمية:

- تحديد مجال البحث الذي يهتم به الباحث/الباحثة والمتصل بمجال اختصاصه.
- تحديد المجالات الفرعية للمجال الواسع للبحث وذلك من خلال عقد لقاءات تفاعل (عصف ذهني) ومناقشة مع مختصين في المجال ومع زملاء ومشرفين وغيرهم.
- اختيار مجال فرعي واحد أو أكثر من ضمن المجالات الفرعية المحددة وذلك لإجراء البحث في إطاره. ولتحقيق ذلك يستحسن البدء باستبعاد المجالات الفرعية التي لا تدخل في اهتمام الباحث.
- طرح الأسئلة التي يراد الإجابة عنها من خلال البحث العلمي.
- تحديد أهداف البحث الرئيسية والفرعية للمجال المحدد.

إن صياغة مشكلة البحث تنطلق من الملاحظة والخبرة الشخصية والتراكم المعرفي الذي لم يصل إلى حد صيغته في نظرية

ينطلق الباحثون عادة في صياغة الفرضيات من نظريات قائمة فعلاً أو من تراكم معرفي في مجال محدد.

أن النظرية تخدم من الناحية العلمية هدفاً ممماً يتمثل في: "شرح العلاقات بين أنشطة تقع تحت الملاحظة". وهذه الأنشطة قد تكون أي سلوك نفسي أو اجتماعي أو اقتصادي

ما هي أهم الأخطاء الشائعة عند صياغة مشكلة البحث؟
2- ماهي أهم الأخطاء الشائعة عند صياغة فرضية أو فرضيات البحث؟
3- كيف يتم تفادي هذه الأخطاء بهدف تطوير جودة البحث العلمي؟

■ تقويم هذه الأهداف بهدف تحديد إمكانية تحقيقها ضمن الموارد والإمكانات المتوافرة (الوقت، الموارد البشرية والمالية والتقنية) ونضيف إلى هذا ضرورة ربط مشكلة البحث بفرضيات البحث أو أسئلة البحث المحددة تحديداً دقيقاً، كما ينبغي ربط المشكلة بتصميم البحث والمجتمع الأصلي الذي تجرى فيه الدراسة، وبأسلوب المعاينة وأسلوب (أساليب) تحليل البيانات.

(ب) الأخطاء الشائعة في فرضيات البحث:

يمكن توزيع الأخطاء المتعلقة بالفرضيات إلى ثلاثة أنواع: الأخطاء عند صياغة الفرضيات، الأخطاء عند اختبار الفرضيات والأخطاء عند عرض النتائج ومناقشتها.

(أولاً): الأخطاء عند صياغة الفرضيات:

تتمثل الأخطاء التي يمكن أن تظهر عند صياغة الفرضيات في الآتي:

■ أخطاء الصياغة اللغوية مثل: غموض المفردات والمفاهيم المستعملة بالإضافة إلى الأخطاء نحوية وإملائية.

■ أخطاء الصياغة الإحصائية: إيراد الفرضيات في شكل أسئلة بدلاً من إيرادها في شكل تصور علاقات أو تباين أو وجود فروق جوهرية.

■ عدم صياغة فرضية البحث بشكل الفرض الصفري عندما يكون البحث قائماً على التحليل الإحصائي.

■ عدم ذكر مستوى الدلالة الذي تختبر فيه الفرضية الصفرية أو الفرضية البديلة.

■ إيراد الفرضيات بشكل معقد تتداخل فيه عدة متغيرات وعوامل مما يصعب فحص الفرضية باختبارات إحصائية مناسبة أو قياس المتغيرات المذكور بأدوات قياس مناسبة. ويبدو أن بعض المشرفين على رسائل الماجستير والدكتوراه في بعض الجامعات الجزائرية لا يقبلون البحوث النفسية التي تقوم على متغيرين فقط بل ينبغي أن تتداخل فيها عدة متغيرات. وقد رفض مشروع بحث دكتوراه في علم النفس بجامعة أبي القاسم سعد الله (في العاصمة) بسبب تقديم الفرضيات على أساس تصور علاقة بين متغيرين فقط.

وللعلم، فإن هذا الرفض يتناقض تماماً مع ما يدعو إليه معظم الباحثين المعاصرين من ضرورة صياغة الفرضيات بأسلوب بسيط بشكل يحدد فيه المتغير المستقل والمتغير التابع، كما يؤكدون أن الفرضيات المعقدة لا يمكن اختبارها باختبار واحد، كما أنها تحتاج إلى تقسيمها إلى عدة فرضيات بسيطة كما أشار إلى ذلك (بانجي، ككتيس، جاهاف، بهاولكر وشودري، 2009).

(Banjee, Chtnis, Jahav, Bhamalker, Shaudhury, 2009).

■ الخلط في الصياغة بين الفرضيات التي تقوم على المنهج الوصفي الإحصائي والفرضيات التي تقوم على المنهج التجريبي أو منهج التحليل النفسي. ويرتبط بهذه المشكلة الخلط بين مفهومي الارتباط والسببية في صياغة الفرضيات وبالتالي الخلط في تسمية أو تحديد المنهج المتبع. ويستدعي الأمر التحديد الدقيق للعلاقات بين المتغيرات.

■ الخلط بين فرضية البحث (أو الفرضية الصفرية ورمزها H_0) والفرضية الإحصائية (أو الفرضية البديلة ورمزها H_1) عند صياغة فرضيات البحث.

عدم تحديد المشكلة تحديداً دقيقاً على ضوء ملاحظة دقيقة أو على ضوء القيام بمراجعة الدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع

تكرار دراسة المشكلة؛ حيث يعتمد بعض الباحثين المبتدئين وغالباً ما يكون ذلك لعدم مراجعة الدراسات السابقة بتكرار دراسة مشكلة قد درست من قبل من طرف باحثين آخرين، ودون إشارة لذلك

عدم ربط تحديد المشكلة بأهمية الدراسة من الناحية النظرية والعملية وبأهداف الدراسة مما يفقد مشكلة البحث أهميتها وقيمتها العلمية والعملية

عدم ربط مشكلة الدراسة وما تتطلبه من خطوات وجدول زمني لكل مرحلة من مراحل البحث مما يجعل بعض الباحثين يتيهون في المرحلة الأولى من مراحل البحث

تتعلق فرضيات البحث من تصور علاقة بين متغيرات ما أو بين متغيرين: س، ص ومن الناحية العلمية، فإن الخطوة الأولى كما يؤكد ذلك (أونجل، 1983، ص: 26)، في صياغة الفرضيات يكون من تقويم المعرفة الحالية في مجال معين وعدم القناعة بهذه المعرفة، والخطوة الثانية هي صياغة الفرضية حسب فهم الباحث ومن خلال تصور علاقة بين متغيرين س، ص.

ويرى (أونجل، 1983) أيضاً أننا حين ندرس ظاهرة ما فإنه يكون لدينا تفسيران: الأول تفسير النظرية الحالية التي نرى أنها غير كافية أو ناقصة، والثاني تفسير من عندنا معتقدين أن هذا التفسير هو الأفضل مقارنة بالتفسير الأول.

وتتمثل الخطوة التالية في البحث عن الدليل من خلال جمع البيانات وتحليلها ومناقشتها لاتخاذ قرار الاحتفاظ إما بالفرضية الصفريّة (فرضية البحث) أو بالفرضية النظرية (البديلة). وإذا استخدمنا الإحصاء لاختبار الفرضية فلا بد أن يكون مستوى الدلالة قوياً؛ أي لا ينبغي أن يكون مستوى الثقة أقل من 0.95 ولا ينبغي أن يتجاوز احتمال الخطأ 0.05.

(ثانياً): الأخطاء عند اختبار الفرضيات:

عندما يقوم الباحث باختبار فرضية أو فرضيات باستعمال أحد المناهج العلمية المعروفة فإنه قد يصل إلى نتيجة مفادها أن الفرضية صحيحة أو أنها غير صحيحة. وقد يصل الباحث إلى خلاصة (نتيجة) خاطئة حول الفرضية في الحالات التالية:

- 1- إذا كان تصميم الدراسة المختار خاطئاً.
- 2- إذا كانت طريقة المعاينة المختارة خاطئة.
- 3- إذا كانت طريقة جمع البيانات خاطئة أو غير دقيقة.
- 4- إذا كان تحليل البيانات خاطئاً.
- 5- إذا كانت الأساليب الإحصائية (الاختبارات الإحصائية) المستعملة غير ملائمة.
- 6- إذا كانت النتائج المستخلصة خاطئة. (Kumar, 1996).

ويؤكد معظم الباحثين مثل (Lin, 1976)، (أونجل، 1983)، (Kumar 1996) أن هناك خطأين شائعين قد يقع فيهما الباحث عندما يستخلص نتائج حول اختبار فرضية ما، هما: الخطأ من النوع الأول، والخطأ من النوع الثاني.

أ- الخطأ من النوع الأول:

يعرف (شبيجل، 2004) الخطأ من النوع الأول بأنه (إمكانية أن نرفض - بناءً على ما حصلنا عليه من معلومات - الفرضية الصفريّة وهي صحيحة، أي رفض فرضية كان من الواجب قبولها). بمعنى آخر، فإن الخطأ من النوع الأول يعني رفض الفرضية الصفريّة وهي في الواقع صحيحة؛ أي أن نقرر بأنه لا يوجد فرق أو اختلاف بين المتغيرات المراد دراستها ولكن بالخطأ أو الصدفة تم إثبات عكس ذلك.

يرمز لاحتمال هذا الخطأ في كتب الإحصاء والمنهجية بالرمز ألفا α ؛ حيث تشير ألفا إلى مستوى الدلالة الذي نختاره عند فحص علاقة ما، والذي لا ينبغي أن يقل عن 0.05 كما أشرنا إلى ذلك. ويتعلق هذا الخطأ باحتمال رفض الفرضية الصفريّة عندما تكون في الواقع صحيحة، وتقبل الفرضية البديلة (النظرية) وهي في الواقع خاطئة، ويقوم الباحث في هذه الحالة بتأكيد وجود علاقة بين متغيرين تحت الدراسة بينما لا توجد في الواقع أي علاقة بين المتغيرين.

تموض العبارات المستعملة لتحديد المشكلة المطروحة، وعدم تحديد المفاهيم المستعملة، وعدم تحديد الإطار النظري لهذه المفاهيم إن وجد، وعدم تقديم تعاريف إجرائية (قابلة للقياس) للمفاهيم التي تتضمنها المشكلة

عدم انبثاق "مشكلة البحث" عن رغبة الباحث ومن حبه لمجال معين يريد البحث والتعمق فيه. ولكن قد تفرض عليه "مشكلة البحث" من جهة رسمية أو غير رسمية

أن مشكلات البحث العلمي التي تطرح من طرف بعض الباحثين في الجامعات الجزائرية لا تشكل إضافة نوعية إما لأنها تكرر لبحوث سابقة في نفس الموضوع، وإما لأنها مواضيع متشابهة تجرى في عدة جامعات في نفس الوقت

تموض المشكلة: وقد يكون هذا التموض بسبب اللغة المستعملة من طرف الباحث، أو بسبب عدم فهم المشكلة من طرف الباحث نفسه

فعلى سبيل المثال؛ إذا أردنا اختبار الفرضية الصفرية التالية:

H_0 (الفرضية الصفرية): لا يوجد أثر لطريقة تعليمية جديدة على زيادة التحصيل الدراسي لتلاميذ المرحلة الابتدائية.

مقابل الفرضية البديلة التالية:

H_1 (الفرضية البديلة): يوجد أثر لطريقة تعليمية جديدة على زيادة التحصيل الدراسي لتلاميذ المرحلة الابتدائية. فإننا نختبر هذه العلاقة عند مستوى دلالة ألفا = 0.05، وبعد القيام بالتحليل الإحصائي الملائم خلصنا إلى أنه يوجد أثر للطريقة التعليمية الجديدة على زيادة التحصيل الدراسي لتلاميذ المرحلة الابتدائية، بمعنى أننا رفضنا الفرضية الصفرية بينما هي في الواقع صحيحة، وقبلنا بالتالي الفرضية البديلة.

ولتوضيح أكثر؛ فإننا حكمنا بوجود أثر للطريقة التعليمية الجديدة على زيادة التحصيل الدراسي لتلاميذ المرحلة الابتدائية في حين أنه لا يوجد لها أي أثر.

ولتقادي الوقوع في هذا الخطأ، ينصح الخبراء برفع مستوى الدلالة حيث يصبح مستوى الدلالة الذي نختبر فيه الفرضية الصفرية 0.01 بدلاً من 0.05.

ب- الخطأ من النوع الثاني:

يعرف (شبيجل، 2004) الخطأ من النوع الثاني بأنه (إمكانية أن نقبل الفرضية الصفرية وهي في الواقع غير صحيحة؛ أي قبول فرض كان من الواجب رفضه)؛ بمعنى آخر، فإن الخطأ من النوع الثاني هو قبول الفرضية الصفرية وهي في الواقع غير صحيحة (أو خاطئة)، كأن نقرر بأنه يوجد فرق أو اختلاف بين المتغيرات المراد دراستها ولكن بالخطأ أو الصدفة تم إثبات عكس ذلك.

يرمز لاحتمال هذا الخطأ بالرمز بيتا β ويتعلق هذا الخطأ باحتمال قبول الباحث للفرضية الصفرية وهي في الواقع خاطئة، ويرفض الفرضية النظرية بينما هي في الواقع صحيحة. ويقع الباحث في الخطأ من النوع الثاني عندما يفشل في رفض الفرضية الصفرية بينما تكون الفرضية البديلة (النظرية) في الواقع هي الصحيحة.

فعلى سبيل المثال؛ إذا أردنا اختبار الفرضية الصفرية التالية:

H_0 (الفرضية الصفرية): لا يوجد أثر لحملات التوعية المرورية لدى سائقي الحافلات.

مقابل الفرضية البديلة التالية:

H_1 (الفرضية البديلة): يوجد أثر لحملات التوعية المرورية لدى سائقي الحافلات.

فإننا نختبر هذه العلاقة عند مستوى دلالة ألفا = 0.05. وبعد القيام بالتحليل الإحصائي الملائم خلصنا إلى أنه لا يوجد أثر لحملات التوعية المرورية لدى سائقي الحافلات؛ بمعنى أننا قبلنا الفرضية الصفرية بينما هي في الواقع غير صحيحة.

ولتوضيح أكثر؛ فإننا حكمنا بعدم وجود أثر لحملات التوعية المرورية لدى سائقي الحافلات في حين أنه يوجد لها أثر. إن مثل هذا الاستنتاج خطير جداً، خاصة إذا كانت الحياة البشرية هي موضوع المخاطرة.

من أهم عوامل الوقوع في هذا النوع من الخطأ الشائع هو عدم تمثيل العينة للمجتمع الأصلي كأن تكون صغيرة جداً أو أنها غير عشوائية، وغير ممثلة للمجتمع الأصلي. ولتقادي هذا النوع من الخطأ ينصح الخبراء برفع حجم العينة، وتقليل نسبة خطأ بيتا β حيث لا ينبغي أن تتجاوز 10%. وبمعنى آخر، فإن زيادة حجم العينة إلى مائة مثلاً بعد أن كانت 15 أو 30 أو حتى 45 فإن ذلك يؤدي إلى أن يكون احتمال صحة القرار أو قوة الاختبار هو 90% أو أكثر. وهذا يقود إلى النتيجة العامة، أنه ومع

عدم الربط بين صياغة المشكلة ومراجعة الدراسات السابقة بسبب نقص المراجع العلمية في مجال معين أو بسبب عدم معرفة الباحث للغة الإنجليزية التي تعتبر لغة البحث في علم النفس في هذا العصر

أخطاء الصياغة اللغوية مثل: تموض المفردات والمفاهيم المستعملة بالإضافة إلى الأخطاء نحوية وإملائية.

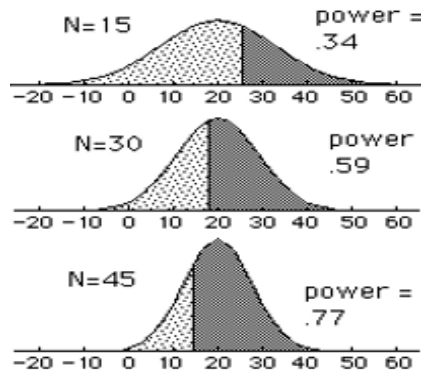
إيراد الفرضيات بشكل محدد تتداخل فيه عدة متغيرات وعوامل مما يصعب فحص الفرضية باختبارات إحصائية مناسبة أو قياس المتغيرات المذكور بأدوات قياس مناسبة

الخطأ في الصياغة بين الفرضيات التي تقوم على المنهج الوصفي الإحصائي والفرضيات التي تقوم على المنهج التجريبي أو منهج التحليل النفسي

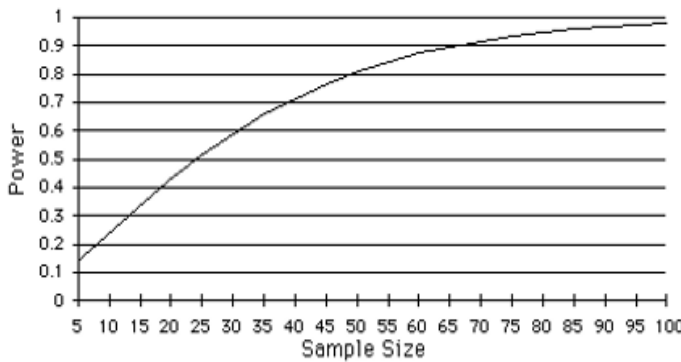
زيادة حجم العينة يقل خطأ بيتا β . إن تجاوز نسبة خطأ بيتا β لنسبة 10% يؤدي إلى نقصان القوة الإحصائية عن 90% مما يزيد من الشكوك حول صحة القرار.

يوضح الشكل رقم (1) التالي العلاقة بين القوة الإحصائية وحجم العينة؛ حيث يتضح من الشكل أن القوة الإحصائية تزداد بازداد حجم العينة وهذا يعني أن القوة في دراسة ما قد تكون منخفضة بسبب انخفاض عدد أفراد عينة الدراسة، كما يوضح الشكل رقم (2) أيضاً تلك العلاقة (Lane, 2000).

شكل رقم (1): أثر حجم العينة على القوة



شكل رقم (2): العلاقة بين القوة الإحصائية وحجم العينة



ويوضح الجدول التالي الحالات الممكنة للقرار الإحصائي مقرونة مع الحالات الواقعية للفرضية الصفرية.

الفرضية الصفرية في الواقع		القرار
غير صحيحة	صحيحة	
صحيحة	الخطأ من النوع الأول	رفض الفرضية الصفرية
الخطأ من النوع الثاني	صحيحة	قبول الفرضية الصفرية

(نقلا عن: شبيجل، 2004).

إن صدق النتائج التي نحصل عليها من العينة يتوقف على درجة تمثيلها للمجتمع الأصلي الذي سحبت منه، وحيث إننا نرتضي عينة لبحثنا فإننا مضطرون لقبول ما تأتي به العينة، لأننا لا نملك إلا أن نأخذ بصحة المعلومات والبيانات التي وفرتها لنا هذه العينة ونستخدم ذلك في الحكم على الفرضية

أيضاً أننا حين ندورس ظاهرة ما فإنه يكون لدينا تفسيران: الأول تفسير النظرية الحالية التي نرى أنها غير كافية أو ناقصة، والثاني تفسير من عندنا معتقدين أن هذا التفسير هو الأفضل مقارنة بالتفسير الأول.

عندما يقوم الباحث باختبار فرضية أو فرضيات باسْتِحْمال أحد المناهج العلمية المعروفة فإنه قد يصل إلى نتيجة مفادها أن الفرضية صحيحة أو أنها غير صحيحة

يعرفه (شبيجل، 2004) الخطأ من النوع الأول بأنه (إمكانية أن نرفض - بناءً على ما تحصلنا عليه من معلومات - الفرضية الصفرية وهي صحيحة، أي رفض فرضية كان من الواجب قبولها)

HO (الفرضية الصفرية): لا يوجد أثر لطريقة تعليمية جديدة على زيادة التحصيل الدراسي للتلاميذ المرحلة الابتدائية.

الخاصة بالمجتمع ككل. من ثم يتضح أن أي حكم أو قرار نتخذه بصدد الفرضية الصفرية يحتمل الصحة أو الخطأ، ونكون بذلك أمام أربعة بدائل (كما يوضحها الجدول أعلاه):

(1) أن تكون الفرضية الصفرية صحيحة وتأتي نتائج العينة لا تؤيدها، فإننا نرفضها ويكون القرار خاطئاً، والحكم غير صائب ويسمى خطأ من النوع الأول واحتماله هو ألفا α ، ويعني رفض الفرضية الصفرية بينما هي في واقع الأمر صحيحة.

(2) أن تكون الفرضية الصفرية خاطئة وتأتي نتائج العينة تؤيد خطأها فإننا نرفضها ويكون القرار صائباً أو الحكم سليماً.

(3) أن تكون الفرضية الصفرية صحيحة، وتأتي نتائج العينة تؤيد صحتها فإننا نقبلها ويكون القرار سليماً، أو الحكم صائباً.

(4) أن تكون الفرضية الصفرية خاطئة وتأتي نتائج العينة تثبت صحتها، فإننا نقبلها ويكون القرار خاطئاً أو الحكم غير صائب ويسمى خطأ من النوع الثاني واحتماله هو بيتا β ، ويعني قبول الفرضية الصفرية بينما هي في واقع الأمر خاطئة.

إن الاختبار الإحصائي المتمكن هو الذي يجعل كلاً من ألفا α وبيتا β أصغر ما يمكن، ولكن من الصعوبة بمكان تصغيرهما معاً في آنٍ واحد؛ ذلك أن تقليل إحداهما يقود بصورة مباشرة إلى زيادة في قيمة الأخرى، فكلما صغرت قيمة مستوى الدلالة ألفا α زاد خطأ النوع الثاني بيتا β وفي كلتا الحالتين فإن قراراً خاطئاً سيتخذ أو خطأ في الحكم سيقع. ومن أجل تجنب هذه الصعوبات لجأ الإحصائيون إلى تثبيت مستوى الدلالة عند ألفا α كأن تكون 0.10 أو 0.05 أو 0.01، والزيادة في حجم العينة (وقد يكون هذا ممكناً وقد لا يكون) للحصول على قوة مناسبة. هذه القوة تسمى قوة الاختبار (Power of Test) وقيمتها هي $(1-\beta)$ أو احتمال رفض الفرضية الصفرية H_0 وهي خطأ (أو غير صحيحة) مما يدل على صحة القرار وقوة الاختبار.

ومن الأخطاء التي يقع فيها بعض الباحثين أيضاً عند اختبار الفرضيات ما يلي:

❖ عدم اختيار أدوات القياس المناسبة لاختبار الفرضية أو عدم اختيار الاختبار الإحصائي المناسب للبيانات المستعملة (اسمية، ترتيبية، فئات منتظمة، نسبية) أو للعينات التي جمعت منها البيانات.

❖ الاختيار غير الصحيح للاختبارات الإحصائية:

ينبغي للباحث أن يختار نوع الإحصاء الذي يستعمله: هل هو الإحصاء المعلمي (أو البارامترية) أم الإحصاء غير المعلمي (أو غير البارامترية) ويحدد الاختبار الإحصائي المناسب لتحليل البيانات التي جمعها عن طريق المعاينة أو التجربة. ومن الأخطاء الشائعة في هذا المجال استخدام تحليل التباين أو اختبار (ت) مثلاً القائمين على الإحصاء المعلمي (البارامترية) بفرض أن العينة عشوائية وممثلة للمجتمع الأصلي، في حين أن الإحصاء المطلوب استخدامه هو الإحصاء غير المعلمي (غير البارامترية)، وأن الاختبار المطلوب تطبيقه في هذه الحالة هو مربع كاي لأن عينة البحث عينة قصدية ولا تمثل المجتمع الأصلي. وبالطبع، فإن نتيجة التحليل الإحصائي قد تؤدي إلى رفض الفرضية بينما الفرضية صحيحة أو العكس.

HI (الفرضية البديلة): يوجد أثر لطريقة تعليمية جديدة على زيادة التحصيل الدراسي لتلاميذ المرحلة الابتدائية.

إن صدق النتائج التي نحصل عليها من العينة يتوقف على درجة تمثيلها للمجتمع الأصلي الذي سحبته منه، وحيث إننا نترضي عينة لبحثنا فإننا مضطرون لقبول ما تأتي به العينة

أن تكون الفرضية الصفرية صحيحة وتأتي نتائج العينة لا تؤيدها، فإننا نرفضها ويكون القرار خاطئاً، والحكم غير صائب ويسمى خطأ من النوع الأول واحتماله هو ألفا α .

أن تكون الفرضية الصفرية خاطئة وتأتي نتائج العينة تؤيد خطأها فإننا نرفضها ويكون القرار صائباً أو الحكم سليماً

ومهما يكن، وكقاعدة عامة في البحث العلمي الرصين، فإنه لا ينبغي التشكيك في المعرفة القائمة والمتراكمة والتي خضعت للفحص العلمي (النظريات القائمة) نتيجة بحث واحد فقط؛ أي أن التشكيك في نظرية ما يأتي عقب عدة دراسات تشكك في النظرية العلمية القائمة مما يستدعي إعادة النظر فيها، والبدء في عملية بناء نظري جديد.

(ثالثاً): الأخطاء عند عرض النتائج ومناقشتها:

من الأخطاء التي يقع فيها بعض الباحثين عند عرض النتائج ما يلي:

- عدم ربط النتائج المحصل عليها بمشكلة الدراسة وفرضياتها.
 - عدم ربط النتائج بالفرضيات والنظرية التي تكون الفرضيات قد اشتقت أو أخذت منها.
- ومن المفترض منطقياً وعلمياً - أننا إذا انطلقنا من نظريات علمية واشتققنا منها فرضيات بطريقة صحيحة-
- أن نؤكد هذه الفرضيات بالبحث الإمبريقي وبالتالي ندعم النظريات العلمية القائمة. ولكن هذا لا يعني عدم التشكيك فيها مطلقاً.

■ عدم ربط الفرضيات بمناقشة النتائج:

يلجأ بعض الباحثين لمناقشة النتائج دون ربط ذلك بوضوح مع مشكلة البحث ومع الفرضيات التي اعتمد عليها، بينما تؤكد الجمعية الأمريكية لعلم النفس (2011) على ضرورة بدء مناقشة نتائج البحث بعبارة واضحة عن دعم أو عدم دعم الفرضيات التي انطلق منها الباحث الأساسية منها والفرعية، وضرورة التأكد من فهم القارئ لمشكلة البحث على ضوء هذه المناقشة.

وينبغي للباحث أيضاً أن يذكر ماهي المشكلات التي لم يستطع بحثه إيجاد الحلول لها أو ماهي الأسئلة التي لم يستطع الإجابة عنها، وماهي الفرضيات التي قد تتولد من البحث والتي تحتاج إلى بحوث أخرى لفحصها. وإلى أي مدى ترتبط نتائجه بنتائج الدراسات السابقة أو عدم ارتباطها، وما هو تبرير عدم الإتفاق مع الدراسات السابقة، وهل توافرت في بحثه الخصائص السيكومترية لأدوات البحث المستعملة (مقياس، اختبارات...)، وشروط المعاينة، وغير ذلك من شروط البحث العلمي.

خاتمة:

ينبغي للباحثين مهما كان مستواهم العلمي وخاصة المبتدئين منهم الإهتمام بأخطاء صياغة مشكلات البحث وفرضياته وغيرها من الأخطاء والعمل على تقاديرها بهدف تطوير البحوث العلمية وترقية جودتها؛ ذلك لأن صياغة مشكلة البحث بطريقة صحيحة، وكذلك صياغة فرضية البحث صياغة محددة ودقيقة هو الذي يحدد خطوات البحث التالية، من مراجعة للدراسات السابقة المناسبة لمشكلة البحث، ونوعية أدوات جمع البيانات وتودقة الاختبارات الاحصائية المستعملة، والتصميم التجريبي الذي ينبغي استعماله إن كانت هناك حاجة إليه، واستخلاص النتائج ومناقشتها.

لقد تم استعراض أهم "الأخطاء الشائعة" في صياغة مشكلات البحوث وفرضياته والتي أوردها عدة باحثين وخبراء في مناهج البحث العلمي، والتي لاحظنا معظمها في البحوث المقدمة لنيل الماجستير والدكتوراه في الجامعات الجزائرية بصفة خاصة.

أن تكون الفرضية الصفريّة صحيحة، وتأتي نتائج العينة تؤيد صحتها فإننا نقبلها ويكون القرار سليماً، أو العكس طائلاً.

أن تكون الفرضية الصفريّة خاطئة وتأتي نتائج العينة تثبت صحتها، فإننا نقبلها ويكون القرار خاطئاً أو العكس غير صحيح ويسمى خطأ من النوع الثاني واحتماله هو بيتا β

ينبغي للباحث أن يختار نوع الإحصاء الذي يستعمله: هل هو الإحصاء المعلمي (أو البارامتري) أم الإحصاء غير المعلمي (أو غير البارامتري)

لا ينبغي التشكيك في المعرفة القائمة والمتراكمة والتي خضعت للفحص العلمي (النظريات القائمة) نتيجة بحث واحد فقط

أن التشكيك في نظرية ما يأتي عقب عدة دراسات تشكك في النظرية العلمية القائمة مما يستدعي إعادة النظر فيها، والبدء في عملية بناء نظري جديد.

ولاشك أن تطوير منهجية البحث العلمي سيؤدي إلى كفاءة وفعالية البحوث العلمية في الجامعات وغيرها من مراكز البحوث مما سيسهم بفعالية في حل المشكلات التي ترتبط بالتنمية وتطوير المجتمعات والأوطان، وتحقيق الأهداف المرسومة للبحث العلمي في إطار رؤية واستراتيجية واضحة للتنمية.

المراجع والمصادر

- 1- أسعد، وجيه (2011). تاريخ العلوم ومنهجيتها: برامج البحث والبناء العقلاني الجديد.
- 2- أونجل، أركان (1983). أساليب البحث العلمي. ترجمة حسن ياسين، محمد نجيب. معهد الإدارة العامة، الرياض.
- 3- المنيزل، عبد الله فلاح (2000). الإحصاء الاستدلالي وتطبيقاته في الحاسوب باستخدام الرزم الإحصائية SPSS، دار وائل للنشر، عمان - الأردن.
- 4- شبيجل، موراى ر. (2004): الإحصاء، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة - مصر.
- 5- لاكتوس، إيبر (2011). تاريخ العلوم ومنهجيتها: برامج البحث والبناء العقلاني الجديد. ترجمة أسعد، وجيه. الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق.
- 6- American Psychological Association (APA) (2011). Publication Manual, 6th Ed., Washington, DC.
- 7- Banjee, Chtnis, Jahav, Bhamalker, Shaudhury (2009). Hypothesis Testing, type I and type II errors. Industrial Psychiatry Journal. July-Dec: 18 (2): 127-131.
- 8- Kumar, R. (1996). Research Methodology. Addison Wesley Longman Australia Pty Limited.
- 9- Lane, David M. (2000). HyperStat Online.
- 10- Lin, N. (1976). Foundations of Social Research. McGraw-Hill Book Company. New York.
- 11- Popper, K. R. (1959A). The Logic of Scientific Discovery. Hutchinson, London.

ينبغي للباحثين مهما كان مستواهم العلمي وخاصة المبتدئين منهم الإهتمام بأخطاء صياغة مشكلات البحث وفرضياته وغيرها من الأخطاء والعمل على تفاديها بهدف تطوير البحوث العلمية وترقية جودتها

تم استعراض أهم "الأخطاء الشائعة" في صياغة مشكلات البحوث وفرضياته والتي أوردتها عدة باحثين وخبراء في مناهج البحث العلمي، والتي لاحظنا معظمها في البحوث المقدمة لنيل الماجستير والدكتوراه في الجامعات الجزائرية بصفة خاصة

أن تطوير منهجية البحث العلمي سيؤدي إلى كفاءة وفعالية البحوث العلمية في الجامعات وغيرها من مراكز البحوث مما سيسهم بفعالية في حل المشكلات التي ترتبط بالتنمية وتطوير المجتمعات والأوطان، وتحقيق الأهداف المرسومة للبحث العلمي في إطار رؤية واستراتيجية واضحة للتنمية

كتاب "حصاد النشاط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2021

ملحق الكتاب السنوي لـ "منجزات مؤسسة العلوم النفسية العربية" للعام 2021

إشراف: د. جمال التركي - الطب النفسي (تونس)

تحميل الكتاب (تنزيل حر)

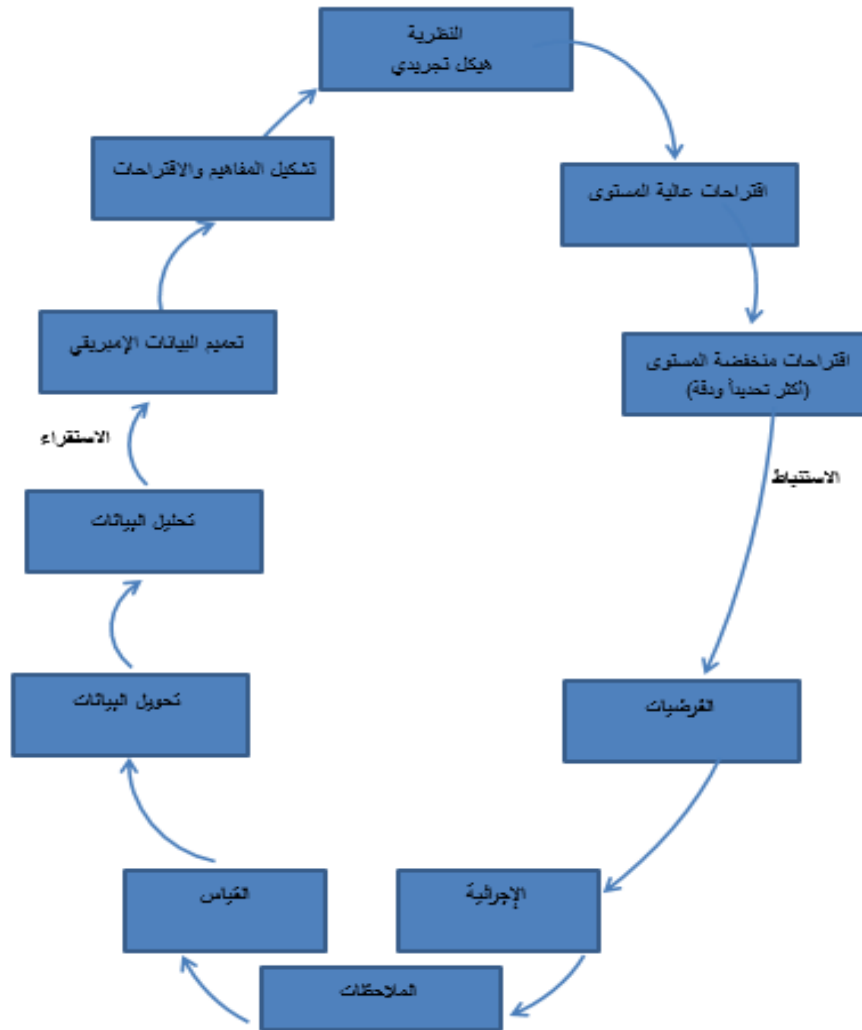
تحميل من الموقع العلمي

www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet-AIHassad2021.pdf

تحميل من المتجر الإلكتروني

http://arabpsyfound.com/index.php?id_product=500&controller=product&id_lang=3

الملحق رقم 1: الاستنباط والاستقراء في عملية فحص النظرية
منقول عن (Lin, 1976)



سلسلة الكتاب العربي " نفساني "

إصدارات مكتبة محكمة في علوم وطب النفس

دليل سلسلة إصدارات " نفساني " على الشبكة

<http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBooks.htm>

الكتاب العربي " نفساني " على المتجر الإلكتروني

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=16&controller=category&id_lang=3

الكتاب العربي " نفساني " على الفايس بوك

<https://www.facebook.com/The-Arab-eBook-of-Psychological-Sciences-217222165315189/>

الكتاب العربي " نفساني " على التويتر

<https://twitter.com/arabpsyfound>

اللوحة الاعلانية للكتاب العربي " نفساني "

<http://www.arabpsynet.com/AFP-PubBr/APF.NafssanyPubBr.pdf>

تأثير ضغوط الحرب في مذاكرة الطلاب الجامعيين¹



د. مصطفى مشوي - الجزائر

أستاذ الإدارة بكلية الإدارة الصناعية - جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران 31261

mustafait@hotmail.com

ملخص الدراسة

تناولت هذه الدراسة موضوع الضغوط التي تعرض لها طلاب جامعيون أثناء فترة الحرب على العراق وما صاحب هذه الضغوط من ردود فعل انفعالية وأعراض نفسية-جسمية وأنماط توافق بعضها إيجابي وآخر سلبي وتأثير ذلك كله في مذاكرة الطلاب.

ومن أهم أهداف هذه الدراسة معرفة هذه الردود وضرورة الاستعداد على ضوء هذه المعرفة لتقديم الدعم النفسي والمساعدة الضرورية من خلال مراكز التوجيه والإرشاد النفسي بالجامعات لتحقيق التوافق مع الضغوط وتخفيف آثارها السلبية على الصحة الجسمية والنفسية والتحصيل الدراسي والعملي أثناء وبعد معاناة هذه الضغوط.

لقد تم بالفعل من خلال دراسة مسحية تسجيل آراء الطلاب وتحليلها تحليلًا إحصائيًا، وتبين أن أغلب أفراد العينة قد عانوا فعلاً من ضغوط شديدة جراء ما صاحب الحرب من انفعالات سلبية مثل الخوف والغضب والحزن. وقد ارتبطت بهذه الانفعالات السلبية بعض الاضطرابات النفسية الجسمية مثل الأرق واضطرابات الهضم، وبعض الاضطرابات المتعلقة بالتعامل مع الآخرين مثل التوتر وتغير المزاج، كما رافق ذلك اللجوء إلى أنماط توافق مع الضغوط بعضها إيجابي مثل اللجوء للصلاة والدعاء وبعضها سلبي مثل اللجوء للمهدئات والتدخين، وقد ارتبطت كل هذه الضغوط وما صاحبها من ردود إلى ضعف تركيز الطلاب أثناء المذاكرة وانخفاض الوقت المخصص للمذاكرة مما قد يؤدي إلى تأثير تحصيل الطلاب الدراسي بصورة سلبية.

وقد خلصت الدراسة إلى أهمية الاهتمام بالطلاب أثناء تعرضهم للضغوط النفسية بسبب الكوارث الطبيعية والأزمات الشديدة، وإلى ضرورة قيام مراكز التوجيه والإرشاد بالجامعات بتقديم الدعم النفسي المطلوب للتخفيف من الآثار السلبية المصاحبة والتالية للضغوط النفسية الشديدة.

مقدمة :

لوحظ أثناء الحرب الدائرة في العراق أن أغلب الطلاب قد علا وجوههم القلق وساد سلوكهم اضطراب ملحوظ مما حدا ببعضهم إلى أن يطلبوا من أساتذتهم تأخير مواعيد الامتحانات المحددة سلفاً. ولوحظ أيضاً تأخر وصول بعض الطلاب إلى الحصص الدراسية التي تبدأ في الساعات المبكرة، كما لوحظ اهتمام الطلاب الكبير بمتابعة أخبار الحرب التي اشتد أوارها.

وقد كانت مختلف وسائل الإعلام وخاصة الفضائيات العربية تبث مباشرة من ميادين القتال مناظر مرعبة للقتلى والجرحى وخاصة في صفوف الأطفال والنساء جراء قنبلة بغداد والبصرة وغيرها بالطائرات والصواريخ الموجهة وما ترتب عن ذلك من تدمير شديد.

دفعت هذه الملاحظات الباحث أن يهتم بهذا الموضوع ودراسته دراسة ميدانية تعتمد على جمع البيانات من خلال توزيع استبانة على عدة صفوف دراسية بالجامعة علماً بأن طلاب هذه الجامعة قادمون من مختلف أطراف المملكة العربية السعودية. وقد جرى جمع الاستبانات كلها والحرب ما تزال دائرة إلا أن الانتهاء من جمع كل البيانات كان قبل يوم واحد من دخول القوات الأمريكية إلى بغداد.

أهداف الدراسة:

الهدف الأساسي من هذه الدراسة هو معرفة مدى تأثر الطلاب الجامعيين بهذه الحرب من الناحية الانفعالية وتأثير ذلك في الناحية السيكوماتية (الإضطرابات النفسية - الجسدية) وتأثيرها في الناحية المعرفية (المذاكرة)، كما هدفت الدراسة إلى محاولة معرفة أنماط التوافق التي لجأ إليها الطلاب للتغلب على ضغوط الحرب أو ما يسمى باضطراب الضغوط المصاحبة أو التالية للصددمات.

الدراسات السابقة:

من الدراسات الأولى التي عرفت الضغط النفسي (stress) دراسة سليبي (Selye, 1976) التي عرفته بأنه رد فعل فسيولوجي لأحداث خارجية مهددة. والمقصود برد الفعل الفسيولوجي أي عرض جسمي كالتقيؤ وفقدان الشهية والإسهال والأرق وغير ذلك من الأعراض الجسمية التي تعقب التعرض لتغير كبير في الحياة الشخصية بشكل سلبي كالطلاق والتجوير والنفي والسجن، وقد تكون الضغوط أقوى من ذلك كالتعرض لحادث مروع سواء كان طبيعياً كالكوارث الطبيعية أم ناجماً عن فعل إنساني كالحروب والعنف السياسي.

وعرف لازاروس وفولكمان (Lazarus & Folkman, 1984) العامل الضاغط (stressor) بأنه أي منبه خارجي يقومه شخص ما بأنه فوق طاقته ويتعدى قدراته وموارده ويضر بوجوده.

وقد خلص مثلاً ثابت وموسى وبوستانيس (Thabet; Mousa; Vostanis, 2002) في دراسة لهم عن الاضطرابات الإنفعالية عند الأطفال الفلسطينيين الذين يعيشون في منطقة الحرب أن استجابات الأطفال لمختلف حالات العنف السياسي كانت حادة وقاسية وأن هذه الاستجابات لم تظهر فقط عند الأطفال الذين تعرضوا لأحداث صادمة ولكنها ظهرت حتى عند الأطفال الذين لم يتعرضوا بصفة مباشرة للأحداث الصادمة.

وقد أوردت الباحثة ريان-فانجر (Ryan-Wenger, 2002) (2002) مراجعة للدراسات السابقة التي تناولت تأثير خطر الحرب على الأطفال وأوضحت أن التعرض الشديد للحرب يحطم القدرة الدفاعية عند الأطفال بينما يؤدي التعرض المتوسط إلى ظهور استراتيجيات ذاتية للحماية وللتوافق.

لوحظ أثناء الحرب الدائرة في العراق أن أغلب الطلاب قد علا وجوههم القلق وساد سلوكهم اضطراب ملحوظ مما حدا ببعضهم إلى أن يطلبوا من أساتذتهم تأخير مواعيد الامتحانات المحددة سلفاً. ولوحظ أيضاً تأخر وصول بعض الطلاب إلى الحصص الدراسية التي تبدأ في الساعات المبكرة

كانت مختلف وسائل الإعلام وخاصة الفضائيات العربية تبث مباشرة من ميادين القتال مناظر مرعبة للقتلى والجرحى وخاصة في صفوف الأطفال والنساء

الهدف الأساسي من هذه الدراسة هو معرفة مدى تأثر الطلاب الجامعيين بهذه الحرب من الناحية الانفعالية وتأثير ذلك في الناحية السيكوماتية (الإضطرابات النفسية - الجسدية) وتأثيرها في الناحية المعرفية (المذاكرة).

من الدراسات الأولى التي عرفت الضغط النفسي (stress) دراسة سليبي (Selye, 1976) التي عرفته بأنه رد فعل فسيولوجي لأحداث خارجية مهددة. والمقصود برد الفعل الفسيولوجي أي عرض جسمي كالتقيؤ وفقدان الشهية والإسهال والأرق وغير ذلك

أما محمد مرسي (2004) فقد أكد أن "أطفال الوطن العربي يتعرضون مثلما يتعرض كثير من أطفال العالم لتأثيرات النزاعات المسلحة بصورة مباشرة ويتعرضون أيضا لمشاهد الكثير من النزاعات عبر الفضائيات" (ص 307). وأكد أيضا أن من بين تأثير المشاهد التي تبثها الفضائيات نشر المخاوف في نفوس الأطفال.

وفي الواقع، فإن التأثيرات السلبية لمشاهد الحروب والكوارث التي تبثها الفضائيات لا تنحصر في الأطفال الذين يتابعون هذه الفضائيات بل تتعداهم إلى الشباب والكبار ولكن بدرجات متفاوتة قد تتراوح بين الإنزعاجات البسيطة إلى الإصابة بالضغط النفسي وما يصاحبها من اضطرابات نفسية وجسمية قد يصل بعضها إلى حد الإصابة بالصدمة. وقد أشار إلى هذا المعنى محمد النابلسي (2004) حيث أكد أن العوامل الصدمية التي يعيشها الشعب العراقي مثلا تمتد إلى الجمهور العربي، والمسلم عامة بسبب مشاعر الذنب أمام المعاناة العراقية كما بدافع التعاطف.

ومعروف أن الضغط النفسي قد يكون شديدا إذا أصيب إنسان ما بصدمة جراءه مما يؤدي إلى اضطرابات نفسية أخرى شديدة تقعد الفرد توازنه وتوافقه. ولذا فعابا ما يتحدث علماء النفس عن الاضطرابات التي تصاحب أو تعقب التعرض للصدمة والأزمات الشديدة ويسمون ذلك "اضطراب الضغوط التالية للصدمة" (Posttraumatic Stress Disorder-PTSD). فقد أشار الشرييني (2003) مثلا أن هذه الاضطرابات تصيب 25% من الذين يتعرضون للمواقف الصعبة والأزمات، كما أشار إلى ازدياد هذه النسبة في حالة الكوارث التي يصنعها الإنسان مثل الحروب ومشاهد القتلى والدمار. ومن الملاحظ أن هذه الاضطرابات غالبا ما تصيب الصغار والكبار والذكور والإناث الذين يتعرضون سواء للكوارث الطبيعية مثل الزلازل والفيضانات والحرائق أم للأزمات والحوادث التي يرتكبها الإنسان مثل الحروب وحوادث السيارات الخطيرة والاعتصاب والعنف والإيذاء الجسدي الشديد. وحسب الجمعية الأمريكية للطب العقلي، فإن 10% من السكان بالولايات المتحدة قد شخص لديهم هذا الاضطراب. أما الذين يظهرون بعض أعراض هذا الاضطراب فقط فأكثر من هذه النسبة. وتؤكد هذه الجمعية أن إصابة الإناث بهذا الاضطراب أعلى من إصابة الذكور. وتصنف الجمعية أعراض هذا الاضطراب إلى ثلاثة أنواع: اجترار الحادثة (الكارثة)، تجنب الآخرين والانعزال، التوتر والتهيج.

وتشير هذه الجمعية إلى أن أعراض هذا الاضطراب قد تزول بمرور الوقت في بعض الحالات إلا بعضها قد يدوم لعدة سنوات.

أما فيما يتعلق بعلاج الأشخاص المصابين بالصدمة والاضطرابات المصاحبة لها؛ فتشير الجمعية إلى أن بعضهم لا يحتاج إلى أي علاج وإنما يكفيهم للشفاء مساعدة العائلة والأصدقاء ورجال الدين. فقد أشار غيار وباتون (Gillard & Paton, 1999) مثلا بعد مراجعتها لعدة دراسات ميدانية، أن للدين دورا كبيرا في عملية التوافق مع الصدمات التي تلي الكوارث الطبيعية مثل الزلازل والفيضانات والأعاصير وفي عملية استعادة التوازن النفسي. وقد لاحظ ذلك عند سكان جزيرة فيجي - التي غالبا ما تتعرض للأعاصير - بغض النظر عن الدين الذي ينتمون إليهم (الإسلام، المسيحية والهندوسية). ولكن معظم ضحايا الصدمات النفسية يحتاجون إلى علاج متخصص للتخلص من الأذى النفسي الذي يعقب مشاهدة الكوارث والحوادث الخطيرة أو المشاركة فيها. ومن الأساليب المتبعة في علاج هذا الأذى النفسي: ممارسة العلاج السلوكي - المعرفي، العلاج العائلي والعلاج الجماعي.

إن التأثيرات السلبية لمشاهد الحروب والكوارث التي تبثها الفضائيات لا تنحصر في الأطفال الذين يتابعون هذه الفضائيات بل تتعداهم إلى الشباب والكبار ولكن بدرجات متفاوتة قد تتراوح بين الإنزعاجات البسيطة إلى الإصابة بالضغط النفسي وما يصاحبها من اضطرابات نفسية وجسمية قد يصل بعضها إلى حد الإصابة بالصدمة

غالبا ما يتحدث علماء النفس عن الاضطرابات التي تصاحب أو تعقب التعرض للصدمة والأزمات الشديدة ويسمون ذلك "اضطراب الضغوط التالية للصدمة"

معظم ضحايا الصدمات النفسية يحتاجون إلى علاج متخصص للتخلص من الأذى النفسي الذي يعقب مشاهدة الكوارث والحوادث الخطيرة أو المشاركة فيها. ومن الأساليب المتبعة في علاج هذا الأذى النفسي: ممارسة العلاج السلوكي - المعرفي، العلاج العائلي والعلاج الجماعي

ويقوم العلاج النفسي أساساً على تعليم الأشخاص استراتيجيات التوافق مع الضغوط؛ وهي عملية إدراكية (واعية) يقوم فيها الفرد باستجابات انفعالية وسلوكية هدفها خفض تأثير الضغوط (لازاروس، 1991).

وتؤكد دراسة حديثة قام بها فريق من الباحثين الأمريكيين ميتز وغراي وبرينت (Litz, Gray,) (Bryant, 2003) إلى أهمية التدخل المبكر بالعلاج النفسي للصدمة النفسية، وانتهاوا إلى التأكيد على أهمية الجمع بين تثقيف المصاب بالصدمة حول ردود الفعل الناجمة عن الصدمات النفسية وتعليمهم مهارات التحكم في أعراض الضغوط والحصص (anxiety).

ورغم كثرة الدراسات التي تعرضت لتأثير الحرب في الأطفال من مختلف النواحي وخاصة في الناحية الوجدانية والسلوكية إلا أن البحوث التي أجريت على تأثير الحرب في الشباب وخاصة طلاب الجامعات بالبلدان العربية تكاد تكون منعدمة. ومن هذا الباب جاء الإهتمام بهذا الموضوع لأهميته في عمليات الإرشاد النفسي للطلاب أثناء الأزمات كالحروب والكوارث الطبيعية.

التعريف الإجرائي للضغط النفسي (Stress) :

المقصود بالضغط النفسي في هذه الدراسة كتعريف إجرائي هو ردود الأفعال السلبية وخاصة الإنفعالات السلبية كالغضب والحزن والخوف، وبعض الاضطرابات النفسية والجسمية (السيكوماتية) كالصداع والأرق وفقدان الشهية، وضعف التركيز وضعف الذاكرة التي لوحظت عند طلاب الجامعة أثناء اشتداد أوار الحرب بالعراق كإحدى العواقب السلبية للضغط النفسي الشديد الذي تعرض له الطلاب.

الإجراءات المنهجية للدراسة:

1- نوع الدراسة:

تعتبر هذه الدراسة من نوع البحوث الإستطلاعية الهادفة إلى استقصاء ردود فعل الطلبة على أحداث الحرب بالعراق. وقد اعتمدنا على استعمال استبانة في شكل مسح:

- 1- لأهم الانفعالات السلبية التي شعر بها الطلاب بسبب الحرب.
- 2- لأهم الاضطرابات النفسية الجسمية التي عانوها.
- 3- لأهم أساليب التوافق التي اعتمد عليها الطلاب بهدف تخفيف قلقهم جراء الحرب.
- 4- لتأثير الحرب ومتابعة أحداثها على مذاكرة الطلاب وتركيزهم أثناء المذاكرة.

2- مجتمع البحث:

شكل مجموع طلاب جامعة الملك فهد للبترول والمعادن مجتمع هذا البحث. وقد حاولنا أن نمثل المجتمع الأصلي بسنواته الخمس المتبعة بالجامعة وهي السنوات: التحضيرية، الأولى، الثانية والثالثة والرابعة. ويبلغ مجموع الطلاب بالجامعة حوالي عشرة آلاف طالب.

3- عينة الدراسة:

بلغ مجموع أفراد العينة المشاركين في هذا البحث 333 طالباً حسب التوزيع التالي:

السنة	السنة	السنة	السنة	السنة	المجموع
التحضرية	الأولى	الثانية	الثالثة	الرابعة	
56	71	7	68	94	333

وقد تم توزيع الإستبانات حسب معاينة الصدفة في مختلف المستويات الدراسية كما يشير إلى ذلك الجدول أعلاه حيث تم توزيع الإستبانات في بعض الفصول الدراسية قبل بدء الدروس وجمعها مباشرة بعد

التأكيد على أهمية الجمع بين تثقيف المصاب بالصدمة حول ردود الفعل الناجمة عن الصدمات النفسية وتعليمهم مهارات التحكم في أعراض الضغوط والحصص

أن البحوث التي أجريت على تأثير الحرب في الشباب وخاصة طلاب الجامعات بالبلدان العربية تكاد تكون منعدمة. ومن هذا الباب جاء الإهتمام بهذا الموضوع لأهميته في عمليات الإرشاد النفسي للطلاب أثناء الأزمات كالحروب والكوارث الطبيعية

المقصود بالضغط النفسي في هذه الدراسة كتعريف إجرائي هو ردود الأفعال السلبية وخاصة الإنفعالات السلبية كالغضب والحزن والخوف، وبعض الاضطرابات النفسية والجسمية (السيكوماتية) كالصداع والأرق وفقدان الشهية، وضعف التركيز وضعف الذاكرة

هذه الدراسة من نوع البحوث الإستطلاعية الهادفة إلى استقصاء ردود فعل الطلبة على أحداث الحرب بالعراق

ملئها. وقد استمر جمع البيانات من الأسبوع الأول لبدء الحرب إلى يوم واحد قبل نهايتها. وينبغي التنويه أن هذه العينة ليست عينة ممثلة للمجتمع الأصلي تمثيلاً حقيقياً إذ لم يتم اختيارها وفق المعاينة العشوائية.

4- أداة الدراسة: بناءً على مراجعة بعض الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع الضغوط والصدمات النفسية وما يصاحبها من اضطرابات تمت صياغة استبانة تتكون من 26 فقرة ذات علاقة بالجانب الإنفعالي (الوجداني) وبالجانب السلوكي عند الطلاب الجامعيين. وقد ضمنت الإستبانة فقرة ديمغرافية واحدة تتعلق بالمستوى التعليمي للطلاب مع العلم أن بالجامعة خمسة مستويات كما هو مشار إليه أعلاه. عرضت الاستبانة على ثلاثة محكمين في كلية الإدارة الصناعية بالجامعة، واقتُرحت بعض التعديلات في الصياغة وتم اعتماد ستة وعشرين فقرة لقياسها بإستعمال مقياس ليكرت كما هو موضح بالملحق رقم (1).

وعلى كل، وبالرغم من أنه لم يكن من أهداف هذه الدراسة مدى ثبات وصدق الأداة المستعملة إلا أن الصدق الظاهري باد في الاستبانة كما أن الإرتباطات بين معظم فقرات الإستبيان كانت ذات دلالة إحصائية مما يشير إلى الإتساق الداخلي لفقرات الاستبانة.

وقد أخضعت فقرات الاستبانة لدراسة ثباتها بتطبيق معامل كرونباخ كما تم تحليل العوامل المشكلة للضغوط النفسية وتأثيرها في مذاكرة الطلاب بواسطة التحليل العاملي كما سيبين ذلك عند تحليل النتائج.

يشار إلى أن أهم المتغيرات التي تضمنتها الاستبانة هي: 1. الإنفعالات السلبية جراء الحرب. 2. الإضطرابات النفسجسمية. 3. أساليب التوافق مع أحداث الحرب. 4- تأثر المذاكرة بالضغوط المصاحبة للحرب أو المرتبطة بها.

5- أسئلة البحث:

- 1- ماهي أهم الإنفعالات السلبية لدى الطلاب بسبب الحرب وما مدى قوتها؟
- 2- ماهي أهم الإضطرابات النفسجسمية التي عاناها الطلاب وما مدى قوتها؟
- 3- هل هناك زيادة في قراءة الصحف وإستعمال الإنترنت لمتابعة أخبار الحرب؟
- 4- هل تأثرت علاقات الطلاب مع الآخرين بسبب الحرب؟
- 5- ما هي أنماط السلوك التي لجأ إليها الطلاب للتوافق مع ضغوط الحرب؟
- 6- هل تأثر تركيز الطلاب أثناء المذاكرة بسبب الحرب؟ وما علاقة ذلك بالإنفعالات السلبية؟
- 7- هل هناك فروق بين استجابات الطلاب تبعا لاختلاف مستوياتهم الدراسية؟

- نتائج الدراسة:

بعد إدخال البيانات في الحاسوب بإستعمال برنامج إحصائي (SPSS) تم حساب التكرارات لاستخراج نسب الإجابات لكل فقرة من فقرات الاستبيان حسب مقياس خماسي الأبعاد (من صفر إلى أربعة) (حيث يمثل رقم صفر عدم التأثر بالحرب الدائرة ويمثل الرقم 4 التأثر بقوة شديدة بالحرب)، كما تم حساب معاملات الإرتباط بين مختلف فقرات الإستبيان بهدف معرفة الإتساق الداخلي للفقرات، واستخرج معامل كرونباخ لثبات الفقرات ودرست العلاقة بين إجابات الطلاب عن مختلف الفقرات و"عدم التركيز أثناء المذاكرة" بإستعمال التحليل العاملي وتم أخيراً حساب الفروق بين إجابات الطلاب بحسب اختلاف مستوياتهم الدراسية بإستعمال تحليل التباين.

شكل مجموع طلاب جامعة الملك فهد للبترول والمعادن مجتمع هذا البحث. وقد حاولنا أن نمثل المجتمع الأصلي بسنواته الخمس المتبعة بالجامعة

استمر جمع البيانات من الأسبوع الأول لبدء الحرب إلى يوم واحد قبل نهايتها. وينبغي التنويه أن هذه العينة ليست عينة ممثلة للمجتمع الأصلي تمثيلاً حقيقياً إذ لم يتم اختيارها وفق المعاينة العشوائية

ضمنت الإستبانة فقرة ديمغرافية واحدة تتعلق بالمستوى التعليمي للطلاب مع العلم أن بالجامعة خمسة مستويات

عرضت الاستبانة على ثلاثة محكمين في كلية الإدارة الصناعية بالجامعة، واقتُرحت بعض التعديلات في الصياغة وتم اعتماد ستة وعشرين فقرة لقياسها بإستعمال مقياس ليكرت

وفيما يأتي النتائج المحصل عليها انطلاقاً من الأسئلة المطروحة سابقاً.

1- ما هي الانفعالات السلبية لدى الطلاب بسبب الحرب وما مدى قوتها ؟

ركزت الدراسة على محاولة معرفة أهم الإنفعالات السلبية لدى الطلاب بسبب الحرب الدائرة في العراق، وما مدى انتشار هذه الإنفعالات وقوتها. وتبين من تحليل النتائج أن أغلبية الطلاب قد شعروا بانفعالات سلبية قوية كما سيأتي شرح ذلك أدناه.

أ - الإنفعالات السلبية جراء الحرب :

1. الخوف من انعكاسات الحرب السلبية : أجاب 37.2% من الطلاب أن شعورهم بالخوف كان قويا جدا بينما أجاب 35.3% بأنهم شعروا بخوف قوي. وبالتالي فإن مجموع الذين شعروا بخوف سواء كان قويا أم قويا جدا هو 72.5% بينما لم تتعد نسبة الذين أجابوا بأنه لا تأثير للخوف من الإنعكاسات السلبية للحرب عليهم 5%.

2. الحزن بسبب عواقب الحرب وضحاياها : أجاب 67.7% من الطلاب أنهم شعروا بحزن قوي جدا بسبب عواقب الحرب وضحاياها بينما شعرت نسبة 23.8% بحزن قوي . وجمع هاتين النسبتين يتبين أن 91.5% من مجموع أفراد العينة شعروا بالحزن بسبب عواقب الحرب وضحاياها ، ولم تبلغ نسبة الذين قالوا بأن لا تأثير للحرب على (حزنهم) إلا 3.9% ويلاحظ هنا أن الإستجابة بانفعال الحزن أعلى من الإستجابة بانفعال الخوف .

3. الغضب بسبب الحرب : شغل الشعور بالغضب بسبب الحرب تماما مثل الشعور بالحزن على الإستجابات القوية حيث قالت نسبة 67.7% من الطلاب المشاركين في البحث أنها شعرت بغضب قوي جدا بسبب الحرب وأجابت نسبة 23.8% بأنها شعرت بغضب قوي ليلعب بذلك مجموع من قالوا بأنهم شعروا بغضب قوي جدا وبغضب قوي 91.5%.

4. تغير المزاج بسرعة : أجابت نسبة 26.9% بأنها عانت تغير المزاج بسرعة بسبب الحرب بينما عانت نسبة 15.6% من تغير سريع في المزاج بدرجة قوية جدا وبالتالي فإن مجموع الذين عانوا من تغير المزاج بسرعة بسبب الحرب هي 42.5% أما الذين لم يتغير مزاجهم بسرعة فنسبتهم 18.2%.

5. الشعور بالذنب : لقد شعرت نسبة 29.2% من الطلاب بالذنب بقوة بينما شعرت نسبة 26.2% منهم بالذنب بقوة شديدة ليلعب بذلك مجموع الذين شعروا بالذنب بقوة أو بقوة شديدة 55.8%، بينما نسبة الذين لم يشعروا بالذنب هي 14.6%.

6. الشعور بالخجل : أجابت نسبة 25.8% من الطلاب أنهم شعروا بخجل قوي جدا بينما شعرت نسبة 27.2% بخجل قوي ليلعب مجموع النسبتين 53%. أما الذين لم يشعروا بالخجل فنسبتهم هي 17.1%.

7. التوتر والعصبية (النرفزة): شعرت نسبة 19.6% بالتوتر والعصبية بقوة شديدة بينما شعرت نسبة 24.9% بالتوتر والعصبية بقوة ليلعب مجموع النسبتين 44.5%. أما الذين شعروا بالتوتر والعصبية بدرجة ضعيفة فهي 26% في حين أن نسبة الذين لم يشعروا بالتوتر والعصبية جراء الحرب هي 17.6%.

8. الشعور بالكراهية : بلغت نسبة الذين شعروا بالكراهية بقوة شديدة تجاه الحرب ومسبباتها وعواقبها 54.4% بينما نسبة الذين شعروا بالكراهية بقوة هي 22.9% ليلعب مجموع النسبتين 77.3% . أما الذين لم يشعروا بالكراهية فنسبتهم 7.2% فقط.

أن الصدق الظاهري باد في الاستبانة كما أن الارتباطات بين معظم فقرات الاستبيان كانت ذات دلالة إحصائية مما يشير إلى الإتساق الداخلي لفقرات الاستبانة

أهم المتغيرات التي تضمنتها الاستبانة هي: 1. الإنفعالات السلبية جراء الحرب. 2. الإضطرابات النفسية. 3. أساليب التوافق مع أحداث الحرب. 4- تأثير المذاكرة بالضغط المصاحبة للحرب أو المرتبطة بها

الخوف من انعكاسات الحرب السلبية : أجاب 37.2% من الطلاب أن شعورهم بالخوف كان قويا جدا بينما أجاب 35.3% بأنهم شعروا بخوف قوي. وبالتالي فإن مجموع الذين شعروا بخوف سواء كان قويا أم قويا جدا هو 72.5%

الحزن بسبب عواقب الحرب وضحاياها : أجاب 67.7% من الطلاب أنهم شعروا بحزن قوي جدا بسبب عواقب الحرب وضحاياها بينما شعرت نسبة 23.8% بحزن قوي

9. الشعور بالحقد: كان الشعور بالحقد من أعلى الإستجابات أيضا حيث أجاب 50.8% بأن شعورهم بالحقد كان قويا جدا بينما قال 25.1% من الطلاب إنهم شعروا بالحقد بقوة ليبلغ مجموع هاتين النسبتين 75.9% . أما الذين لم يشعروا بالحقد فنسبتهم كانت 8% فقط .

10. الإصابة بالصدمة من المناظر البشعة للحرب : صرح 52.5% من الطلاب أن إصابتهم بالصدمة من المناظر البشعة للحرب كانت قوية جدا، بينما أجاب 26% أن إصابتهم بالصدمة كانت قوية مما يجعل مجموع النسبتين 79.3%، أما الذين لم يصابوا بالصدمة جراء المناظر البشعة للحرب فلم تتعد نسبتهم 5.5%.

وإذا أردنا ترتيب الإنفعالات التي شعر بها الطلاب بحسب قوة ورودها باستعمال النسب المئوية فقد كانت كالتالي:

- 1- الشعور بالحزن والشعور بالغضب بنسبة 91.5% لكل منهما.
- 2- الشعور بالصدمة من المناظر البشعة للحرب بنسبة 79.3%.
- 3- الشعور بالكراهية بنسبة 77.3%.
- 4- الشعور بالحقد بنسبة 75.9%.
- 5- الشعور بالخوف بنسبة 72.5%.
- 6- الشعور بالذنب بنسبة 55.8%.
- 7- الشعور بالخجل بنسبة 53.3%.
- 8- الشعور بالتوتر والنفرة بنسبة 44.5%.
- 9- تغير المزاج بسرعة بنسبة 42.5%.

ب - الإضطرابات النفسجية جراء الحرب:

وقد اشتملت هذه الإضطرابات على مايلي:

1- اضطرابات النوم بسبب الحرب: أجاب 25.9% من الطلاب أنهم عانوا اضطرابات النوم بسبب الحرب؛ وقد كان ذلك إما بصفة قوية جدا 8.8% أو بصفة قوية 17.1% . بينما قالت نسبة 30.4% أنهم عانوا اضطرابات نوم خفيفة أما نسبة 31.5% فلم يصابوا باضطرابات النوم بسبب الحرب .

2- الإصابة بالصداع بسبب الحرب: قال 22.6% من الطلاب إنهم أصيبوا بالصداع جراء الحرب؛ وقد كان ذلك إما بصفة قوية جدا 9.1% أو بصفة قوية 13.5% بينما كانت نسبة الذين عانوا صداعا بصفة خفيفة 29.8% أما الذين لم يشعروا بصداع بسبب الحرب فنسبتهم 36.7%.

3- الإصابة باضطرابات في الجهاز الهضمي: أجاب 11.9% من الطلاب أنهم أصيبوا باضطرابات قوية جدا في الجهاز الهضمي بنسبة 6.1% وباضطرابات قوية بنسبة 5.8% ليلبلغ مجموعهما 18%، بينما أصيب 24% باضطرابات خفيفة في الجهاز الهضمي ونسبة 12.2% باضطرابات ضعيفة جدا بينما أجاب 51.7% بأنهم لم يصابوا باضطرابات في الجهاز الهضمي بسبب الحرب .

4- زيادة أو نقص الأكل بسبب الحرب: أجاب 42% من الطلاب أن الحرب لم تسبب أي زيادة أو نقصان في أكلهم، ولكن نسبة 6.9% قالت بأن الحرب قد أدت إلى زيادة أو نقصان أكلهم بقوة شديدة بسبب الحرب بينما أجابت نسبة 12.2% بأن هذا السلوك قد حدث لديهم بقوة مما يجعل نسبة الذين تأثر أكلهم بسبب الحرب زيادة أو نقصانا هي 19.1%.

الغضب بسبب الحرب : شغل الشعور بالغضب بسبب الحرب تماما مثل الشعور بالحزن على الإستجابات القوية حيث قالت نسبة 67.7% من الطلاب المشاركين في البحث أنها شعرت بغضب قوي جدا بسبب الحرب وأجابت نسبة 23.8% بأنها شعرت بغضب قوي

تغير المزاج بسرعة : أجابت نسبة 26.9% بأنها عانوا تغير المزاج بسرعة بسبب الحرب بينما عانوا نسبة 15.6% من تغير سريع في المزاج بدرجة قوية جدا

الشعور بالذنب : لقد شعرت نسبة 29.2% من الطلاب بالذنب بقوة بينما شعرت نسبة 26.2% منهم بالذنب بقوة شديدة

الشعور بالخجل : أجابت نسبة 25.8% من الطلاب أنهم شعروا بخجل قوي جدا بينما شعرت نسبة 27.2% بخجل قوي

وهكذا يمكن أن نلاحظ أن أهم الإضطرابات النفسية-الجسمية التي عانى منها الطلاب بسبب الحرب حسب قوتها هي:

- 1- اضطرابات النوم بنسبة 25.9%.
- 2- الإصابة بالصداع بنسبة 22.6%.
- 3- زيادة الأكل أو نقصه بسبب الحرب بنسبة 19.1%.
- 4- اضطرابات في الجهاز الهضمي بنسبة 18%.

ج - توتر العلاقات مع الآخرين بسبب الحرب:

أكدت نسبة 7.2% من الطلاب أن علاقاتهم مع الآخرين قد توترت بقوة شديدة بسبب الحرب بينما توترت هذه العلاقات عند 6.9% بقوة مما يجعل مجموع النسبتين هو 14.1% . أما الذين لم تتأثر علاقاتهم بالآخرين بسبب الحرب فقد كانت نسبتهم 48.1% بينما كانت نسبة الذين توترت علاقاتهم مع الآخرين بصفة خفيفة 25.4% .

د - تأثر الدراسة بسبب الحرب:

1- **عدم التركيز أثناء المذاكرة بسبب الحرب:** لقد تأثر تركيز الطلاب أثناء المذاكرة بسبب الحرب بصفة واضحة حيث قال 2.9% من الطلاب أنهم عانوا عدم التركيز أثناء المذاكرة بسبب الحرب بصفة قوية بينما عانى 15.7% من عدم التركيز أثناء المذاكرة بسبب الحرب بصفة قوية جدا. أما الذين قالوا بأن تركيزهم أثناء المذاكرة لم يتأثر بسبب الحرب فنسبتهم كانت 17.4% بينما كانت نسبة الذين تأثر تركيزهم أثناء المذاكرة بصفة خفيفة 25.1%.

2- **انخفاض الوقت المحدد للمذاكرة:** صرح 57.4% من الطلاب أن الوقت المحدد للمذاكرة لديهم قد انخفض بسبب الحرب؛ وذلك بصفة قوية وبنسبة 33.1% وبصفة قوية جدا بنسبة 24.4%. أما الذين لم ينخفض لديهم الوقت المخصص للمذاكرة بسبب الحرب فنسبتهم 14.4% بينما نسبة الذين انخفض لديهم وقت المذاكرة بصفة ضعيفة هي 20.7%. ولاغرو، فإن هذا الإنخفاض سببه تخصيص وقت أكثر للإطلاع على أخبار الحرب بمختلف وسائل الإعلام كما سيبدو أدناه .

هـ - متابعة أخبار الحرب:

وقد تمثل هذا البعد في الفقرات التالية:

1- **ازدياد فترة مشاهدة التلفاز لمتابعة أخبار الحرب:** لقد ازداد الوقت الذي خصه الطلاب لمشاهدة التلفاز لمتابعة الأخبار بنسبة عالية حيث بلغت 86.2%، وذلك إما بنسبة 62.7% (ازدياد قوي جدا) أو بنسبة 23.5% (ازدياد قوي) . أما الذين قالوا بأنه لا تأثير للحرب في فترة مشاهدة التلفاز لمتابعة أخبار الحرب عندهم فلم تتجاوز نسبتهم 5.2%.

2- **ازدياد استعمال الإنترنت:** وكما ازدادت فترة مشاهدة التلفاز لمتابعة أخبار الحرب فقد ازداد أيضا استعمال الإنترنت لمتابعة أخبار الحرب حيث صرح 55.8% من الطلاب أيضا أن استعمال الإنترنت قد ازداد لمتابعة أخبار الحرب؛ وذلك إما بصفة قوية جدا 32.3% أو بصفة قوية 21.5%. أما الذين ازداد عندهم استعمال الإنترنت بصفة ضعيفة فنسبتهم 23.5% بينما نسبة الذين لم يزداد عندهم استعمال الإنترنت هي 12.4% .

التوتر والعصبية (النفرة):
شعرته نسبة 19.6% بالتوتر والعصبية بقوة شديدة بينما شعرته نسبة 24.9% بالتوتر والعصبية

الشعور بالكراهية: بلغت نسبة الذين شعروا بالكراهية بقوة شديدة تجاه الحرب ومسبباتها ومحاربتها 54.4% بينما نسبة الذين شعروا بالكراهية بقوة هي 22.9%

الشعور بالعقد: كان الشعور بالعقد من أعلى الإستجابات أيضا حيث أجاب 50.8% بأن شعورهم بالعقد كان قويا جدا بينما قال 25.1% من الطلاب إنهم شعروا بالعقد بقوة

الإصابة بالصدمة من المناظر البشعة للحرب: صرح 52.5% من الطلاب أن إصابتهم بالصدمة من المناظر البشعة للحرب كانت قوية جدا، بينما أجاب 26% أن إصابتهم بالصدمة كانت قوية

اضطرابات النوم بسبب الحرب:
أجاب 25.9% من الطلاب أنهم عانوا اضطرابات النوم بسبب الحرب:

3- **ازدياد قراءة الصحف:** أشار 51.3% من الطلاب إلى ازدياد قراءتهم للصحف لمتابعة أخبار الحرب؛ وذلك إما بصفة قوية جدا بنسبة 27.3% أو بصفة قوية بنسبة 24%. أما الذين كانت زيادة قراءة الصحف لديهم طفيفة فهي 22.7% في حين أن الذين لم تزد لديهم قراءة الصحف لمتابعة أخبار الحرب هي 14.6%.

وهكذا نلاحظ أن متابعة أخبار الحرب كانت بمشاهدة التلفزة أولا (86%)، وباستعمال الإنترنت ثانيا (55.8%) وقراءة الصحف ثالثا (51.3%) علما بأن كل هذه الوسائل متوفرة للطلاب بالجامعة.

9 - أنماط التوافق مع قلق الحرب:

وقد اشتمل هذا البعد على الفقرات التالية ونتائجها :

1- استعمال أدوية أو عقاقير مهدئة بسبب الحرب: كانت نسبة الذين لجئوا لاستعمال أدوية أو عقاقير مهدئة بسبب الحرب نسبة عالية حيث بلغت (71.3%) في حين أن نسبة الذين ازداد لديهم استعمال الأدوية والعقاقير المهدئة بصفة ضعيفة جدا، وضعيفة هي 22.3%.

2- اللجوء إلى الصلاة والدعاء: أجاب 70.1% أن لجوءهم إلى الصلاة والدعاء قد ازداد بسبب الحرب، وقد تمثلت تلك الزيادة بصفة قوية جدا بنسبة 30.9% وبنسبة قوية 39.2% في حين أن نسبة الذين ازداد لديهم اللجوء إلى الصلاة والدعاء بصفة خفيفة هي 17.7% أما الذين لم يزد لديهم اللجوء إلى الصلاة والدعاء بسبب الحرب فنسبتهم 7.2% .

3- **ازدياد التدخين بسبب الحرب (بالنسبة للمدخنين):** أجاب 12.7% من الطلاب أن التدخين قد ازداد لديهم بقوة شديدة بسبب الحرب في حين أن نسبة الذين ازداد لديهم التدخين بصفة قوية هي 5.8% ليلعب مجموعهم 18.5% في حين أن نسبة الذين ازداد لديهم التدخين بصفة ضعيفة أو ضعيفة جدا هي 15.5% أما الذين لم يزد لديهم التدخين بسبب الحرب فهم الأغلبية 64.2% مما يدل على أ، التدخين ليس من أنماط التوافق التي يلجأ إليها الطلاب عند تعرضهم لقلق الحرب . وقد يرجع انخفاض نسبة ازدياد التدخين إلى مشاركة المدخنين في الإجابة عن هذا السؤال بالرغم من توجيهه للمدخنين فقط .

4- **ازدياد تناول الشاي والقهوة وغيرهما من المنبهات:** لقد ازداد تناول الشاي والقهوة بسبب الحرب بصفة قوية جدا بنسبة 11% بينما ازداد بقوة بنسبة 10.2% ليلعب مجموع النسبتين 21.2% أما نسبة الذين ازداد لديهم تناول الشاي والقهوة بصفة ضعيفة أو ضعيفة جدا فهي 24.3% في حين أن الذين لم يزد لديهم تناول الشاي والقهوة بسبب الحرب هم الأغلبية بنسبة 50.6% . ويدل هذا أيضا أن تناول الشاي والقهوة ليس من أنماط التوافق الأساسية مع قلق الحرب عند عينة البحث . ((للمناقشة)) .

- هل هناك علاقة بين " عدم التركيز أثناء المذاكرة بسبب الحرب " والإنفعالات السلبية والإضطرابات النفسجسمية وأنماط التوافق مع قلق الحرب؟

لقد وجد من خلال تطبيق معامل الارتباط سبيرمان أن المتغير رقم 5 وهو "عدم التركيز أثناء المذاكرة بسبب الحرب" قد ارتبط ارتباطا ذا دلالة إحصائية بكل المتغيرات المذكورة أعلاه من رقم 1 إلى رقم 24 (انظر الملحق رقم 2) بالشكل التالي:

1- كلما ازداد خوف الطلاب وحزنهم وغضبهم وغير ذلك من الإنفعالات السلبية المشار إليها سابقا كلما ازداد "عدم تركيزهم أثناء المذاكرة" .

الإصابة بالصداع بسبب الحرب: قال 22.6% من الطلاب إنهم أصيبوا بالصداع جراء الحرب

الإصابة باضطرابات في الجهاز الهضمي: أجاب 11.9% من الطلاب أنهم أصيبوا باضطرابات قوية جدا في الجهاز الهضمي بنسبة 6.1% وباضطرابات قوية بنسبة 5.8%

زيادة أو نقص الأكل بسبب الحرب: أجاب 42% من الطلاب أن الحرب لم تسبب أي زيادة أو نقصان في أكلهم

أحدث نسبة 7.2% من الطلاب أن علاقاتهم مع الآخرين قد توترت بقوة شديدة بسبب الحرب بينما توترت هذه العلاقات عند 6.9% بقوة

لقد تأثر تركيز الطلاب أثناء المذاكرة بسبب الحرب بصفة واضحة حيث قال 2.9% من الطلاب أنهم عانوا عدم التركيز أثناء المذاكرة بسبب الحرب بصفة قوية بينما عانى 15.7% من عدم التركيز أثناء المذاكرة بسبب الحرب بصفة قوية جدا

2- كلما ازدادت اضطرابات الطلاب النفسجسمية المشار إليها أعلاه كلما ازداد "عدم تركيزهم أثناء المذاكرة".

3- كلما ازداد اعتمادهم على مختلف أنماط التوافق المذكورة أعلاه كلما ازداد "عدم تركيزهم أثناء المذاكرة".

4- هناك علاقة ارتباط ايجابية بين "عدم التركيز أثناء المذاكرة" و "انخفاض الوقت المحدد للمذاكرة".

وتبغى الإشارة إلى أن وجود علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين متغيرين لا يعني بالضرورة وجود علاقة سببية بينهما؛ ولذا ينبغي التظن إلى هذه الفكرة خاصة عند قراءة العلاقة الارتباطية بين "عدم التركيز أثناء المذاكرة بسبب الحرب" و "أنماط التوافق" المذكورة أعلاه. وللتأكد من تأثير مختلف العوامل المذكورة أعلاه في مذاكرة الطلاب وفي إكفيته إدارتهم لأوقاتهم خلال مدة الحرب المتمسمة بالقلق والضغط النفسي الكبير قمنا بالتحليل العملي.

- **التحليل العملي:** بين التحليل العملي بأسلوب تدوير المتغيرات أنه من الممكن توزيع فقرات الاستبانة إلى أربعة عوامل مشبعة إحصائياً وهي:

1- اضطرابات نفسية-جسمية: اشتملت هذه الاضطرابات على ما يلي:

الإصابة بالصداع من جراء الحرب، الإصابة باضطرابات في الجهاز الهضمي، اضطرابات النوم، ازدياد التدخين (بالنسبة للمدخنين) ازدياد تناول الشاي والقهوة وغيرها من المنبهات، تغير المزاج بسرعة، الشعور بالتوتر والعصبية (النفرة)، توتر العلاقات مع الآخرين.

2- اضطرابات انفعالية خارجية: الشعور بالكراهية، الشعور بالحدق، الخوف من انعكاسات الحرب، الحزن

بسبب عواقب الحرب وضحاياها، الغضب بسبب الحرب، الإصابة بالصدمة من المناظر البشعة للحرب.

3- اضطرابات انفعالية داخلية: تضمن هذا العامل شعورين اثنين هما: الشعور بالذنب والشعور

بالخجل. ورغم أن الشعور بالذنب والخجل عبارة عن اضطرابين انفعاليين إلا أن هذين الشعورين قد ظهرا كعامل مستقل عن باقي العوامل؛ وقد يرجع ذلك إلى كون هذين الانفعاليين موجّهين للذات أو للداخل كشعور داخلي بينما الاضطرابات الانفعالية الخارجية المذكورة أعلاه موجّهة لمصادر خارجية أو ناجمة عن أسباب خارجية.

4- إدارة الوقت والمذاكرة: ازدياد فترة مشاهدة التلفاز لمتابعة أخبار الحرب، ازدياد استعمال الإنترنت

لمتابعة أخبار الحرب، ازدياد قراءة الصحف، انخفاض الوقت المحدد للمذاكرة، عدم التركيز أثناء المذاكرة بسبب الحرب.

وبعد التحليل العملي تم استبعاد فقرة رقم 10 وهي الفقرة الخاصة باللجوء إلى الصلاة والدعاء حيث كانت درجة تشبعها ضعيفة (0.49). وعليه، فإن كل فقرات الاستبانة مشبعة بدرجة مقبولة ما عدا الفقرة رقم 10 (انظر الملحق رقم 2).

وقد تبين أن معامل ثبات كرونباخ (ألفا) للاستبانة يساوي 0.88. وهي درجة عالية.

ولدراسة العلاقة السببية بين مختلف الاضطرابات التي تعرض لها الطلاب كمتغيرات مستقلة وإدارة الوقت والمذاكرة كمتغير تابع، قمنا بتحليل التباين بين هذه المتغيرات فكانت النتيجة دالة عند 001؛ مما يبين أن المتغير المستقل (الاضطرابات النفسية-الجسمية والاضطرابات الانفعالية الخارجية والاضطرابات الانفعالية الداخلية) قد أثرت بقوة وبدلالة إحصائية كبيرة في إدارة الوقت ومذاكرة الطلاب (المتغير التابع).

صرح 57.4% من الطلاب أن الوقت المحدد للمذاكرة لديهم قد انخفض بسبب الحرب؛ وذلك بصفة قوية وبنسبة 33.1% وبصفة قوية جداً بنسبة 24.4%

ازدياد فترة مشاهدة التلفاز لمتابعة أخبار الحرب؛ لقد ازداد الوقت الذي خصه الطلاب لمشاهدة التلفاز لمتابعة الأخبار بنسبة عالية حيث بلغت 86.2%.

ازداد أيضاً استعمال الإنترنت لمتابعة أخبار الحرب حيث صرح 55.8% من الطلاب أيضاً أن استعمال الإنترنت قد ازداد لمتابعة أخبار الحرب

: أشار 51.3% من الطلاب إلى ازدياد قراءتهم للصحف لمتابعة أخبار الحرب؛ وذلك إما بصفة قوية جداً بنسبة 27.3% أو بصفة قوية بنسبة 24%.

كانت نسبة الذين لجؤوا لاستعمال أدوية أو عقاقير مهدئة بسبب الحرب نسبة عالية حيث بلغت (71.3%)

وعليه، فإن تأثير ضغوط الحرب على صحة الطلاب النفسية وسلوكهم وبالتالي على مذاكرتهم ودراساتهم كان تأثيرا سلبيا كبيرا. وتتماشى هذه النتيجة مع الدراسات السابقة التي بينت التأثيرات السلبية للصدمة النفسية ومختلف الضغوط التي يتعرض لها الأفراد والجماعات في حياتهم المهنية والاجتماعية وغيرها في صحتهم النفسية وفي سلوكهم عامة وفي أدائهم خاصة.

- هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات الطلاب بناء على اختلاف مستوياتهم الدراسية ؟

لم يظهر من خلال تطبيق تحليل التباين ذي الإتجاه الواحد (One-way anova) أي فروق ذات دلالة إحصائية بين مختلف إجابات الطلاب رغم تباين مستوياتهم الدراسية مما يدل على أن الطلاب الجامعيين متقنون في إجاباتهم بالرغم من تباين مستوياتهم الدراسية التي تراوحت من السنة التحضيرية إلى السنة الرابعة كما يدل على ذلك الجدول التالي :

التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	مربع المتوسط	ف	الدلالة
بين المجموعات	14.132	4	14.362	1.664	0.158
داخل المجموعات	705.454	327	54 705.		
المجموع	16 719.	331	719.816		

مناقشة النتائج:

تبين النتائج المذكورة أعلاه أن طلاب الجامعة قد عانوا فعلا من ضغوط نفسية تتعلق أساسا باجتياز مرارة عدة انفعالات سلبية تمثلت أساسا في الحزن والغضب والخوف والحقد والإصابة بالصدمة. وقد ارتبط الشعور بالصدمة وما صاحبها من انفعالات سلبية بأعراض "الضغوط التالية للصدمة" المذكورة في الدراسات السابقة ولكنها لم تكن شديدة لحسن الحظ عند أغلبية أفراد العينة. وبينت الدراسة أن أهم أنماط التوافق التي لجأ إليها الطلاب لتخفيف وطأة الضغوط التالية لإصابتهم بالصدمة النفسية جراء المناظر المرعبة والخوف من انتقال مسرح الحرب إلى بلدان أخرى مجاورة، قد تمثلت أساسا في استعمال أدوية أو عقاقير مهدئة مما قد يؤدي إلى إيمان الطلاب عليها وحدوث مضاعفات سلبية جراء ذلك في سلوك الطلاب إن لم يتلقوا التوجيه والإرشاد الضروريين في الوقت المناسب.

ولكن نسبة مماثلة تقريبا من الطلاب قد لجأت إلى الصلاة والدعاء أو ما قد نصلح عليه بتجنيد الجانب الروحي في الشخصية كأسلوب للتوافق مع الضغوط الشديدة ومع الأعراض التالية للشعور بالصدمة؛ وهذا ما يتفق مع ما ذكرته بعض الدراسات السابقة حول أهمية الدين والجانب الروحي عموما في تخفيف الصدمات النفسية والتوافق معها.

ومن أهم نتائج هذه الدراسة توضيح العلاقة الارتباطية بين الانفعالات السلبية التي عاناها الطلاب وعدم التركيز في مذاكرتهم مما أدى إلى انخفاض مستوى المذاكرة من ناحية الكم والكيف. ويمكن تفسير انخفاض عملية المذاكرة من ناحية الكم بانخفاض الوقت المحدد لها بسبب ارتفاع نسبة الوقت المخصص لمتابعة أخبار الحرب من خلال مختلف وسائل الإعلام وخاصة الفضائيات والجرائد. أما انخفاض مستوى المذاكرة من ناحية الكيف؛ فقد تمثل في ضعف التركيز أثناء المذاكرة كما صرح بذلك الطلاب أنفسهم

أجاب 70.1% أن لجوءهم إلى الصلاة والدعاء قد ازداد بسبب الحرب، وقد تمثلت تلك الزيادة بصفة قوية جدا بنسبة 30.9% وبنسبة قوية 39.2%

أجاب 12.7% من الطلاب أن التدخين قد ازداد لديهم بقوة شديدة بسبب الحرب في حين أن نسبة الذين ازداد لديهم التدخين بصفة قوية هي 5.8%

ازداد تناول الشاي والقهوة بسبب الحرب بصفة قوية جدا بنسبة 11% بينما ازداد بقوة بنسبة 10.2%

كلما ازداد خوف الطلاب وحرصهم وحرصهم وتغير ذلك من الإنفعالات السلبية المشار إليها سابقا كلما ازداد عدم تركيزهم أثناء المذاكرة

كلما ازداد اضطراب الطلاب النفسية جسدية المشار إليها أعلاه كلما ازداد عدم تركيزهم أثناء المذاكرة.

هناك علاقة ارتباط إيجابية بين عدم التركيز أثناء المذاكرة و انخفاض الوقت المخصص للمذاكرة.

حيث وجدت علاقة ارتباط ايجابية ذات دلالة إحصائية بين "عدم التركيز أثناء المذاكرة" و "انخفاض الوقت المحدد للمذاكرة". وتدل هذه النتيجة على تأثر الجانب العقلي (المعرفي) المتمثل في التركيز والتذكر.

وقد أوضحت الدراسة أنه إلى جانب تأثر الجانب العقلي تأثراً سلبياً جراء ضغوط الحرب فقد تأثرت أيضاً وبصورة سلبية الجوانب الأخرى في الشخصية مثل الجوانب الوجدانية والاجتماعية (توتر العلاقات مع الآخرين).

ورغم أهمية نتائج البحث الاستطلاعي هذا باعتباره بحثاً رائداً في الموضوع وباعتباره منطلقاً لتوليد ولصيغة فرضيات أكثر دقة لاختبارها في بحوث أخرى باستعمال عينات ممثلة للمجتمع الأصلي في أحوال مماثلة لأحوال الحرب عندما تقع كوارث طبيعية أو أزمات شديدة من فعل الإنسان؛ فإن أهم أهداف ونتائج هذا البحث تبقى مرتبطة بجانب الإرشاد النفسي للطلاب قبل وأثناء وبعد وقوع الحروب والكوارث الطبيعية حيث تطرح ضرورة تزويد الجامعات بمراكز للتوجيه والإرشاد النفسي تكون من مهامها مساعدة الطلاب وتدعيمهم نفسياً أثناء الأزمات الشديدة والكوارث المريعة.

ومن أهم عمليات التدعيم النفسي لهذه المراكز توفير المعلومات الضرورية والكافية للطلاب حول موضوع الأزمات الشديدة أو الكوارث حتى لا يقع الطلاب فريسة للقلق والضغوط وما يصاحب ذلك من اضطرابات نفسية وجسمية وضعف في المذاكرة والتحصيل الدراسي وإهمال للمسؤوليات الملقاة على عاتقهم.

وفي الواقع، فقد جاء بعض الطلاب إلى مركز التوجيه والإرشاد بالجامعة وهم يعانون بعض الأعراض التالية للصدمة النفسية وصلت بأحدهم إلى إبداء الرغبة في مغادرة الجامعة نهائياً فتم إقناعه بضرورة حذف سداسي واحد وأخذ استراحة وفترة نقاهة على أن يعود بعدها للدراسة وهو ما تم بالفعل.

وأخيراً، فإنه لا يمكن تعميم نتائج هذا البحث على كل الطلاب بالمملكة بل وحتى على كل الطلاب في الجامعة التي أجري فيها البحث. وعليه، ينبغي قراءة هذه النتائج باعتبارها نتائج بحث ميداني استطلاعي؛ وهي نتائج محدودة من حيث الزمان والمكان والموضوع وإن كانت نتائج البحث قد تؤدي إلى توليد فرضية عن العلاقة بين التأثيرات السلبية لمتابعة أخبار الحرب (عن طريق الفضائيات والإنترنت مثلاً) ومذاكرة الطلاب بالجامعات؛ مما يتطلب فحص هذه الفرضية في أطر ثقافية مختلفة.

المراجع العربية

- الشربيني، لطفى (2003): صدمات الأزمات والحروب وآثارها النفسية، مجلة الطب النفسي: النفس المطمئنة، السنة 18، عدد 75، ص26-27.
- النايلسي، محمد أحمد (2004): سيكولوجيا الحروب والكوارث - الآثار النفسية لممارسات الإحتلال على الجمهور العراقي. مجلة الثقافة النفسية المتخصصة. عدد 59، مجلد 15. مركز الدراسات النفسية والنفسية-الجسدية، لبنان.
- محمد مرسي، محمد مرسي (2004): تأثير النزاعات المسلحة على الأطفال عبر الفضائيات. مجلة التربية القطرية الصادرة عن اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم، عدد 148، ص: 300-311.

يبين أن المتغير المستقل (الإضطرابات النفسية-الجسمية والإضطرابات الإنفعالية الخارجية والإضطرابات الإنفعالية الداخلية) قد أثرت بقوة وبدلالة إحصائية كبيرة في إدارة الوقت ومذاكرة الطلاب (المتغير التابع).

أعلمه أن طلاب الجامعة قد عانوا فعلاً من ضغوط نفسية تتعلق أساساً باجتياز مرارة عدة انفعالات سلبية تمثلت أساساً في العزلة والغضب والخوف والحدوث والإصابة بالصدمة

أهم أنماط التوافق التي لجأ إليها الطلاب لتخفيف وطأة الضغوط التالية لإصابتهم بالصدمة النفسية جراء المناظر المرعبة والخوف من انتقال مسرح الحرب إلى بلدان أخرى مجاورة

من أهم نتائج هذه الدراسة توضيح العلاقة الارتباطية بين الانفعالات السلبية التي عانوا منها الطلاب وعدم التركيز في مذاكرتهم مما أدى إلى انخفاض مستوى المذاكرة من ناحية الكم والكيف

أوضحت الدراسة أنه إلى جانب تأثر الجانب العقلي تأثراً سلبياً جراء ضغوط الحرب فقد تأثرت أيضاً وبصورة سلبية الجوانب الأخرى في الشخصية مثل الجوانب الوجدانية والاجتماعية

المراجع الأجنبية

- Gillard, M.; Paton, D. (1999). Disaster stress following a hurricane: the role of religious differences in the Fijian Islands. *The Australian Journal of Disaster and Trauma Studies*, vol. 1999-2.
- Lazarus, R. S. (1991). *Emotion and adaptations*. New York: Oxford University Press.
- Lazarus, R. S., & Folkman, S. (1984). *Stress, appraisal and coping*. New York: Springer.
- Selye, H. (1976) *The stress of life*, McGraw-Hill Company, New York.
- Thabet, A. M.; Abed, Y. and Vostanis, P. (2002). Emotional problems in Palestinian children living in war zone: a cross sectional study. *The lancet*, vol. 359, issue 9320, 25 May 2002, P.1801-1804.
- Ryan, A. N. (2002). Impact of the threat of war on children in military families. *Journal of Pediatric Health Care*, vol.16, n5. P.245-252.
- Litz, B.; Gray, M. *Early Intervention for Trauma: Current Status and Future Directions*.
- National Center for PTSD, This report is currently in press at *Clinical Psychology: Science and Practice* and is posted with permission in National Center of PTSD website.
- Note: American Psychiatric website: www.psych.org.

إن أهم أهدافه ونتائج هذا البحث تبقى مرتبطة بجانب الإرشاد النفسي للطلاب قبل وأثناء وبعد وقوع الحروب والكوارث الطبيعية حيث تطرح ضرورة تزويد الجامعات بمراكز للتوجيه والإرشاد النفسي تكون من مهامها مساعدة الطلاب وتدعيمهم نفسياً أثناء الأزمات الشديدة والكوارث المبرحة.

فقد جاء بعض الطلاب إلى مركز التوجيه والإرشاد بالجامعة وهم يعانون بعض الأعراض التالية للصدمة النفسية وطلبت بأحدهم إلى إبداء الرغبة في مغادرة الجامعة نهائياً

مجلة "بصائر نفسانية"

مجلة المستجديات العربية في علوم وطب النفس

مباحث ملهات الأعداد القادمة

http://www.arabpsynet.com/apn_journal/Bassaaer-NextTopics.pdf

العدد 37 ربيع 2022

الملف: التحليل النفساني... مقاربة من منظور إسلامي

المشرف على الملف: د. تهايني هاشم خليل عابدين

قسم علم النفس جامعة الخرطوم - السودان

ترسل الأعمال بالتزامن إلى بريد كل من المشرف على العدد وإلى بريد الشبكة

abdeentahani@yahoo.com - arabpsynet@gmail.com

أخر أجل لقبول الأعمال (31 مارس 2022)

العدد 38 صيف 2022

الملف: "أدمان الاتصال بالإنترنت... مواقع التواصل الاجتماعي نموذجا"

المشرفون على الملف: أ. د. خالد الفخراني (مصر) وأ. د. فاطمة الزهراء بن مجاهد (الجزائر)

ترسل الأعمال بالتزامن إلى كل من المشرفين على الملف وإلى بريد الشبكة

khalid.fakhrany@gmail.com

fatimazohra.mjad@gmail.com

arabpsynet@gmail.com

أخر أجل لقبول الأعمال (28 ماي 2022)

مؤسسة العلوم النفسية العربية

تكريم 2022م

شبكة العلوم النفسية العربية

البروفيسور مصطفى عتيوي

[علم النفس، الجزائر]

بلقيس

الكارول في علوم وطب النفس

بمناسبة اختياره من طرف مجلس إدارة المؤسسة العربية للعلوم النفسية:

الشخصية العربية للعام 2022 في علوم وطب النفس

على هامش الأسبوع السنوي الحادي عشر لـ "شبكة العلوم النفسية العربية"
[01-07/01/2022]

مؤسسة العلوم النفسية العربية

د. جمال التركي
رئيس مؤسسة العلوم النفسية العربية
2022/01/07